الدكتور عبد الحميد الشلقاني

الأعراب الرواة

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الأعراب الرواة

الدكتور عبد الحميد الشلقاني

الأعراب الرواة

منشورات

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان

طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

الطبعة الأولى

1975

الطبعة الثانية

1391 و. ر — 1982 م

المنشأة العامة للنشر والتوزيع والاعلان
طرابلس - الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية

ص. ب
959

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

ربما وقع هذا الاسم (الأعراب الرواة) على أذن السامع غريبا الا على الذين تناولوا اللغة بشيء من السعة ، ووقعت اليهم أخبار الرواة الذين أخذت عنهم العربية ، وملابسات مجيئهم الى الحاضرة ، وذهاب الطالبين اليهم فى البادية .

ومنذ ربطت سببى باللغة وروايتها ، وأنا ألتقى بهم بين وقت وآخر ؛ وأخذت أسماؤهم تتردد أمامى ، فى البصرة فى اكثر الاحايين ، وفى الكوفة حينا ، وفى بغداد حينا ، بل وفى أماكن أبعد من هذا ما كنت أظن أثرهم سيمتد الى هناك . وفى كتابنا (مصادر اللغة) جعلنا الباب الأول فيه للقرآن الكريم على أنه أوثق المصادر وان لم يكن أقدمها ، وكان الباب الثانى للحديث الشريف وان كان أكثر اللغويين لا يعدون الحديث من مصادر العربية لأسباب ذكرناها هناك ، ومنها أن رواية الحديث قد تناولها أناس من الأعاجم ، وجعلنا الباب الكبير فى مصادر العربية عن الشعر ؛ وهو من غير شك من أغزر المصادر ، وأقدمها ، وان لم يكن أوثقها الى غير ذلك مما ذكرناه .

وكان الأعراب بصفة عامة مصدرا هاما ، ذهب اليهم رواة اللغة حيثما وجدوا ، وأوثقهم أعراب البادية الذين بعدوا عن الحاضرة ولم تتأثر ألسنتهم بها ، وظلت هذه الفكرة قائمة عندى ، مقتنع بأن الأعراب مصدر معدود من مصادر العربية ، الى أن فرغت من كتابى (رواية اللغة) وكان هذا الفرض قائما أيضا فى كتابنا (الرواية فيما وراء العراق) ، وكتبنا (الأصمعى الراوية) أو أعدت كتابته ، ونحن ننظر الى الأعراب الرواة على أنهم مصدر هام من مصادر العربية ، وفكرت أن أضع كتابا أفرده لهم ، ولقد كان هذا الأمر مطلبا عسرا ، فأخبارهم قليلة ، والحديث عنهم لا يكاد يتماسك ، فاذا استطعت أن أجد خبرا أو خبرين فى كتاب متعدد الصفحات خيل الى انني وقعت على شيء ثمين ، وجعلت لكل فرد من الأعراب الرواة بطاقة ، وكلما قابلت اسمه فى كتاب ، قيدت ما حوله من أخبار ، فلما فرغت من كتبى السابقة ، ورأيت أن أضع كتابا للأعراب الرواة ، وأخذت فى كتابة جزء كبير منه على أنهم مصدر يوثق به اهتزت الفكرة أمامى .

ذلك أنى رأيت بعض الأعراب الرواة كانوا قد اتخذوا هذه المسألة صناعة تلتمس لها أسباب الرواج ، فوجدت بينهم خلفا ، وبدلا من أن يذهب اليهم رواة اللغة العلماء يلتمسون عندهم فاصل القول وجدتهم يختلفون .

ثم وجدت بعض الأشياء لا تدخل ذهنى بسهولة ، ولا أتمثلها تمثلا طيبا ، كمسألة أم الهيثم التى يسمع عنها أبو عبيدة ، ويخبر أنها مريضة ، فيذهب يعودها ، فيسمع كلاما غريبا هو الى الرطانة أقرب منه الى العربية ، وفى آخر الحديث تقول هذه الأعرابية : ما كلمتكم الا بالعربية الفصحى . امرأة مريضة تتكلم بلغة غير معروفة تدافع عنها بأنها فصيحة ، وهى فى نظرى — مقارنة بما سمعت — من كلام البادية لم تزد على أنها رطانة .

ثم يسأل أبو حاتم السجستانى مثلا عن حبات عرفت بالفارسية باسم

آسفيوش ، فتقول له : أرنى منه حبات ، ويقول الخبر ، فأفكرت ساعة ثم قالت : هذا هو البخدق ، وتذكر كلمة البخدق فـى المعاجم ويتناقلها معجم عن آخر ، ويعرفها لغوى عن لغوى ، ولا مصدر لهـا غير لسان أم الهيثم هذه ، ويضطر ابن خالويه أن يصرح بذلك فيقول : البخدق بذر شجر ، أو ثمر شجر ولم يعرف الا عن أم الهيثم •

خبر آخر يحكيه شيخ اسمه أبـو ضمضم ، يعاتب صبيـان البصرة بقوله لهم : ماذا جاء بكم يا خبثاء ، فى هذه الساعة المتأخرة مـن الليل ؟ قالوا : جئناك نستمع اليك ، يعنون بهـذا أن العربية مطلبهم عنـد هـذا الأعرابى ، فيقول : لا ، بل قلتم : كبر الشيخ ، وتبلغته السن عسى أن نأخذ عليه سقطة ، اذن ، هو يحس بأنه يؤدى صناعة وأنه لم يعـد يحسن هـذه الصناعة ، وأنه قد يأتى فيها بسقطات •

مسألة أخرى ، يكشفها الرواة أنفسهم ، مسألة ابن داود بن متمم بن نويرة ، رأى الرواة يهتمون بشعر جده ، فلما قـدم البصرة لبعض حاجته اجتمع حوله كبار الرواة منهم أبو عبيدة وهـو الذى يحكى هـذا الخبر ، يسألونه عن شعر أبيه يقصدون جده ، فيقول لهم هـذه الأشعار ثم يزيـد عليها ، وحين يحس رغبة الناس فى هذا القول يزيد أيضا الى أن أدرك أبو عبيدة أنه يكذب •

وتذاكر الرواة شعْر الأغلب العجلـى فقال خلف : (أعيانـى شعـر الأغلب ، وكان مـن ولده انسان يصدق فـى الحديث (1) والروايات ، ويكذب عليه فى شعره) فاذا علمت أن خلفا كان أفرس البصريين ، وأعلمهم بالشعر أدركت الى أى حد كان تخليص الصحيح أمرا معسرا •

---

(1) الموشح 213

ومسألة أخرى ، أبو خيرة الأعرابــي ، والمنتجع ، وهما مــن أحسن الأعراب وأوثقهم ، وفي فترة مــن الفترات يختلف الأعرابيان فيقول هــذا بقول ، ويقول الآخر بكلام آخر ، ثم يبحثون عــن رجــل يحكم بينهما ، وكانت هذه في يوم من الايام صفة للطالبين فأصبحت صفة للأعراب .

أوقفت القلم ، وكنت قد وضعت عنوانــه (الأعراب الرواة) وأنــا أضمر أن أبين مكانتهم ، وموقفهم كمصدر هام مــن مصادر العربية ، فاذا بهذه المكانة تهتز ، وهذا الموقف يتغير .

وأعود مرة أخرى لأغير عنوان الكتاب ليصبح (الأعراب الرواة مــا لهم وما عليهم) ، فبعضهم نفع العربية ، وبعضهم أفسدها ، وبعد أن وقفت هذا الموقف الوسط لم يرق لي مرة أخرى فقــد وجدت مسألــة الكسائي وسيبويه ، ومسألة الكسائي واليزيدي ، وحين يختلف العالمان مــن رجال اللغة فهذا أمر طبيعي ، ولكن عندما يتحتكم الــى الأعراب فيعطــون حكمهم ترضية لصاحب الجاه منهما ، أقول في هــذه الحالــة ان الأعراب الرواة عليهم أكثر مما لهم وليس لي أن أبين فضلهم وأظهــره لامعــا رغم وجود هذه الهنات ، بل هذه التهم ، اذن فبماذا أسمي الكتاب ؟ (الأعراب. جنايتهم على اللغة) وجدت في ذلــك ظلما ، فليسوا كلهم كذلــك ، ولا أكثرهم ، ومنهم من أعان على العربية وكانوا سندا للرواة العلماء عــلى توثيقها ، وبسبب هذا العمل الأخير تبوأوا أماكنهم لــدى رجال الدولــه ورجال اللغة ، وجد بعض الولاة في طلبهم وكان منهم في نيسابور فئة غبر قليلة حتى كتب بعض العلماء كتابا عن نوادر الأعراب الذين كانــوا فــي صحبة عبد الله بن طاهر .

وقد استقر في رأيي أن أعرف بهم على طريقة رجال الطبقات يتقــدم كل منهم بصحيفته ، ويطلب في اسمه بحسب الأبجدية ، وللقارىء أن يرى

فيهم رأيه ، فلم أرتض هذا الوجه ، ولم أكتف به ، لأنه لا يعطى الجوانب المختلفة التى من حق القارىء أن يلم بها الا اذا قرأ الكتاب من جلدته الى جلدته ، وقد يذهب وقته فى البحث عن شىء لم يقصده ، ورأيت أخيرا أن أجمع الأمرين — أضع تحليلا وتأليفا علميا يؤدى غرضه ، ولا بأس بعد هذا أن أقفّى على ذلك بتراجمهم •

وهناك مسائل جديرة بالملاحظة كانت تبدو غريبة قبل الأخذ بأسباب الدراسة المتأنية ، ومع ما أنادى به من التأنى ومحاولة الافادة من التحليل والتعمق فان بعض الاسئلة لا زالت عالقة بذهنى لم تجد حلا مقنعا ، ولا حتى مرضيا •

صحيح ، ربما وجد بعض العلماء ، علماء اللغة فى عصورنا الحديثة حلولا لها ، ودعنى أشير الى بعضها اجمالا تاركا تفصيل ذلك للصفحات المقبلة •

من ذلك مثلا أن تجد منهم رجالا ليسوا من الأعراب بمعنى أنهم غير صريحى العروبة — أو ليسوا من العرب الصليبية كما يقولون ، منهم موالى فهل دار بخلدك مثل هذا ؟ لقد كنا نأخذ عنهم ونحن نعلم أن أهم صفة وميزة فيهم هى أنهم من البدو الذين حفظت الصحراء ألسنتهم ، وكلما كان الرجل مغرقا فى البداوة كان أوثق فاذا بى أجد أنه من السّند ألقى الى البادية وهو صغير فشب أفصح من رؤبة على حد تعبيرهم ، ولهذا المثل أمثال أيضا ، ولا أريد أن أطيل عليك فى هذه المقدمة • على كل حال ، علم اللغة العام لا يعارض هذا ولا يأباه ، فلو جئت بطفل انجليزى ، أو ولد عن انجليزيين فى مصر ، وأتاحت له ظروف الحياة أن يعيش على لسان القوم هنا فسينشأ يتحدث لغة البيئة التي وجد فيها • وعلى هذا فلا معارضة فيما وجدناه من أعراب كانوا من غير العرب أصلا •

وأما وجود النساء ، يتصفن بهذه الصفة ، وتروى عنهن اللغة فأمر لا يحتاج الى دفاع ولا مدافعة ، بل الرأى عندى أن المرأة بظروف قرارها أثبت لسانا وأكثر حفاظا على لغتها من الرجل ، وفى ترجمة بشار فى كتاب الأغانى شىء كهذا حين يفتخر بفصاحته ، ويقول انه أمضى شطرا لدى العقيليين فاذا دخل بيوتهم وجد نساءهم أفصح منهم .

أما ما يستوجب الاعتراض حقا فهو الاستمساك بهذه الصفة ، والأخذ عن الأعراب الى وقت متأخر يصل الى القرن الخامس الهجرى ، وأرجح أن بعض ذلك كان يجرى مجرى التقليد ، وأن الأعرابى فى هذه الارض الواسعة التى امتدت من الصين الى الاندلس لا يجوز الاخذ عنه بعد القرن الثاني أو منتصف الثالث الهجرى ، وقد قرأت أن الرواة قد عابوا عدى بن زيد لأنه كان يسكن الحيرة ، ويراكن الريف فلان لسانه وسهل منطقه ، وعدى بن زيد ، وأبو دواد الايادى لا تروى الرواة أشعارهما لأن ألفاظهما ليست بنجدية كما يحكى الأصمعى ، فاذا كان الامر كذلك ، وعدى بن زيد وأبو دواد الايادى من القدماء فانك لا تستطيع أن تنظر الى علاقة ابن جنى بصاحبه (الشجرى) بنفس النظرة القديمة التي كانت بين اللغويين القدامى والأعراب الرواة .

وابن جنى استاذ فذ من الشوامخ ، لا أبالغ اذا قلت انه أستاذ العربية فى كل أجيالها ، والى الآن ، ولكننى أنظر الى صحبته للأعراب نظرة أخرى تتصل بفلسفة اللغة ، لا بجمعها وتحصيلها ، فاذا حادث صاحبه الشجرى ، وهو يذكره كثيرا فى كتاب الخصائص وفى كتاب المحتسب فانما كان يريد أن يرى أثر الحضارة على سليقته وفطرته ، ولا بأس ، بل من الجميل أن تجرى هذه الفلسفة اللغوية كما عودنا ابن جنى ، وهى فى نظرى بداية مبكرة جدا لمعامل الصوتيات التى أخذت بها الجامعات الحديثة فى أيامنا .

ولكنى لست مع الزمخشرى حين أجده يحتج لبعض مـا ذكره فـى كتاب الكشاف بسروية مستجدية بمكة ، أقول : لقد طال الزمن وبعد عـن هذا الوجه من التلقى عن الأعراب بهذه الصفة •

والكتاب الذى أقدمه اليك اليوم ـ لم يتناول موضوعه باحث قبـل اليوم ـ على قدر علمى ـ وهو موضوع جدير بالدراسة ، لا يكفيه هذه البداية المتواضعة ، وتأمل الخير على أيدى العلماء الذين يجدون متعة فـى هذا البحث الطريف •

وكان لا بد ونحن نكتب عن الأعراب الرواة ، أن نكتب عن الرواية والرواة فى مجالاتها المختلفة ـ بايجاز ـ رواية الشعر ، رواية الأنساب ، رواية الحديث ، رواية القرآن ، الى آخر ما عرف من هذا اللون ـ حتـى يبين وجه الأعراب الرواة ويتضح الفارق بين أنواع الرواية ـ بل ان رواية اللغة كان يتقاسمها صنفان من الرواة : رواة علماء ، ورواة أعراب ، فأردت أن استلفت نظر الطالبين الى ذلك ـ أما علماؤنا فهم بذلك أعلم •

القِسمُ الأول

تصنيف الرّواية

روايـة الشعر

تعريف الرواية

الرواية فى أصلها اللغوى ، هى الاستقاء ، ثم اطلقت الكلمة على حمل الشعر ، والأنساب ، والحديث ، بل وأطلقت الكلمة أيضا عـلى طرق نقـل القراءات وفروع العلم المختلفة لعلاقة النقل فى كل . وسبيل ذلك فيما يبدو من كلام الجوهرى ، الاستظهار ، فأنت تقول : أنشد القصيدة ولا تقـل اروها الا أن تأمر بروايتها . أي باستظهارها . وعـلى هـذا ، فالحمل ، والاستظهار هما عنصرا الرواية ، ومـن ثم فقـد أصبح ناقـل الشعـر ، والأنساب ، والقراءات ، والحديث ، واللغة ، والقصص ، والغزوات الى غير ذلك تحت شرط الاستظهار راوية

وأول فن عالجه الرواة فيما يرجح الاشعار والأنساب ، وليس هناك من ضرورة للغوص وراء البحث عن أيهما أسبق من صاحبه ، بـل الرأى عندى انهما نشآ فى وقت واحد لظاهرة مشتركة ، هى الاعتماد المطلق على المشافهة . فلم تكن الكتابة فى هذه الجزيرة عنصرا يعوّل عليه فى نقل مـا تجود به قرائح ابنائها من فن القصيدة الـذى كان دأبهم وشغلهم الشاغل ، أو كما يحكى عمر : علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه .

وكذلك لم ترق نظمهم الاجتماعية ليعمدوا الى قيد الأحداث وتدوين الظواهر وكتابة الأنساب وجباية المكوس . فان وجد شيء من هذا في اليمن حيث كان التبابعة . أو على طرفي الجزيرة في الشمال حيث كان المناذرة في الشرق والغساسنة في الغرب ، فقد كان هذا الشيء قليلا لا يعتد به في مجال الرواية . وكان الوجه الغالب هو الاعتماد على الذاكرة .

وشاعر القبيلة هو لسانها وداعيها ومهيجها الى الهيجاء اذا تراءى له الحرب والقتال ، وآمرها الى السلم اذا ارتضى السلم . وواسطة عقدهم في جدهم المتجهم ، وهو كذلك أيضا في لهوهم الجميل ، وبالجملة فهو رئيس من رؤساء القبيلة يصرفهم ما شاء له وجدانه .

وينشأ ناشئهم وهو يتطلع الى هذا القائد الذي لا تعوزه في قيادته دروع ولا سيوف . وانما عدته حلاوة القول ، فاذا أحس بالموهبة تربو في صدره لزم شاعرا يختاره ؛ وعلى هذا الراوية أن يردد ما سمع من أستاذه ؛ وان يذيعه بين أفراد القبيلة ان تعلق بأمجادها ، ورأى فيه متعة يشبع بها هذه الهواية المشبوبة في نفسه ؛ وخارج القبيلة اذا كانت في هراش مع أعدائها ، وهو في كل هذا يتقمص فكرة استاذه عن عقيدة وايمان ويصبح صورة صادقة منه . فاذا تم له هذا ، اقامت القبيلة أفراحها ؛ وشاركت نساءها يضربن بالدفوف ، ويوقعن على المزاهر ؛ وجاءت القبائل الأخرى التي تربطها بها رابطة الود وشاركتها افراحها .

ولا أحسب رواية الشعر وقفت عند هذا الراوية الذي كان يلزم شاعرا بعينه . وأظنك قرأت الكثير في كتب الأدب عن علاقة التلمذة هذه وعن هذا النوع من الرواة . كان زهير بن ابي سلمى راوية أوس ، والحطيئة

راوية زهير وآل زهير ، وأبو ذؤيب راوية ساعدة بن جويرية (1) الـى غير ذلـك .

لهذه العلاقة ترى الشعر يجود ويسخو فى بيوت بعينها أتاحت لأبنائها أن يشبوا على هذه التروية ، كما ظل فى بيت زهير بـن أبـى سلمى وبيت حسان بن ثابت ، فكان أبو زهير مثلا شاعرا ، وخالـه بشامة بـن الغدير شاعرا ، وأخته سلمى شاعرة ، وابناه كعب وبجير شاعرين ، وأخته الخنساء شاعرة ، وابن ابنه المضرب بن كعب بن زهير شاعرا ، وكان لزهير ابن يقال له سالم حسن الشعر أيضا . (2)

وتنعقد فى أكثر الأحايين علاقة وطيدة بين الشاعر وراويته ، فالراوية أو الطالب يرى فى الشاعر مصدر علمه ، واستوجب الوفاء أن يظـل عـلى ولائه له يرى رأيه ويدافع عنه ، كما ترى اليوم هذه السلسلة من الأساتذة ينحدر عنها طلابها وان علوا فى علمهم وذاع صيتهم ، وربما وجد فى هذه الصلة مبررا لتعديل الشعر أو اصلاحه وهذه قضية ضخمـة لا نستطيع أن نعممها أو نتوسع فيها ، ولكننا وجدنا خلفا يقولها فيما يحدث به الأصمعى فيقول : قرأت على خلف شعر جرير ، فلما بلغت الى قوله :

ويـوم كابهـام القطـاة محبب
الىّ هـواه غالب لـى باطلـه
رزقنا به الصيد الغزير ولم نكن
كمن نبلـه محرومـة وحبائلـه
فيا لك يوما خيره قبـل شـره
تغيّب واشيـه وأقصر عاذلـه

---

(1) الوساطـة 15

(2) الاغانى 10 : 313 و 314

فقال : ويله ، وما ينفعه خير يؤول الى شر ، فقلت له : هكذا قرأته على أبى عمرو . فقال لى : صدقت ، وكذا قاله جرير وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ وما كان أبو عمرو ليقرئك الا كما سمع ، فقلت : فكيف كان يجب أن يقول ، قال : الأجود لو قال :

فيا لك يوما خيره دون شره

فاروه هكذا فقد كانت الرواة قديما تصلح من أشعار القدماء (1)

وصدر مثل هذا عن آخرين يشير اليهم ابن جنى فى الخصائص فقال: « حكى عيسى بن عمر » ، قال : سمعت ذا الرمة ينشد :

وظاهرة لها من يابس الشخت واستعن
عليها الصبا واجعل يديك لها سترا

فقلت : أنشدتنى من بائس .

فقال : يابس ، وبائس واحد .

وأخبر أبو بكر محمد بن الحسن عن أبى العباس احمد بن يحيى ، قال : أنشدنى ابن الأعرابى :

وموضع زبن لا أريد مبيته
كأنى به من شدة الروع آنس

فقال له شيخ من أصحابه : ليس هكذا أنشدتنا ، انما أنشدتنا : وموضع ضيق ، فقال : سبحان الله ، تصحبنا منذ كذا وكذا ولا تعلم أن الزبن والضيق واحد . (2)

والراوية بدوره يظل يطلب مساندة الشاعر ولو استفحل وذاع أمره ،

---

(1) الموشح 125 ويروى ايضا [الصيد الفرير] وهو متوجه أيضا
(2) الخصائص 2 : 467

وعندك فى التاريخ الأدبى صورة فريدة تحكى عن الحطيئة ، وهـو شاعر من الفحول من غير مراء ، وكان من الممكن ان يستقل بعلمه وآرائه ، وأن يكون بهما فى غنى عن أستاذه ، ولكـن العلاقـة الروحيـة بين الراويـة والشاعر ، أو بين الطالب وأستاذه شيء أوثق عرى ، كان الحطيئة راويـة لزهير وآل زهير حتى أصبح فى عداد الفحول متين الشعـر شرود القافية ، ومع ذلك يطلب من كعب بن زهير أن يمكن له عند العرب ، وأن يشيد به ، فيقول له : قد علمت روايتى لكم أهل البيت وانقطاعى لكم ، وقد ذهبت الفحول غيرى وغيرك فلو قلت شعرا تذكر فيـه نفسك ، وتضعنى موضعا بعدك ، فان الناس لأشعاركم أروى ، واليهـا أسرع فقال كعب مستجيبـا لهذه الرغبة :

فمن للقوافى شانها مـن يحوكها
اذا ما ثوى كعب وفـوز جرول
يقول فـلا يعيى بشىء يقولـه
ومن قائليهـا مـن يسىء ويعمل
كفيتك لا تلقى من الناس واحدا
تنخل منهـا مثـل مـا يتنخـل
يثقفهـا حتـى تلـين متونهـا
فيقصر عنها كـل مـا يتمثـل (1)

مجلس للرواة

وبلغ بهم ان كان الرواة يجتمعون فيباهى كـل بشاعره فقـد اجتمع بالمدينة راوية جرير ، وراوية نصيب ، وراوية كثير ، وراوية جميل ، وراوية الأحوص فادعى كل رجل منهم أن صاحبه أشعـر ، ثم حكمت سكينة بنت الحسين فيما أثير بينهم والخبر طويل نكتفى بالاشارة الى مصدره • (2)

---

(1) فحول الشعراء للجمحى 88 بتحقيق محمود شاكر ط دار المعارف
(2) الموشح للمرزبانى 159 ط السلفية سنة 1343

ولك أن تتوقع أيضا نوعا آخر من الرواية يأتى به الفن الصادر من أعماق هؤلاء المأخوذين به ، يصيب حاستهم على درجات مختلفة ، فالذين أوتوا نصيبا من القدرة على انشاء القريض أمتعوا أنفسهم بانشائه ، أو تركوا للرواة أمره ، أو ألقوه بأنفسهم ، والذين لم ينشئوا شعرا واتيح لهم أمر الرواية وحدها أمتعوا أنفسهم بروايته ،والذين لم ينالوا خيرا من هذا وذاك ، أرهفوا آذانهم واستمتعوا بسماعه ، والذين رزقوا موهبة التذوق اهتزوا لمواضع الجمال فيه ، وطربوا ، منهم من استساغه لنفسه ، ومنهم من دل غيره على وجه الجمال فيه ، واذا بك ترى القبيلة ــ كلها ــ منصرفة الى هذا الفن ، وقد اشترك افرادها فيه كل على قدر ما وهب . ويعبر حميد بن ثور الهلالى عن بعض هذا الوجه من النشاط ، فهو يقول ، وتستحلى الرواة قصائده ، فينشدها من أراد ، ويتغنى بها مع المزمار من أراد :

لأعترضن بالسهل ، ثم لأحدون
قصائد فيها للمعاذير زاجر
قصائد تستحلى الرواة نشيدها
ويلهو بها من لاعب الحى زامر

والشاعر في القبيلة من الرؤساء ، بل قد يجمع الى مشيخة القبيلة ان يكون كذلك شاعرها ، وقد تكون هذه الصفة سبيله الى الرئاسة ، وكلما تلقاها عن الرواية كان أمتن أساسا ، وأصلب عودا ، وأرفع قدرا لأنه يجمع الى جيده جيد غيره ، قال بذلك رؤبة ويونس بن حبيب . (1)

والشاعر يحس بهذه المكانة ، ومكانة بضاعته أيضا ، ويرى أنه أعطى لتلميذه أثمن ما عنده ، فحين قسّم بشامة بن الغدير ثروته على أسرته فى

(1) العمدة 1 : 9 ط هندية سنة 1925

أخريات أيامه لم يقتطع لابن أخته زهير مالا مكتفيا بما منحه من هذا العلم وهذه المقدرة على قول الشعر ، بل وجد في ذلك مغنما كبيرا لزهير لم ينله رجل آخر من المقربين لبشامة ، فلما ضاق زهير ووجد فيما فعله بشامة قسمة ضيزى قال : يا خالاه ، لو قسمت لى من مالك ؟ فقال : والله يابن أختى لقد قسمت لك أفضل ذلك وأجزله .

قال : ما هو ؟

قال : شعرى ورثتنيه .

فقال زهير : شيء ما قلته ، فكيف تعتد به على ؟

فقال له بشامة ساخرا : وكأنه يمن عليه بترويته الشعر ، ومن أين جئت بهذا الشعر ؟ لعلك ترى انك جئت به من مزينة ، وقد علمت العرب أن حصاتها وعين مائها في الشعر لهذا الحى من غطفان ، ثم لى منهم ، وقد رويته عنى . يبدو أن بشامة غضب من جرأة زهير فأدخلها في عصبية قبلية ، وفخر بغطفان على مزينة .

رواية الشعر ، وعمق أثرها

وللرواية أحيانا آثار عميقة يتعذر محوها ، فمن القول ما يقال ثم ينسى ، ومن الكتابة ما يتبدد أو يمحى بفعل القدم أو البلى ، وتعجب أن تجد من الرواية ما هو أكثر ثباتا ، وأطول عمرا ، وفى التاريخ الأدبى أمثلة منه ، عجيبة ، تجدها احيانا فى ثنايا المدح ، والفخر ، وأكثر الأحايين فى ثنايا الهجاء فان أصاب نكتة لفظية فكهة طيرتها الرواية ولازمت أهلها .

كان بنو العجلان يفخرون بلقبهم هذا لدلالته على تعجيل قرى الأضياف فلما هجاهم النجاشي بقوله :

وما سمى العجلان الا لقولهم
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

ذهبوا يشكون أمرهم الى عمر ، ومن بعد ذلك صاروا يطأطئون رؤوسهم بعد أن أخذ هذا البيت سبيله الى الذيوع على ألسنة الرواة .

وهل تجد فى بنى نمير عيبا يعرفون به ، ولكن الرواية خلقت من اسمهم مصيبة فى بيت خفيف المقال ، سهل النطق ، يقول فيهم :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فاذا حالت البيت تحليلا أدبيا لم تجد فيه ما يدعو الى هذا الأثر العميق .

والزبرقان بن بدر رجل من رجالات العرب ، وساستها ، وأشرافها ، ولكنه ابتلى بلسان الحطيئة ، وبيت من الشعر تستعذبه الرواة لخفته وظرفه ، فيصل به الامر الى أن يقدم شكواه لعمر لقوله فيه :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها
واقعد فانك أنت الطاعم الكاسى

صحيح ان النصف الأول فيه هجاء ، ولكن النصف الثانى قد أحاله بظرفه ، وسهولة روايته الى افحاش فى الهجاء .

وهذه أبيات للأخطل ، وبيت لجرير لو وضعتها فى ميزان النقد العلمى ثقلت موازين الأخطل ، ولكن الرواية طيرت بيت جرير فحكم له على صاحبه . يروى بسنده عن اليزيدى قال : تذاكر الفرزدق والأخطل جريرا ،

فقال له الأخطل : والله انك واياى لأشعر منه ، غير أنه اعطى مـــن سيرورة الشعر شيئا ما أعطيه ، لقد قلت بيتا ما أعرف فى الدنيا بيتا أهجى منه :

قوم اذا استنبح الأضياف كلبهم
قالوا لأمهـــم بولى علـــى النار

تمامـــه :

فتمسك البول بخلا لا تجود بـــه
ولا تبـــول لهـــم الا بمقـــدار

والخبز كالعنبـــر الوردى عندهم
والقمح سبعون أردبـــا بدينـــار

وقال هـــو :

والتغلبـــى اذا تنحنـــح للقرى
حـــك استه وتمثـــل الأمثـــالا

فلم يبق سقاء ولا أمة الا رواه ، قال : فقضيا يومئذ لجرير أنـــه أسير شعرا منهما • (1)

وأنشأ عمرو بن كلثوم التغلبى قصيدته وكانت غاية فـــى الفخر حتى توارثها الأبناء فى أعقاب الآباء ، وظلت تروى فيهم الى آجال بعيـــدة حتى عيبوا بذلك فقال قائل يهجوهم بهذا :

ألهى بنـــى تغلب عن كل مكرمة
قصيدة قالهـــا عمرو بـــن كلثوم

---

(1) الموشح 140 — 141

والرواية ـــ بهذا الأثر العميق ـــ كانت سلاحا ، مزدوج التأثير ، يؤتى غرضه ، ثم يتعذر محوه اذا ما رؤى العدول عنـــه ، فالنفوس قـــد تغضب وتهدأ ، وتجمد وتلين ، ولكن الرواية يستعصى عليها أن تعود فيما بـــدأت به ، والشاعر أو الراوية لا يستطيع أن يعود فيما قال بعد أن وعته الأسماع، وجرى على الألسنة يقول كعب بن جميل :

ندمت عـــلى شتم العشيرة بعدما
مضى واستتبت للرواة مذاهبـــه

فأصبحت لا أسطيع ردا لما مضى
كما لا يرد الدر فى الضرع حالبه

ومن أجل هذه الاستدامة اراد عمر رضى الله عنه أن يستل من نفوس الناس ضغائن الماضى وأحقاد الجاهلية حين أراد أن يمنع رواية شعر الهجاء، ورأى فيه شتم الحى بالميت وتجديـــد الضغائن ـــ فلم يفلـــح ـــ وعمر كما نعرف من أنجح ساسة الدنيا وأشدهم حزما ، ولكن ـــ الـــى هنا ـــ وتهن شدة عمر .

لقد كان موقف عمر ، موقفا غريبا فى ظاهره ، أو عند من ينظرون الى الأمور من سطحها ، لقد كان عمر ذواقة للشعر ، يستمع اليه كشىء تتغذى به حواسه ، وقبل قرآن الفجر يقول يوما لابـــن عباس : أنشدنـــى لشاعر الشعراء ـــ يقصد زهيرا ـــ فاذا استمتع به ، قال لصاحبه : حسبك الآن . اقرأ القرآن . (1)

ولكنه كان أيضا خليفة للمسلمين ، عليه أن يجمع الناس علـــى كلمة

(1) الاغانى 10 : 290 ـ 291

واحدة ، وأن شعر الهجاء آفة من آفات المجتمع الذى ينشد التماسك ؛ فنهى عن روايته وأراد أن يستن لذلك سنة أدبية هى الغض من قيمته التى كانت سائدة فى الجاهلية ، وجاهد فى هذا مجاهدة شديدة ، فلم ينجح عمر • وكيف ينجح فى اختلاع جزء من علم لم يكن عندهم علم أصح منه •

لقد ناقش بنى العجلان مناقشة مكابرة حينما ذهبوا يشكون اليه قول النجاشى :

اذا الله عادى أهل لؤم ورقة
فعادى بنى عجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : انه دعا عليكم ولعله لا يجاب •

فقالوا : انه قال :

قبيلة لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر : ليتنى من هؤلاء •

قالوا : فانه قال :

ولا يردون الماء الا عشية
اذا صدر الوراد عن كل منهل

فقال عمر : ذلك أقل للكاك (يعنى الزحام) •

قالوا : فانه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب بن عوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه

قالوا : فانه قال :

وما سمى العجلان الا لقولهم
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبيد ، وخير القوم خادمهم .

فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا .

فقال : ما أسمع ذلك .

فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت .

فسأل ، فقال : ما هجاهم ، ولكن سلح عليهم . (1)

ووقف عمر موقف المجادلة هذه مع الزبرقان بن بدر في قصته مع الحطيئة ، والخبر بتمامه في العقد الفريد لابن عبد ربه ٥ : ٣١٧ طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . ولم يقدّر لهذا المنهج الذي بدأه عمر أن يكمل ولا أن ينجح . ويبدو انه استبان استحالته ، فلقد كانت رواية الشعر بعامة على السنتهم كبيرهم وصغيرهم على السواء ، وكانت عائشة رضوان الله عليها تروى جميع شعر لبيد (2) وتقول : انى لأروى ألف بيت له ، وأنه أقل ما أروى لغيره ، وتقول : لقد رويت من شعر كعب بن مالك اشعارا منها القصيدة فيها أربعون بيتا ودون ذلك (3) وكانت توصى برواية الشعر وتقول : رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم . (4)

(1) العمدة 1 : 27
(2) العمدة 1 : 11
(3) المزهر 2 : 309
(4) العقد 5 : 275

في العصر الأموي

بلغت رواية الشعر مبلغها فـي العصر الأمـوي ، لا لخطـة وضعت لذلك . ولا لتطور علمي أدى الى ذلك ، ولكـن لظروف وجدت الدولـه نفسها محاطة بها ، بل من الملفت أن تجد رواية الشعر مقسمة فـي هـذه الدولة الى نوعيات دعت اليها ظروف وجودها أيضا . فقـد جعلت الدوله عاصمتها في دمشق حيث كان معاوية واليا من قبل الخليفة ، وحيث وجدت هذه العاصمة ، ودار الخلافة تستهوي الطامحين من طلاب الجاه والمال فقد وجد شعر يلائم هذا النوع والمنزع وهو شعر المديح ، وهو لم ينشأ أصلا في دمشق ، وانما وفد اليها كما يفد طلاب الحاجات .

أما الحجاز ، وأنا أكرر مرة أخرى أن هـذه الظروف أحاطت بالدولة الأموية دون أن تعد هي لها ولا رسمتها ، ولا كانت ترغب فيهـا ، فهـي ظروف معادية لها في أكثر الأحيان ، فشباب الهاشميين في الحجاز يتطلعون الى الخلافة ولهم فيها حق ربما رأوا أنفسهم أنهم أولى بـه من معاوية ومن البيت الأموي كله فأخذهم معاوية بالهدوء والحكمة والدهاء ، وحبسهم في الحجاز ، وأرسل اليهم سيل المغنيين والمغنيات ، وأسرف عليهم في العطاء ، وحبب اليهم الاستكانة والدعة فصدر عن هذه البيئة الناعمة المترفة التـي انصرفت بكل وجدانها الى ملذاتها ارق شعر عرف في الأدب العربي كله ، جادت به قرائح عمر بن أبي ربيعة ، والعرجي ، والاحوص ، والحارث بـن خالد المخزومي وأمثالهم .

وعبارات النقد أو التقريظ التي قيلت حول هذا الانتاج الأدبي كانت هي الأخرى غريبة على مسامع أهل النقد ، وتتفق مع هـذا الشعر الصريح الذي تجاوز في صراحته كل مألوف وخرج عليه ، فقال فيه ابن أبي عتيق : « لشعر عمر بن أبي ربيعة نوطة في القلب ، وعلوق بالنفس ، ودرك للحاجة

ليست لشعر ... ثم يقول : وما عصى الله جل وعز بشعر ابن أبى ربيعة (١) الى هذا الحد من الجرأة وجد النقد متعته . أما حكم جرير عليه فهو اعجاب مشوب بحسد فيقول فيه أولا : انه شعر تهامى اذا انجد وجد البرد ــ أى لا يصبر طويلا ، مع أن العبارة غريبة أيضا ، فما الشعر التهامى وما حرارته ، وكيف يتأثر بنجد وبرد نجد ــ الا أننا نعيش فى (رومانسية) اتجهت بأذهاننا كل متجه ومنحى . ثم يقول جرير وهنا تدرك اعجابه وحسده فى وقت واحد : ما زال هذا القرشى يهذى حتى قال الشعر » .

واذا كنت مررت بك مرورا هينا عجلا حين ذكرت لك هؤلاء الرواة الذين كانوا يجلسون فى أرجاء المدينة يفاخر كل واحد منهم بشاعره ، ويقول انه أشعر من صاحبه ، فلقد كانت المفاخرة تتجاوز الرواة المقرظين والمعجبين ، فقد ذكر شعر الحارث بن خالد ، وشعر عمر بن أبى ربيعة عند ابن أبى عتيق فى مجلس رجل من ولد خالد بن العاص بن هشام ، فقال المنتصر لشعر الحارث : أليس صاحبنا الذى يقول :

انى وما نحروا غداة منى
عند الجمار يئودها العقل
لو بدلت أعلى مساكنها
سفلا ، وأصبح سفلها يعلو
فيكاد يعرفها الخبير بها
فيرده الاقواء والمحل
لعرفت مغناها بما احتملت
منى الضلوع لأهلها قبل

فقال له ابن ابى عتيق : يابن أخى استر على نفسك واكتم على

---

(١) الاغانى ، اخبار عمر بن ابى ربيعة

صاحبك ، ولا تشاهد المحافل بمثل هذا ، أما تطير الحارث عليها حين قلب ربعها فجعل عاليه سافله ، ما بقى الا أن يسأل الله تبارك وتعالى لها حجارة من سجيل • ابن ابى ربيعة كان أحسن صحبة للربع من صاحبك وأجمل مخاطبة حيث يقول :

سائلا الربع بالبلى وقولا
هجت شوقا لى الغداة طويلا
اين حى حلوك اذ أنت محفو
ف بهم آهل أراك جميلا
قال ساروا وأمعنوا واستقلوا
وبرغمى لو استطعت سبيلا
سئمونا وما سئمنا مقاما
وأحبوا دماثة وسهولا

فانصرف الرجل خجلا مذعنا • (1)

ويملك هذا اللون على الحجازيين أمرهم حتى يقتحم حلقات العلم ، ويهش له الفقيه الكبير عبد الله بن عباس ويطرب لسماعه (2) ويطول بنا الحديث اذا نحن اخذنا فى اسبابه فى هذه البيئة ، فنوجزه لننتقل الى مكان آخر ، ولون آخر •

ففى العراق توزعت أهواء الناس ، وأكثرهم يناوىء الدولة ، فالخوارج فى طريق ، والمرجئة فى طريق ، والعدنانية واليمنية على شقاق ، وشيعة عبد الله بن الزبير تدعو له سرا ، والدولة راضية بهذا الشتات حتى لا يجتمع اثنان على هدمها ، وهناك من يقول أن المعركة الهجائية الكبيرة التي نشبت بين جرير والفرزدق ، ودخل فيها الأخطل والراعى وسراقة

(1) الاغانى 1 : 106 — 109
(2) الاغانى 1 : 73

البارقى كانت بتحريض من رجال الدولة وتشجيع عليها فان صح هذا فهى ملهاة جديدة أخذت فى العراق طابعا يتفق وهـذا الجـو المشحون بالفرقة والأحزاب .

عناية الامويين بالرواية

وكان الامويون فى دمشق لا تصرفهم أعباء الدولة عن رواية الشعر ، وكانت هذه الدولة كما يقول الجاحظ عربية أعرابية يرسلون بأبنائهم الى البادية ليفصحوا أو يستقدمون لهم المؤدبين يروونهم الشعر ، أما الرؤساء فكانوا يستدنون الشعراء ويستمعون اليهم ، ويأخذون فـى أسباب هذه المذاكره حتى اذا استعصى عليهم بعضها أبردوا فيهـا بريدا الـى العـراق ليأتيهم بالصواب ، وكان أبو عبيدة يلحظ هذا ويقول : ما كنا نفقد فـى كل يوم راكبا من ناحية بنى أمية ينيخ على باب قتادة فيسأله عـن خبر أو نسب أو شعر . (1)

وبعث هشام بن عبد الملك الى حماد الراوية لبيت خطر بباله لم يـدر قائله وهو :

ودعـوا بالصبوح يوما فجاءت
قينـــة فـى يمينهـا ابريـق

قال حماد : هذا يقوله عدى بـن زيد فـى قصيدة لـه ، فاستنشده القصيدة ... (2)

ثم لم تعد رواية الشعر تلتمس لأغراضها السابقـة فحسب ، ولكـن بحث عنها اللغويون ليجدوا فيها شواهدهم ، واستقلت البلاغـة والنقـد فوجد فى رواية الشعر امثلته ، والتمس النحويون فيها مـا يقاس وما يشذ عن القياس الى غير ذلك .

---

(1) وفيات الاعيان 3 : 248
(2) نزهة الالبا 47

رواية الأنساب

العناية بحفظ الأنساب من تقاليد الأمم التى تعيش فى البداوة ، فقد كان اليونان فى ابان حياتهم الاولى يهتمون بذلك ، ويرفعون أنساب أبطالهم الى الآلهة ، أما الأمم السامية فقد فاقت الجميع فى هذا الميدان ، فترى العهد القديم يمعن فى تتبع أنساب بنى اسرائيل ، بل جميع الأمم المعروفة فى تلك العهود الغابرة ، فيذكر جداول هامة عن سلالة آدم الى أيام موسى فى سفر التكوين ، كما أنه يحاول تحديد عدد الأسباط الذين خرجوا مع موسى ، ومواقعهم الجغرافية فيما يلى ذلك من كتب التوراة ، كما نجد فى سفر أخبار الأيام جداول أخرى مفصلة بملوك اسرائيل الى سلالة سليمان •

وقد عنيت بعض الأناجيل بدورها ــ كمتى ولوقا ــ بتحقيق نسب المسيح عليه السلام ، وذكرت أسلاف يوسف النجار الى أن يصلوها بالسلسلة الصاعدة الى آدم ، والتى أقرها العهد القديم •

وكان النسب عند الساميين بخاصة وسيلة من وسائل الاعلان عن المفاخر ، والتشهير بالمثالب ، ففى سفر التكوين نجد كنعان ينسب الى سام

ابن نوح ، ويكون بهذا ذا قرابة الى بنى اسرائيل ، حتى اذا اصطدم اليهود بالكنعانيين فى محاولة استقرارهم بفلسطين عادوا فنسبوا كنعان الى حام الذى باء باللعنة من أبيه نوح ، وقضى عليه بالعبودية وبسواد الوجه ، وهم طبعا ينسبون المصريين الى حام أيضا .

وعلى نفس الطريقة كان العرب يحرصون على المحافظة على أنسابهم وعلى أن تستفيض فى الناس بطريق التواتر والنقل الشفوى منذ الجاهلية . ولقد ظل ذلك طريق العرب فى التعريف بأنفسهم ، والاشارة الى أصولهم يتواصون بالمحافظة عليه ، وعدم التهاون فيه حتى ليوصى عمر بن الخطاب قائلا (تعلموا أنسابكم ، ولا تكونوا كنبيط السواد اذا سئل الواحد ممن هو ذكر بلده) (1) .

وذكر المفضل بسنده الى عمر بن الخطاب قوله لابنه عبد الرحمن : يابنى ، انسب نفسك تصل رحمك ، واحفظ معانى الشعر يحسن أدبك فان من لم يعرف نسبه لم يصل رحمه (2) . كان العرب يستهدفون من ذلك صلة أرحامهم ، كما يشير عمر فيتزيدون بالنفر العديد ، والقرابة الموصولة وهذا أقصر سبيل الى ما كانوا يعقدونه من محالفات يؤمنون بها حياتهم .

وهناك ناحية أخرى تتصل بحرصهم على مذاكرة الأنساب ، وهى حفظ مآثرهم ، فبعد أن تحدد نسبة القرابة بين القبائل يحرصون على أن تشيع المفاخر والمثالب ، وأن يعرف الملأ من كل قبيلة من أكثر عددا ، ومن أصلب على القتال عودا ، ومن أكرم وأجود ونحو ذلك . ومن أمثلته ما ينقله ابن رشيق عن ابن الكلبى النسابة (العدد من تميم من بنى سعد ،

---

(1) مقدمة ابن خلدون 113 ط بيروت سنة 1886 م

(2) جمهرة اشعار العرب للقرشى 15

والبيت والفرسان من بنى يربوع ، والبيت من قيس فى غطفان ثم فى بنى فزارة ، والعدد فى بنى عامر ، والفرسان فى بنى سليم ، والعدد فى ربيعة والفرسان فى شيبان) كما ينقل عن ابن سلام الجمحى : اذا كنت من تميم ففاخر بحنظلة ، وكاثر بسعد ، وحارب بعمرو • واذا كنت من قيس ففاخر بغطفان ، وكاثر بهوازن ، وحارب بسليم• واذا كنت من بكر ففاخر بشيبان، وكاثر بشيبان وحارب بشيبان • (1)

ولا يتأتى حفظ الأنساب على هذه الصورة الدقيقة الا عن طريق الرواية فظهرت طائفة من النسابين هم رواة النسب ، كانوا يحفظون أسماء القبائل ، وبطونها، وأفخاذها، وفصائلها، حفظا دقيقا • وكثر رواة الأنساب، ولم تخل قبيلة من نسابة وأكثر • كان عمر نسابة أخذ علمه عن أبيه الخطاب، وكان كثيرا ما يقول : سمعت ذلك من الخطاب ، ولم أسمع ذلك من الخطاب • وأخذ الخطاب علمه عن أبيه نفيل بن عبد العزى فهؤلاء ثلاثة فى نسق واحد (2) ومن أشهر النسابين دغفل السدوسى من بنى شيبان : وعميرة بن ضمضم ، وزيد بن الكيس النمرى ، وصعصعة بن صوحان ، وعبد الله بن عبد الحجر بن عبد المدان ، وعبيد بن شرية الجرهمى • كما اشتهر به من قريش بضعة نفر منهم مخرمة بن نوفل بن وهيب بن عبد مناف ابن زهرة ، وأبو الجهم حذيفة بن غانم ، وحويطب بن عبد العزى ، وعقيل ابن أبى طالب ، وعمر بن الخطاب ، والخطاب بن نفيل ، ونفيل بن عبد العزى ، وكان أبو بكر من مشاهير النسابين •

ولم تكن رواية الأنساب قاصرة على معرفة القبائل وأصولها وفروعها،

---

(1) العمدة 2 : 155

(2) البيان والتبيين للجاحظ 1 : 304 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1367 هـ ــ 1948م بتحقيق عبد السلام هارون

بل تعدت هذه العناية الى الخيل فنسبوها وذهبوا بأنسابها الى أسلاف بعيدة • قاد عياش بن الزبرقان بن بدر الى عبد الملك بن مروان خمسة وعشرين فرسا ، فلما جلس لينظر اليها نسب كل فرس منها الى جميع آبائه وأمهاته ، وحلف على كل فرس بيمين غير اليمين التى حلف بها على الفرس الآخر ، فقال عبد الملك بن مروان : عجبى من اختلاف أيمانه أشد من عجبى من معرفته بأنساب الخيل (1)

وأشهر النسابين ، ممن عنى الرواة بذكرهم والتنويه بشأنهم دغفل السدوسى حتى ليضربون به المثل فيقال : أنسب من دغفل ، ومن أخباره هذه القصة التى ينسبون اليه فيها أنه تصدى لأبى بكر على النحو التالى :

يروى عكرمة عن ابن عباس عن على بن أبى طالب قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرض نفسه على القبائل خرج مرة وأنا معه وأبو بكر حتى رفعنا الى مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم •

قال على : وكان أبو بكر مقدما فى كل خبر وكان رجلا نسابة •

فقال : ممن القوم ؟

قالوا : من ربيعة •

قال : وأى ربيعة أنتم ؟ أمن هامتها أم من لهازمها ؟

قالوا : من هامتها العظمى •

قال : وأى هامتها العظمى أنتم ؟

قالوا : ذهلا الأكبر •

قال ابو بكر : فمنكم عوف بن محلم الذى يقال فيه : لا حر بوادى عوف ؟

قالوا : لا •

---

(1) البيان والتبيين 1 : 305 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر تحقيق هارون

قـال : فمنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء ؟
قالوا : لا •
قـال : فمنكم جساس بن مرة الحامى الذمار والمانع الجار ؟
قالوا : لا •
قـال : فمنكم الحوفزان ، قاتل الملوك وسالبها أنفسها ؟
قالوا : لا •
قـال : فمنكم أخوال الملوك من كندة ؟
قالوا : لا •
قـال : فمنكم أصهار الملوك من لخم ؟
قالوا : لا •
قال أبو بكر : فلستم ذهلا الأكبر ، أنتم ذهل الأصغر •
فقام اليه غلام من بنى شيبان حين بقل وجهه يقال له دغفل فقال :

ان علـى سائلنـا أن نسألـه
والعـبء لا تعرفـه أو تحملـه

يا هذا ، انك قد سألتنا فأخبرناك ولم نكتمك شيئا ، فممن الرجل ؟
قال أبو بكر : من قريش •
قـال : بخ بخ أهل الشرف والرياسة ، فمن أى قريش أنت ؟
قال : من ولد تيم بن مرة •
قال : أمكنت والله الرامى من سواء الثغرة أفمنكم قصى بـن كلاب الذى جمع القبائل فسمى مجمعا ؟
قـال : لا •
قال : فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومـه ورجال مكـة مسنتون عجـاف ؟
قـال : لا •

قال : فمنكم شيبة الحمد بن عبد المطلب مطعم طير السماء الذى وجهه كالقمر فى الليلة الظلماء ؟

قال : لا .

قال : فمن أهل الافاضة بالناس أنت ؟

قال : لا .

قال : فمن أهل الندوة أنت ؟

قال : لا .

قال : فمن أهل الرفادة أنت ؟

قال : لا .

قال : فمن أهل الحجابة أنت ؟

قال : لا .

قال : فمن أهل السقاية أنت ؟

قال : لا .

فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ، ورجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الغلام :

صادف درء السيل درءا يتبعه

يهيضه حينا وحينا يصرعه (1)

واستحوذ دغفل على اعجاب معاوية بعد أن سأله عن أشياء فخبره بها، فقال : بم علمت ؟ فقال : بلسان سئول وقلب عقول (2) .

وقريب من منزلة دغفل عند علماء النسب زيد بن الكيس النمرى

---

(1) العقد الفريد 3 : 326 ، والبداية والنهاية 3 : 143 ، بلوغ الارب 3 : 200

(2) المزهر 1 : 198 ط السعادة و 1 : 504 ط الحلبى

فكانا يقرنان اذا ذكروا شوامخ النسابين ، وينقل أبو عبيدة عن مسكين بن عامر قوله :

فحكِّم دغفلا وارحل اليه
ولا تدع المطى من الكلال
أو ابن الكيس النمرى زيدا
ولو أمسى بمنخرق الشمال

وعلى هذه الصورة كان لرواة الأنساب أمكنتهم العليا فى محيط شديد الحرص على التفاخر بالنفر وبالقرابة كلف بربط اواصرها الى آجال بعيدة .

واذا كان الاسلام قد سوى بين الناس عند ظهور الدعوة ، الا أن هذا الأمر لم يصل صداه الى قلوب الأعراب ، ثم أكدت الاحداث التى صاحبت الفتح ضرورة الرجوع الى رواية الأنساب مرة أخرى ، ذلك أن المجتمع الاسلامى قد شارك فيه العربى وغير العربى ، كان للأول فيه نعرة الفتح ، ورسوخ الأصالة ، وأنه صاحب السيف فكان لزاما عليه أن يزداد كلفا بنسبه وقبيلته . هذا وجه .

والوجه الآخر ، كانت الأرزاق والرواتب تقسم وتمنح على القدر والمنزلة من الأنساب وأهمية الفرد فى الدولة ، والذين سبقوا الى الاسلام كان لهم تقديرهم فكان العطاء يمنح لشيخ القبيلة الذى يتولى توزيعه على أفراده لأن القبيلة ــ فى غالب الاحيان ــ كانت تدخل فى الاسلام عندما يدخل شيخها فيه ، ولذوى القربى من الرسول منزلة ، والذين أسهموا فى نشر الدين منزلة ــ لكل هذا أو بعضه ــ دعا عمر رضوان الله عليه ، رواة الأنساب للتعريف بمنازل الناس ودرجاتهم . دعا عقيل بن أبى طالب ، ومخرمة بن نوفل ، وجبير بن مطعم وكانوا من نساب قريش فقال : اكتبوا الناس على منازلهم ، فكتبوا وبدأوا ببنى هاشم (1) .

(1) الطبقات الكبرى لابن سعد 3 : 212

وهنا وقد ظهرت للأنساب أهميتها بـدأت صناعتها ، فكان الموالـي يجاهدون فى الصاق صلتهم بقبائل العرب بعد أن أصبح لهم كيانهم وسلكوا فى هذا طريقين للتنفيس عن رغباتهم فكانوا أحيانـا يضعون الكتب فـي مثالب العرب ليغضوا من شأنهم وليشهروا بهم وأحيانـا يحاول بعضهم أن ينتسب الى العرب ، ويصنع لنفسه نسبا يلحقه باحدى القبائل •

ولقد بلغ من اهتمامهم بالأنساب أن حاول بعض العـرب أنفسهم أن يؤكد صلته ، ولقد استرعى نظرنا ما كان من أمر معاوية حين مست حاجته الى زياد ليكون عونا له فى ادارة الدولة أن استلحقه بنسبه ، ويذكـر ابن النديم أن زيادا عمل كتابا فى نسبه دفعه الى ابنه ليستعين به على من يعيره من العرب •

أما الذين أسرفوا فى التأليف فى مثالب العرب فهم طبقة الموالى كمـا ذكرنا ، منهم أبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبو نواس ، وكان علان الشعوبى على رأس هؤلاء جميعا ذكره ابن النديم بقوله (أصله مـن الفرس وكـان راوية عارفا بالأنساب والمثالب والمنافرات منقطعا الى البرامكة ، عمل كتاب « الميدان » فى المثالب الذى هتك فيه العرب وأظهر مثالبها) •

روايـة القـــرآن الكريم

التفاف المسلمين والملحدين حول القرآن

منذ نزل القرآن الكريم ، أخـــذ يثير فـــى جـــو العرب طائفة مـــن الاحاسيس ، وحمل فى اعجازه اللغوى معجزته الدينيـــة ، فتجمع حولـــه المسلمون والملحدون على السواء •

أما المسلمون فقد وجدوا فيه كتابهم المقدس يحمل اليهم تعاليم دينهم ودنياهم ، وأما كافة العرب ، ومنهم بالاضافة الى المسلمين ، أعراب ملاحدة أشد كفرا ونفاقا فقد التفوا حوله مأخوذين ــ معجزة مـــن عنده سبحانه ــ حين رأوا فيه هذه الصفة اللغوية التـــى ملكت عليهم أمرهم وتسللت الـــى شغاف قلوبهم ، وهى من أدق حواسهم وأرهفها ، فحاولوا مغالبته ، وذهبوا فى عنادهم هذا كل مذهب ، وضعوا أصابعهم فى آذانهم حتى لا يصل الى ادراكهم فيصيبهم فى حاستهم ، وتناهوا عن سماعه ، وقالـــوا (لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) واختاروا بلغاءهم وأرسلوهم الـــى النبى صلى الله عليه وسلم ليصرفوه عن غايته ، فما ربحت تجارتهم ، وكتب

السيرة مليئة بما يصور هذا التأثير السيء عليهم ، ولو فصلناه لجاوزنا ما وعدنا به من ايجاز ، وحسبك ما يقال ان اسلام عمر كان بسبب هذا الافتتان اللغوى ، أما الصورة المعبرة حقيقة عن حيرتهم ، واتجاههم اليه مرغمين فهي قصة هؤلاء النفر من فتيان قريش الذين كانوا يستخفون في جنح الليل يذهبون يستمعون القرآن من النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقيم به صلاته ، فاذا عادوا جمعتهم الطريق وانكشفوا ، وتلاوموا ؛ وأقسموا الا يعودوا استجابة لعنادهم وتمسكا بعصبيتهم و الفهم، وما تكاد تأتى الليلة التالية حتى يكون من أمرهم ما كان بالأمس ، يعودون فى خفية يحسب كل منهم أن لم يره أحد .

وهذا أبو الوليد عتبة بن ربيعة ، بعثه قومه الى الرسول صلى الله عليه وسلم يحاول أن يخدعه عن غايته ، فمضى اليه ، وأخذ يكلمه بما هيأ فى نفسه من كلام ، حتى اذا فرغ ، أخذ الرسول يقرأ عليه آيات من سورة فصلت ، وعتبة منصت لما يسمع ، وقد مثل فى هيئة المأخوذ ، واضعا يديه من وراء ظهره ، ثم عاد الى قومه بوجه غير الوجه الذي ذهب به ، فلما سئل ما وراءك ، قال : ورائى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة .

حفظة القرآن في عهد النبي ﷺ

وكتب السيرة والقراءات تشير الى عدد كبير من الصحابة قد حفظوا القرآن كله على عهد النبى صلى الله عليه وسلم فمن المهاجرين : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وطلحة ، وسعد ، وابن مسعود ، وحذيفة ، وسالم مولى أبى حذيفة ، وأبو هريرة ، وابن عمر ، وابن عباس ، وعمرو بن العاص ، وابنه عبد الله ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعبد الله بن السائب ، وعائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وأم ورقة بنت عبد الله بن الحارث .

وممن حفظه من الأنصار : زيد بن ثابت ، ومعاذ بن جبل ، وأبى بن كعب ، وأبو الدرداء ، ومجمع بن حارثة ، وأنس بن مالك ، وأبو زيد الأنصارى (1) ولا يبعد أن يكون من العرب من غير المهاجرين والأنصار من حفظ القرآن كله أو بعضه بسبب لغته واعجازه .

القراء والرواة

تصادفنا كلمة القراء باكورة هجرة الرسول الى المدينة وانصراف فئة من المسلمين ـ كما يقول أبو نعيم فى حلية الأولياء ـ عن أنس بن مالك (أنه كان بالمدينة سبعون رجلا من الانصار ، كانوا اذا جنهم الليل آووا الى معلم لهم بالمدينة يبيتون يدرسون القرآن) وقد ذكر من هؤلاء السبعين قتلى بئر معونة ، الذين وصفوا بالقراء ، وعرف من مهمتهم أنهم أعدوا لاقراء الناس وتبصرتهم بالدين ، وانهم سفراء المسلمين فى الاماكن التى يدعون اليها ، فكان عليهم الالمام بما يتصل بهذه الغاية ، وجاء فى وصفهم فى كتاب الاتقان قول السيوطى (اعتنى قوم بضبط لغات القرآن ، وتحرير كلماته ، ومعرفة مخارج حروفه ، وعددها ، وعدد كلماته ، وآياته ، وسوره، وأحزابه ، وأنصافه ، وأرباعه ، وعدد سجداته ، والتعليم عند كل عشر آيات الى غير ذلك من حصر الكلمات المتشابهة والآيات المتماثلة من غير تعرض لمعانيه ولا تدبر لما أودع فيه فسموا القراء) .

وهنا تلميح بأن القراء عليهم أن يعنوا باقرائه ، بلغاته ، وليس عليهم أن يعرضوا لمعانيه ، فهل تفهم من هذا ، أنه لم تنشأ بعد ضرورة لتفسير القرآن ، وأن مهمة القراء تقتصر على مهمة نقله واقرائه بالتفصيل السابق لتعريف القراء كما جاء فى كتاب الاتقان ؟

---

(1) انظر فى هذا كتاب النشر 1 : 6 ، والبرهان فى علوم القرآن للزركشى 1 : 241

يبدو هذا في الفترة المبكرة جدا لظهور الاسلام ، وقـد نزل القرآن بلغتهم • يقول ابن خلدون في الفصل الذي عقده في المقدمة ـ عـن علوم القرآن في التفسير والقراءات ـ (وأما التفسير ، فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب ، وعلى أسلوب بلاغاتهم ، فكانوا كلهم يفهمونه ، ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه ، وكان ينزل جملا جملا ، أو آيات آيات لبيان التوحيد ، والفروض الدينية بحسب الوقائع ، ومنها ما هو في العقائد الايمانية ومنها ما هو في أحكام الجوارح ، ومنها ما يتقدم ، ومنها ما يتأخر ويكون ناسخا له ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبين المجمل ويميز الناسخ من المنسوخ، ويعرفه ويعرّفه أصحابه ، فعرفوه ، وعرفوا سبب نـزول الآيات ومقتضى الحال منقولا عنه) ولا يطعن في كلام ابن خلدون أن يكون حكمه في فهم العرب له ـ غالبيا ـ لا تاما ، أو يفهمونه بمجموعه لا بجميعه ، فقد جاءت الأخبار بتوقف بعض الصحابة أمام مفردات يسألون عـن معانيها لم تكـن بلهجات قومهم • ثم لا تلبث أن تستفيض نواحي التفسير كلما مد الله فـي ظل الاسلام •

وهم ينسبون أول تفسير للقرآن لابن عباس استنادا على أنـه أعطى عناية فائقة لكل ما أثير من أخبار حول الدعوة الاسلامية ، ومـع الشكوك التي تحيط بهذا الكتاب الذي نسب الى ابن عباس فـي علم التفسير فانـي أرى في الخبر تنويها بعناية هذا العالم بالدعوة منذ النشأة الاولى ، وكـان من اساتذته رجلان يعتبران أفذاذا في العلم بالقرآن أولهما : علي بـن أبي طالب الذي روى عنه قوله : « سلوني عن كتاب الله ، فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أبسهل نزلت أم فـي جبل » ، وقـد يمكن توجيه المبالغة الى هذه الرواية، ولكنها قريبة من صفات علي رضي الله عنه•

أما استاذ ابن عباس الثاني فهو زيد بن ثابت ، فقد ولد بالمدينة قبـل الهجرة بنحو أحد عشر عاما ، ولكن نشأته كانت بمكة بعد مقتل أبيه ثابت،

وشهد وهو صغير هذه الحركات الاسلامية حين كان أهل المدينة وهم أهله يذهبون الى مكة فى موسم الحج ، ثم شهد الهجرة حتى كان يوم أحد يحاول أن يشترك فى الجهاد بالسيف فيرده الرسول صلى الله عليه وسلم لصغر سنه ، ثم يعود يوم الأحزاب فلم يجد الرسول بأسا فى قبوله •

وبمثل هذه الرغبة أقبل يتعرف على علوم الاسلام حتى رشحه هذا ليكون أحد كتاب الوحى ، وهو أعلم الصحابة بالقرآن ، ثم تنتدبه الدولة أيام أبى بكر لجمع القرآن ، وأيام عثمان لنسخه فى المصاحف • واشتدت صلة ابن عباس بزيد بن ثابت حتى كان يأخذ بركابه اذا ركب ، ويقول : أمرنا أن نتواضع لعلمائنا ، وظل يلازمه الى أن مات سنة خمس وأربعين من الهجرة فتطلع الناس الى ابن عباس أن يكون خلفا لزيد ، فيقول أبو هريرة: اليوم مات حبر هذه الأمة ، وعسى الله أن يجعل فى ابن عباس خلفا له •

أما — رواة القرآن — فهم حملته عن القراء الذين أسندوا قراءتهم متواترة الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وان اختلفت بحسب التخفيف الذى يعنيه الحديث (ان القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف) أو كما قال • وتستطيع أن تجد دواعى الرواية ، بهذا الاختلاف ، أو على الأصح بهذا التخفيف من عهد مبكر فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأول ما يصادفنا منها هذا الخلف الذى رأيناه بين عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم • يروى بسنده عن عمر قال :

(سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان فى حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فاستمعت لقراءته ، فاذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكدت أساوره فى الصلاة ، فتصبرت حتى سلم ، فلببته بردائه ، فقلت : من أقرأك هذه السورة التى سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : كذبت،

فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت فانطلقت به أقوده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : اني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسله ، اقرأ يا هشام ، فقرأ عليه القراءة التى سمعته يقرأ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت . ثم قال : اقرأ يا عمر ، فقرأت القراءة التى أقرأنى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كذلك أنزلت ، ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه (1) .

وفى رواية لأبيّ بن كعب انه قال : دخلت المسجد أصلى ، فدخل رجل فافتتح النحل ، فقرأ ، فخالفنى فى القراءة ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء رجل فقام وصلى فقرأ وافتتح فخالفنى وخالف صاحبى ، فلما انفتل قلت : من أقرأك ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية ، فأخذت بأيديهما وانطلقت بهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : استقرىء هذين ، فاستقرأ أحدهما ، فقال : أحسنت ، فدخل قلبى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية ، ثم استقرأ الآخر فقال : أحسنت . فدخل صدرى من الشك والتكذيب أشد مما كان فى الجاهلية ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدرى بيده فقال : أعيذك بالله يا أبيّ من الشك ...

وللطبرى المفسر المؤرخ ، وللطبرانى المحدث عن زيد بن أرقم قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أقرأنى ابن مسعود سورة أقرأنيها زيد ، وأقرأنيها أبيّ بن كعب ، فاختلفت قراءتهم ، فبقراءة أيهم آخذ ؟ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليّ الى جانبه ، فقال عليّ : ليقرأ كل انسان منكم كما علّم فانه حسن جميل .

---

(1) فضائل القرآن لابن كثير 72 ط المنار سنة 1347 هـ

والذين فسروا الحديث الذى يجيز قراءة القرآن على سبعـة أحرف ، ذهبوا فى تفسيره مذاهب شتى ، وبعضها تتعارض ، ولكن مـن بينها مـا جاء فى اعقاب هذه الامثلة التى ذكرتها فى جواز اختلاف اللهجات ، وصحة القراءة بألسن القبائل • أخرج أبو يعلى فـى مسنده أن عثمان قال عـلى المنبر : أذكر الله رجلا سمع النبى صلى اللـه عليه وسلم قال : (ان القرآن انزل على سبعة أحرف كلها شاف كاف لمـا قام) فقاموا حتى لـم يحصوا فشهدوا بذلك فقال : وأنا أشهد معكم ، رواه جمع من الصحابة يبلغ عددهم واحدا وعشرين صحابيا •

تخفيف الجهد

وفى فهمى للحديث الشريف أن المقصود منه هو تخفيف الجهد عـلى القبائل ، وعدم حملهم على تكلف لهجات غيرهم ، ويفصل ابن قتيبة ذلـك فيقـول :

(لم ينزل القرآن الا بلغة قريش ، واحتج بقوله « ومـا أرسلنا مـن رسول الا بلسان قومه » فعلى هذا تكون اللغات السبع فى بطون قريش) وقال ان الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يقرىء كل أمة بلغتهم ، ومـا جرت به عادتهم ، فالهذلى يقرأ عتى حين ، وغيره : حتى حـين ـ والأسدى يِعلمون وتِعلمون وتِسود وجـوه ، وألـم اعهد اليكـم بكسـر حرف المضارعة • والتميمى يهمز ، والقرشى لا يهمز ، والآخر يقرأ قيل لهم وغيض الماء باشمام الضم مع الكسر ، وهذا يقرأ عليهم وفيهم بضـم الهاء وهكذا ، وكل ذلك ثابت بالوحى المنزل على نبيه صلى الله عليـه وسلم • قال ابـن قتيبـة :

ولو أراد كل فريق من هؤلاء أن يتنزل عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا ويافعا وكهلا لاشتد ذلك عليه وعظمت المحنة فيه ، ولا يمكنه الا بعد

رياضة للنفس طويلة وتذليل للسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل له متسعا فى اللغات ومتصرفا فى الحركات • وعلى هـذا فكلمة السبعة لا تتوجه الى تحديد العدد ، وانما تعنى الكثرة من غير تحديد بحيث تشمل أقوال القرشى والهذلى والتميمى وغيرهم ، ولعلك لاحظت أن عمر ابن الخطاب ، وهشام بن حكيم اختلفا وهما ينتسبان الى أرومة واحدة •

ومن هذا الوجه أفهم قول أبى شامة (ظن قوم أن القراءات السبع الموجودة الآن هى التى أريدت فى الحديث ، وهو خلاف اجماع أهل العلم قاطبة ، وانما يظن ذلك بعض أهل الجهل ، وقال مكى بن أبى طالب : وأما من ظن أن قراءة هؤلاء القراء كعاصم ، ونافع هى الاحرف السبعة التى فى الحديث فقط غلط غلطا عظيما •••• وقال : وهذه القراءات التى يقرأ بها اليوم وصحت رواياتها عن الائمة جزء من الاحرف السبعة التى نزل بها القرآن) •

تعددت القراءات ، وتجاوزت الحصر ، ولكن القرآن الكريم ، وهو كتاب هذا الدين الحنيف كان قد جمع شملهم ، وضيق ما كان بينهم من خلاف فاتفقوا على سبعة من القراء هم :

ابو عمرو بن العلاء ، ويعقوب بن اسحق الحضرمى بالبصرة ـ وحمزة ابن حبيب ، وعاصم بن أبى النجود بالكوفة ـ وعبد الله بن عامر اليحصبى بالشام ـ وعبد الله بن كثير بمكة ـ ونافع بن أبى نعيم بالمدينة •

وفى بداية القرن الثالث حذف منهم يعقوب وأثبت مكانه الكسائى • والذين يعرفون بالقراءات العشر يضيفون الى هؤلاء السبعة يعقوب الحضرمى ، وأبا جعفر يزيد بن القعقاع وأبا محمد خلف بن هشام • ثم عرفت القراءات الأربع لمحمد بن محيصن المكى ، والاعشى الكوفى ، والحسن البصرى ، ويحيى اليزيدى ، ونحن نعرف بايجاز شديد بالقراء العشر ، وراويين لكل منهما :

نافع بن عبد الرحمن 30 ــ 169 هـ

أخذ عن أبى ميمونة ، مولى أم سلمة ، وأجمع الناس عليه بعد التابعين ، وانتهت اليه رياسة الاقراء بالمدينة ، أخذ عنه مباشرة : ورش ، وقالون .

ابن كثير 45 ــ 120

هو أبو سعيد عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله ، لقى بعض الصحابة وترأس الاقراء بمكة ــ حمل قراءته أبو الحسن احمد بن محمد المعروف بالبزى وأبو عمرو محمد بن عبد الرحمن المعروف بقنبل .

أبو عمرو بن العلاء 68 ــ 155

قرأ بمكة والمدينة والكوفة والبصرة على جماعة كثيرة ، وليس في القراء السبعة اكثر شيوخا منه ، ذكر ذلك صاحب طبقات القراء ، وذكر ثبتا بأسماء الشيوخ الذين أخذ عنهم ــ روى عنه ابو عمرو حفص بن عمر ابن عبد العزيز البغدادى الضرير المعروف بالدورى ، كما روى عنه أبو شعيب صالح بن زياد المعروف بالسوسى .

ابن عامر الدمشقي 61 ــ 118

هو أبو عمران عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم اليحصبى ، قاضي دمشق وشيخ الاقراء بها ، روى قراءته أبو الوليد هشام بن عمار بن نصير ابن ميسرة السلمى الدمشقى ، وكان هشام مشهورا بالنقل والفصاحة والعلم والرواية والدراية . ومن رواة ابن عامر أيضا ــ ابن ذكوان ــ ابو عمرو عبد الله بن بشير من شيوخ الاقراء بالشام ، قرآ بسند عن ابن عامر ، ولم يرويا عنه مباشرة ، قرآ على أبى سليمان أيوب بن تميم ، وعلى سويد بن عبد العزيز ، وعلى صدقة بن خالد ، وقرأ الثلاثة على أبى عمر الذمارى ، وقرأ هو على ابن عامر (1) .

---

(1) شرح طيبة النشر 9

عاصم بن أبي النجود 00 ــ 127

من التابعين ، وشيخ الاقراء بالكوفة ، حسن الصوت ، وكان ابو اسحق السجيعي يقول : ما رأيت أحدا أقرأ للقرآن من عاصم • روى عن أبى رمثة التميمى والحارث بن حسان البكرى وكانت لهما صحبة • وروى قراءته أبو بكر شعبة بن عباس بن سالم الاسدى الكوفى ، وعرض القرآن على عاصم ثلاث مرات ــ كما روى قراءته أيضا حفص بن سليمان بن المغيرة الاسدى الكوفى ، امتدحه يحيى بن معين وقال : الرواية الصحيحة التى رويت عن قراءة عاصم رواية ابن عمر حفص بن سليمان ، وكانت القراءة التى اتخذها عن عاصم ترتفع الى على رضى الله عنه •

أبو عمارة حمزة بن حبيب 80 ــ 156

كان امام الناس فى القراءة بعد عاصم والاعمش ، وكان حمزة قارئا مجودا حافظا للحديث • روى قراءته أبو محمد خلف بن هشام البزاز ، أحد القراء العشرة وأحد الرواة عن سليم عن حمزة ، وروى قراءته أيضا أبو عيسى خلاد بن خالد الشيبانى الكوفى ، أخذها عرضا عن سليم عن حمزة •

أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي 00 — 189

من علماء الكوفة بالنحو واللغة ، وأعانه هذا ليكون امام الناس فى القراءة فى زمانه ، رحل اليه الخلق وكثر الآخذون عليه حتى كان يجمعهم فى مجلس واحد ويجلس على كرسى ، ويتلو القرآن من أوله الى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه ، روى قراءته أبو الحارث الليث بن خالد البغدادى ، وأبو عمرو حفص بن عمر بن عبد العزيز وقد ذكرناه مع رواة أبى عمرو بن العلاء، وقال عنه الأهوازى : رحل الدورى فى طلب القراءات، وقرأ بسائر الحروف السبعة ، وبالشواذ •

أبو جعفر يزيد بن القعقاع المخزومي 100 — 130

تابعى جليل ، أخذ القراءة عن الصحابة ، وانتهت اليه رياسة الاقــراء بالمدينة يقال انه قرأ على زيد بن ثابت ، وقرأ على عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة ، وقرأ على عبد الله بن عباس ـ وقرأ عليه نافع بن أبى نعيم •

روى قراءته ابو الحارث عيسى بن وردان المدنى الحذاء ، عرض على أبى جعفر وشيبة ثم عرض على نافع ، وهو من قدماء أصحابه ، كمـا روى قراءته أبو الربيع سليمان بن مسلم بن جماز الزهرى •

يعقوب بن اسحاق الحضرمي 00 — 205

كان اماما ثقة ، انتهت اليه رياسة الاقراء بعد أبى عمرو ، وكان امـام جامع البصرة ، يقول ابو حاتم السجستانى : كان يعقوب أعلم مـن رأيت بالحروف والاختلاف فى القرآن وعلله ومذاهب النحو •

روى عنه أبو عبد الله محمد بن المتوكل المعروف بـ (رويس) وهـو بصرى وكذلك روى قراءته روح بن عبد المؤمن بن عبـده الهذلى وهـو بصرى نحوى ومن أوثق أصحاب يعقوب روى الحروف عـن احمـد بـن موسى ، ومعاذ بن معاذ •

خلف البزاز 150 ـ 229

سبق ان عرفنا بخلف كأحد رواة حمزة ، وروى عن خلف اسحق بن ابراهيم بن عثمان وادريس بن عبد الكريم الحداد •

هذا تعريف موجز بأصحاب القراءات العشر ، وراويين لكـل منهما ، ولا يعنى هذا التعريف حصرا بكل القراء فهم أكثر مـن هـذا ، واذا ذكرنا راويين مثلا لأبى عمرو فقد اشتهر عنـه سبعة عشر راويـا هم : اليزيدى ، وشجاع ، وعبد الوارث ، والعباس بن الفضل ، وسعيد بن أوس ، وهارون الأعور ، والخفاف ، وعبيد بن عقيل ، وحسين الجعفى ، ويونس بن حبيب ،

واللؤلؤى ، ومحبوب ، وخارجـة ، والجهضمى ، وعصمـة ، والأصمعى ، وأبو جعفر الرؤاسى • (1)

واذا تفرع عن الرواة اصحاب الطرق تشعب بنا الحصر • (2)

---

(1) النشر فى القراءات العشر 1 : 42

(2) الذى يروى عن الراوى يسمى طريقا ، فنقول مثلا هذه قراءة نافع، من رواية قالون من طريق أبى نشيط . . . انظر شرح طيبة النشر 13

رواية الحديث

كلمة الحديث مجردة تعنى لأول وهلة حديث النبى صلى اللـه عليـه وسلم وكلمة الرواة مجردة تنصرف أيضا الى المحدثين ، وهم جماعة عنـوا بدراسته عناية شديدة ، بمتنه بادىء الأمر فلما رفع الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى عنـوا بالسند ، ولهم فـى المتن والسند دراسات مستفيضة أرجو أن أشير الى خطوطها العريضة ، فحصرها على جهة التوسع أو الاستقصاء أمر يصعب دركه وليس من منهجنا فى هذه العجالة .

تعريف الحديث

يعرفه أبو البقاء بأنه اسم من التحديث ، وهو الاخبار ، ثم سمى بـه قول او فعل أو تقرير نسب الى النبى صلى الله عليـه وسلم (1) ، ويحسن بنا أن نضع على صدر هذا المقال أعلام رجاله منذ بدأوا . ثم أحسنهم عناية به منذ تكلموا فيه ورووا وألفوا .

---

(1) قواعد التحديث 1 : 61

قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى الاثنين لاثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة احدى عشر من هجرته وخلفه :

أبو بكر	توفى سنة 13 هـ
عمر	توفى سنة 23 هـ
عثمان	توفى سنة 35 هـ
على	توفى سنة 40 هـ

وعنى بالحديث ـ بالاضافة الى الراشدين :

أصحاب المذاهب

عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى	توفى سنة 157 بالشام
سفيان الثورى	توفى سنة 161 بالبصرة
مالك بن أنس	توفى سنة 179 بالمدينة
أبو حنيفة النعمان	توفى سنة 150 ببغداد
محمد بن ادريس الشافعى	توفى سنة 204 بمصر
أحمد بن حنبل	توفى سنة 241 ببغداد

وأصحاب كتب الحديث

ابو عبد الله البخارى	توفى سنة 256
مسلم بن الحجاج بن مسلم	توفى سنة 261
أبو داود السجستانى	توفى سنة 275
أبو عيسى الترمذى	توفى سنة 279
أبو عبد الرحمن النسائى	توفى سنة 303
أبو الحسن الدار قطنى	توفى سنة 385

أبو عبد الله النيسابورى	توفى سنة 405
أبو محمد عبد الغنى بن سعيد	توفى سنة 409
أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى	توفى سنة 430
أبو عمر بن عبد البر	توفى سنة 463
أبو بكـــر البيهقى	توفى سنة 458
أبو بكر أحمد بن على الخطيب البغدادى	توفى سنة 463 (1)

وضع متن الحديث ، ورواته لدراسة دقيقـة وعميقة ، تناولوا مـن يحتج بحديثه ويلزم قبول روايته ، وتقسيم الثقـاة منهم ، ووجوب البحث والسؤال للكشف عن أمور الرواة ، وجواز سماع الصغير ، وهـل يعتـد برواية الذمى والمشرك اذا تأكد سماعه للحديث ، وما يستوى فيـه المحدث والشاهد ، وموقفهم من أهل البدع والأهواء ، وردهم لحديث أهل الغفلة، ومن عرف بالتساهل فى الحديث ، ومن روى حديثا ثم أتبعه باسناد آخر ، وفرقوا بين من قال : سمعت ، وحدثنا ، وأخبرنا .... الـى غير ذلك من تفريعات تدخل فى اصطلاحهم (الجرح والتعديل) .

وفى المتن تكلموا عن مدى التمسك بلفظ الحديث كما تكلموا عـن جواز روايته بالمعنى ، ومن أجاز ابدال كلمة بكلمة ، أو قدم وأخر ، ومـن زاد أو أنقص حرفا ولو لم يتغير به المعنى ، وهل يجوز تقطيع المتن الواحد وتفريقه فى الأبواب ، وماذا فى اللحن وتـرك الاعراب ، وهـل يجـوز استثبات الراوى من حديث عن طريق كتابه اذا شك فيـه مشافهة ، وهـل يجوز تلقين الضرير من كتابه .. الى غير ذلك . وبحسبنا مـن كل هـذا رؤوس الموضوعات أو أهمها .

---

(1) التقريب للنووى 46

للمحدثين اصطلاحات تعرف لهم، فاذا وجدتها بعد ذلك عند اللغويين، أو رجال الأصول ، أو الفلاسفة ، أو المتكلمين فهم فـي هـذا تبع لرجال الحديث • فالأخبار عندهم تواتر ، وآحاد ، فأما خبر التواتر فهو مـا يخبر به القوم الذين يبلغ عددهم حدا يعلم منه عند مشاهدتهم بمستقر العادة أن اتفاق الكذب منهم محال وأن التواطؤ منهم فـي مقدار الوقت الذى انتشر الخبر عنهم فيه متعذر ، وأن ما أخبروا عنه لا يجوز دخول اللبس والشبهة فى مثله ، وأن أسباب القهر والغلبة والامور الداعية الـى الكذب منتفيـة عنهم ، فمتى تواتر الخبر عن قوم هذه سبيلهم قطع عـلى صدقه ، وأوجب وقوع العلم ضرورة • وأما خبر الآحاد فهو ما قصر عـن صفة التواتر ولم يقطع به العلم وان روته الجماعة • (1)

وأعلى مراتب الرواية كما يفهم من كلام يحيى بن محمد بن يحيى ألا يكتب الخبر عن النبى صلى الله عليه وسلم حتـى يرويه ثقة عـن ثقة حتى يتناهى الخبر الى النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة ، ولا يكون فيهم رجل مجهول ولا رجل مجروح • (2)

ووضعوا رجـال الحديث تحت الميـزان الدقيـق ، وكـان سؤالهم التقليدى بعد سماع الحديث هو : أين سنده أو عمن ، حتى لم يرق لبعض العلماء هذا السؤال ، سأل حفص بن غياث ، الأعمش عـن اسناد حديث ، فأخذ بحلقه ، وأسنده الى حائط وقال : هـذا اسناده (3) وذكـر أيـوب السختيانى لمحمد بن سيرين حديثا عن أبى قلابة ، فقال : أبـو قلابـة رجل صالح ، ولكن عمن ذكره أبو قلابة ؟ (4) ، وحدث البصرى بحديث فقيـل

---

(1) الكفاية فى علم الراوية 16 لابى بكر أحمد بن على بن ثابت ط حيدر آباد 1357 هـ

(2) الكفاية فى علم الرواية 20 (3) العقد الفريد 1 : 4

(4) قواعد التحديث 137

له : يا أبا سعيد عمن ؟ فقال : وما تصنع بعمن يا ابن أخي ؟ أما أنت فنالتك موعظته وقامت عليك حجته . وقال رجل للحسن : يا أبـا سعيد ، انـك تحدثنا فتقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كنت تسنده لنـا الى من حدثك ؟ فقال الحسن : أيها الرجل ما كَذبنا ، ولا كُذبنا ، ولقـد غزونا غزوة الى خراسان ومعنا فيها ثلاثمائة من أصحاب محمد صلى اللـه عليه وسلم . (1)

وكانت هناك الظروف السياسية التي تجعل رجـلا كالحسن البصري وهو من الثقات يمسك عن ذكر السند خوفا من بطش الأمويين كما يبـدو من هذا الخبر : قال يونس بن عبيد : سألت الحسن ، قلت يا أبا سعيد انك تقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانك لم تدركه فقال :

« يا ابن أخي : لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحد قبلك ، ولولا منزلتك مني ما أخبرتك . اني فـي زمـان كما ترى ـ وكان فـي زمـان الحجاج ـ كل شيء سمعتني أقوله : قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم فهو عن علي بن أبي طالب غير اني في زمان لا أستطيع أن أذكر عليا . (2)

وكان ابن حجر يعطي هذا الحق للسائلين ، ويرى أن معرفـة الاسناد من فروض الكفاية ، ويقول عبد الله بن المبارك في هذا « الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء مـا شاء » (3) وقال أحمد بـن حنبل : طلب الاسناد العالي سنة عمن سلف لأن أصحاب عبد الله كانـوا يرحلون مـن الكوفة الى المدينة فيتعلمون من عمر ويسمعون منه . (4)

---

(1) قواعد التحديث 142 (2) قواعد التحديث 143

(3) قواعد التحديث 174 (4) قواعد التحديث 203

وعندما رأى علماء اللغة هذا المسلك ، تواصوا به ، ورأوا فيه توثيقا للغة ، وقالوا أن اللغة أداة تفسير الحديث ، وان الاسناد من شروط النقل الصحيح ، وذهب من يطالب به فى سياق اللغة ، فقال ابن الانبارى : لولا الاسناد لأدى أن يروى كل من أراد ما أراد ، والعبارة كما رأيت محرفة أو معدلة قليلا عن عبارة رجال الحديث وهم يتواصون بالاسناد • (1)

الحرص على السند الموثق بسبب المشافهة

وكان الحديث يروى بالمشافهة الى عصر متأخر ، بل نص على أن يكون كذلك ، وتناهوا عن كتابته خشية أن يختلط بعضه بالقرآن ، ويروى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لا تكتبوا عنى شيئا الا القرآن ، ومن كتب عنى شيئا غير القرآن فليمحه • (2)

وشاء النبى صلى الله عليه وسلم فى أخريات أيامه أن يكتب للناس كتابا ولكن لم يتحقق هذا العمل ، وهذا ما يفهم من كلام البخارى عن ابن عباس قال : لما اشتد بالنبى صلى الله عليه وسلم وجعه قال : (ائتونى بكتاب اكتب لكم لا تضلوا بعده) قال عمر • ان النبى صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع وعندنا كتابا لله حسبنا • ولكن فكرة الكتابة ظلت فى رأس عمر بن الخطاب بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ووفاة أبى بكر كما يقول الزهرى عن عروة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فأشاروا عليه بأن يكتبه ، وطفق عمر يستخير الله شهرا ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له

---

(1) الاغراب فى جدل الاعراب 47 لابن الانبارى ط الجامعة السورية سنة 1957

(2) مقدمة ابن الصلاح 88 ، والمصاحف للسجستانى 4

فقال : انى كنت أريد أن أكتب السنن ، وانى ذكرت قوما كانوا قبلكم كتبوا كتبا فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وانى والله لا أشوب كتاب الله أبدا (1) وسار على رأى عمر كثير من الصحابة يرون العناية بنقل الحديث بالمشافهة وعدم كتابته ومنهم عبد الله بن مسعود ــ عن عبد الرحمن بن الأسود عن أبيه قال : أصبت أنا وعلقمة صحيفة ، فانطلق معى الى ابن مسعود بها وقد زالت الشمس أو كادت تزول ، فجلسنا ، ثم قال للجارية : انظرى من بالباب فقالت : علقمة والأسود ، فقال : ايذنى لهما فدخلنا .... فقلنا : هذه صحيفة فيها حديث حسن ، فقال : يا جارية : هاتى بطشت واسكبى فيه ماء ، قال : فجعل يمحوه بيده . (2)

ولم يدون منه أول الأمر الا ما تشير اليه الاخبار من أن عبد الله بن عمرو بن العاص كتب ما سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسميت صحيفته الصادقة ، وأنه كتبها بعد أن استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فأذن له. يروى أنه كان يكتب ما يسمع فقال له بعض الناس : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم فى الغضب فلا تكتب كل ما تسمع ، فسأل النبى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال : (اكتب فوالذى نفسى بيده ما خرج من بينهما الا حق) يعنى شفتيه . (3)

وأشار الى باكورة الكتابة الصحابى الجليل أبو هريرة فكان يقول : (لم يكن أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحفظ منى الا عبد الله بن عمرو بن العاص ، فانه كان يكتب بيده ويعى بقلبه ، وكنت أعى بقلبى ولا أكتب بيدى . ولهذا أباح الكتابة قوم منهم : على بن أبى طالب ،

---

(1) جامع بيان العلم وفضله 64 لابن عبد البر ط المنيرية
(2) جامع بيان العلم وفضله 66
(3) قواعد التحديث 62 ، جامع بيان العلم وفضله 71

وابنه الحسن ، وأنس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بـن عمرو بن العاص واستندوا فى رأيهم هذا الى حديث أبى شاة حين التمس من رسول اللـه صلى الله عليه وسلم أن يكتب له شيئا من خطبته عـام فتح مكة ، وقولـه صلى الله عليه وسلم : (أكتبوا لأبى شاة) • (1)

ولم ينشطوا لتدوين الحديث الا فى نهاية المائة الأولى للهجـرة عندما أرسل عمر بن عبد العزيز الى أبى بكر بن محمد بن حزم والـى المدينة أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليـه وسلم أو سنته فاكتبـه فانى أخاف دروس العلم وذهاب العلماء • وكتب بمثل هذا الـى محمد بن شهاب الزهرى فبدأ بتدوينه ، ولم يصل الينـا حديث مدون قبـل موطـأ مالك ، وقال عبد الرازق عن ابن وهب ، سمعت مالكا يقول : كان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الأنصار يعلمهم السنن والفقه ، ويكتب الـى المدينة يسألهم عما مضى وأن يعملوا بما عندهم ، ويكتب الى أبى بكر بن حزم أن يجمع السنن ويكتب بها اليه • (2)

ومع تشددهم فى ضبط السند فانهم كانوا يفرقون بين وجه ووجه ، كانوا يتشددون فى مراجعة السند اذا اتصل الحديث بالأحكام ، والحلال، والحرام • ويتجوزون اذا اتصل بفضائل الأعمال ، وفى هذا يقول أحمد بن حنبل : اذا روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فـى الحلال والحرام والسنن والأحكام تشددنا فى الأسانيد ، واذا روينا عن النبى صلى اللـه عليه وسلم فى فضائل الاعمال وما لا يضع حكما ولا يرفعـه تساهلنا فـى الأسانيد • (3)

---

(1) مقدمة ابن الصلاح 88 ، وجامع بيان العلم 70
(2) قواعد التحديث 71
(3) الكفاية فى علم الرواية 134

درجات الاسناد

ولرجال الحديث اصطلاحات فى درجات الاسناد نوجز منها أهمها :

المسند

وصفهم الحديث بأنه مسند يريدون أن اسناده متصل بين راويه وبين من أسند عنه ، الا أن أكثر استعمال هذه العبارة هو فيما أسند عن النبى صلى الله عليه وسلم خاصة ، واتصال الاسناد فيه أن يكون كل واحد من رواته سمعه من فوقه حتى ينتهى ذلك الى آخره •

المرسل

واما المرسل فهو ما انقطع اسناده بأن يكون فى رواته من لم يسمعه ممن فوقه الا أن أكثر ما يوصف بالارسال من حيث الاستعمال ما رواه التابعى عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأقل من ذلك درجة « المعضل » وهو ما رواه تابع التابعى •

والموقوف

ما أسنده الراوى الى الصحابى ولم يتجاوزه •

والمنقطع

مثل المرسل ، الا أن هذه العبارة تستعمل غالبا فى رواية من دون التابعى عن الصحابة مثل أن يروى مالك بن أنس عن عبد الله بن عمر ، أو سفيان الثورى عن جابر بن عبد الله ، وقيل أيضا : هو ما روى عن التابعى ومن دونه موقوفا عليه من قوله أو فعله •

والمدلس

رواية المحدث عمن عاصره ولم يلقه فيتوهم أنه سمع منه • هذا هو التدليس فى الاسناد • فأما التدليس للشيوخ فمثل أن يغير اسم شيخه لعلمه بأن الناس يرغبون فى الرواية عنه ، أو يكنيه بغير كنيته ، أو ينسبه الى غير نسبته المعروفة من أمره •

أما اصطلاحاتهم في درجات الرواة

فأرفعها أن يقال (حجة) أو ثقة ، وأدونها أن يقال : كـذاب . وبين الدرجتين مراتب مختلفة فاذا قيل للواحد أنه ثقة أو متقن فهـو ممن يحتج بحديثه ، واذا قيل أنه صدوق أو محله الصدق أو لا بأس بـه فهـو ممن يكتب حديثه وينظر فيه وهى المنزلة الثانية ، واذا قيل : صالح الحديث فانه يكتب حديثه للاعتبار ، واذا أجابوا فى الرجل (بلين الحديث) فهـو ممن يكتب حديثه وينظر فيه اعتبارا ، واذا قيل : (ليس بقـوى) فهـو بمنزلة الأول فى كتب حديثه الا أنه دونه ، واذا قالوا : ضعيف الحديث فهو دون الثانى لا يطرح حديثه بل يعتبر بـه ، واذا قالـوا : (متروك الحديث) أو ذاهب الحديث ، أو كذاب فهو ساقط الحديث لا يكتب حديثه . (1)

توثيق الصحابة

وفى ترتيبهم للاسناد أيضا ، فالمحدثون يوثقون الصحابة بصفة مجملة، ولكن ذهبت بهم الدقة الى تعريفه فاختلفوا فيمن هو الصحابى .

ذهب البعض الى القول بأن الصحابى هو من صحب النبى صلى الله عليه وسلم ، أو رآه من المسلمين . قال بذلـك البخارى فـى صحيحه (2) وكان أنس بن مالك يفرق بين الرؤية والصحبة ، روى شعبـة عـن موسى السيلانى قال : أتيت أنس بن مالك فقلت : هل بقى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد غيرك ؟ قال : بقى ناس من الأعراب قد رأوا ، فأما من صحبه فلا . (3)

---

(1) الكفاية فى علم الرواية 21 ــ 23
(2) مقدمة ابن الصلاح 146 ، والتقريب للنووى 34
(3) مقدمة ابن الصلاح 146

وكان رجال الأصول أكثر دقة ، فكانوا يقصرون هذا اللقب على من طالت صحبته للنبى صلى الله عليه وسلم وكثرت مجالسته لـه عـلى طريق التبع له والاخذ عنه ، وكان سعيد بن المسيب يرى هذا الرأى أيضا ولا يعد الصحابى الا من أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سنـة أو سنتين ، وغزا معه غزوة أو غزوتين •

التابعون

صادقون فى مجموعهم ، فان أخطأ منهم رجل فمن غير تعمد وانما كما يقول المحدثون : خطأ أو وهم ، ويعتذرون له بقولهم « وما نـدر غلطه فى جنب ما قد حمل احتمل » ومن تعدد غلطه وكان من أوعية العلم اغتفر لـه أيضا ، ونقل حديثه ، وعمل به على تردد ، وذكروا مـن هؤلاء : الحارث الأعور ، وعاصم بن ضمرة ، وصالح مولى التوأمة • (1)

ثم اختلف المحدثون ، ورأوا فـى التابعين الفاضل والأفضل • كـان أحمد بن حنبل يقول : أفضل التابعىن سعيد بن المسيب ، فقيل له فعلقمة ؛ فقال : سعيد بن المسيب وعلقمة والأسود ، ثم قال مرة أخرى : لا أعلم فى التابعين مثل أبى عثمان النهدى ، وقيس بن أبى حازم ، وقال أيضا : أفضل التابعين : قيس ، وأبو عثمان ، وعلقمة ، ومسروق هؤلاء كانوا فاضلين ومن علية التابعين • (2)

ثم اتجهت المفاضلة الى نزعة بلدية ، فأهل المدينة يقولون : سعيد بن المسيب ، وأهل الكوفة يقولون : أويس القرنى ، وأهل البصرة يقولـون : الحسن البصرى • (3)

---

(1) قواعد التحديث 187 ط الحلبى سنة 1385 هـ — 1961 م
(2 مقدمة ابن الصلاح 152 ـ 153 (3) المصدر السابق ص 153

وبلغت عناية النقاد بالسند أن كان لفرط اشتغالهم بالحديث ، دراية ومعرفة يميزون بها الصواب ودون الصواب ، ويرجحون رواية عالم عن عالم ولو صدرت كلها عن ثقات ومأمونين ، ويعنون بهذا التعمل أن المختار عندهم قد عرف بطلب الحديث ، وصرف العناية اليه ، وأنه لطول ممارسته لهذا العمل قد أصبح من أهل الضبط والدراية • ولا تكتسب هذه الصفة بمجرد الصلاح ، ولا بالامانة ، ولا بالتقدم فى السن وانما هى الممارسة • يروى عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : ان من اخواننا من نرجو بركة دعائه ، ولو شهد عندنا بشهادة ما قبلناها • ويقول يحيى بن سعيد القطان: آتمن الرجل على مائة ألف ولا آتمنه على حديث • وعن ابن أبى الزناد عن أبيه قال : أدركت بالمدينة مائة ، كلهم مأمون ، ما يؤخذ عنهم شىء من الحديث ، يقال : ليس من أهله ، ويحكى مالك بن أنس فيقول : أدركت مشايخ المدينة أبناء سبعين وثمانين لا يؤخذ عنهم ، ويقدم ابن شهاب وهو دونهم فى السن فتزدحم الناس عليه (1) وحدث عمرو بن محمد الناقد قال: سمعت وكيعا وسأله رجل فقال له يا أبا سفيان : تعرف حديث سعيد بن عبيد الطائى عن الشعبى فى رجل حج عن غيره ثم حج عن نفسه قال : من يرويه قال : وهب بن اسماعيل، قال : ذلك رجل صالح ، وللحديث رجال (2) يعنى أنه لا يقبل منه ذلك مع صلاحه •

وقد يصاب المحدث بعجمة فى لسانه أو لثغة ، ولكن لمحله من الدراية والاشتغال بالحديث يقبل منه ذلك • كان مكحول رجلا أعجميا لا يستطيع أن يقول (قل) يقول (كل) ولكن قيل منه كل ما قال بالشام • (3)

---

(1) الكفاية فى علم الرواية 158 ـ 159
(2) الكفاية فى علم الرواية 160
(3) الكفاية فى علم الرواية 185

حول متن الحديث

وبنفس العقلية ، والتفكير العميق ، مع الحرج والتأثم جرت الدراسات حول متن الحديث ، منهم من نادى بالتمسك باللفظ ، ومنهم من جعل كل همه المعنى ليؤدى الحديث غرضه والحكمة من روايته •

فحول اللفظ بلغ الحرص عند بعض الرواة التمسك بحرفيته كما قيل أو سمع وان خالف الشائع من اللغة الفصيحة ، يقول أبو عبيد : لأهل الحديث لغة ، ولأهل العربية لغة ، ولغة أهل العربية أقيس ولا نجد بدا من اتباع لغة أهل الحديث من أجل السماع • قال ابن عون عن ابراهيم عن الاسود قال : قلت لابن عمر : كيف أضع بيدى اذا سجدت قال : ارم بهما حوث وقعتا • و (حوث) لغة فى بنى تميم •

ومن هذا الوجه ما يحكى عن أم الدرداء عن كعب بن عاصم الاشعرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ليس من امبر امصيام فى امسفر) يريد ليس من البر الصيام فى السفر ، وهذه لغة الاشعريين (1) وان كانت شائعة فى حمير •

ومن المحدثين من كان يلتزم برواية الحديث كما سمعه لا يرى تغيير اللحن فيه حتى لا يرتكب فى ذلك جناية الوضع منهم أبو معمر الذى يقول: انى لأسمع الحديث لحنا فألحن اتباعا لما سمعت • وقال اسماعيل بن أمية : كنا نريد نافعا على ألا يلحن فيأبى الا الذى سمع • ولم يكن كلهم ، ولا حتى أكثرهم نقليين متزمتين على هذه الصورة •

كان منهم من يقيم اعراب الحديث ، فالاوزاعى يوصى بذلك

(1) الكفاية فى علم الرواية 182 ـ 183

ويقول : أعربوا الحديث فان القوم كانوا عربا ••• ولا بأس باصلاح اللحن والخطأ فى الحديث (1) ولا بأس عند رجل كالشعبى وهو من المفكرين من أن يقرأ الحديث يأخذ بعضه ويترك بعضه فى سبيل رفضه للحن ويقول : لأن أقرأ وأسقط أحب الىّ من أن أقرأ وألحن • (2)

رواية الحديث بالمعنى

ومن رواة الحديث من أجاز روايته بالمعنى حرصا على الاحتفاظ بهذا الاثر الكبير ، الا يكن بنصه فبمعناه ، واستند بعضهم الى تصريح بذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم ، عن عبد الله بن مسعود قال : شكا رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، تحدثنا بحديث لا نقدر أن نسوقه كما سمعنا فقال صلى الله عليه وسلم : (اذا أصاب أحدكم المعنى فليحدث (3) وقد يكون استنادا على هذا التصريح ، أو تأويلا مقنعا لدى فئة من المحدثين أن أجاز فريق من كبارهم رواية الحديث بالمعنى منهم : على ، وابن عباس ، وأنس بن مالك ، وأبو الدرداء ، ووائلة بن الاسفع ، وأبو هريرة رضى الله عنهم • ثم جماعة من التابعين يكثر عددهم منهم : الحسن البصرى ، والشعبى ، وعمرو بن دينار ، وابراهيم النخعى ، ومجاهد ، وعكرمة •

وللمحدثين عبارات مختلفة تجاهر بالحرص على المعنى فى المقام الاول ، عبر ابن سيرين عن ذلك بقوله : كنت أسمع الحديث من عشرة ، المعنى واحد والالفاظ مختلفة (4) ويصرح سفيان الثورى بأكثر من هذا وأنه هو الذى

---

(1) جامع بيان العلم وفضله 78

(2) معجم الادباء 1 : 79

(3) اسباب اختلاف الفقهاء 13 للاستاذ على الخفيف ط جامعة الدول العربية 1956

(4) قواعد التحديث 221 دار احياء الكتب العربية 1961 ، وجامع بيان العلم وفضله 79

يغير شكل الحديث حتى يسكن الى ما فى نفسه من معنى ويقول : ان قلت لكم انى أحدثكم كما سمعت فلا تصدقونى ، انما هو المعنى (1)• وتأسى به فى هذا التحرر ابن المبارك وكان يقول : علمنى سفيان الثورى اختصار الحديث • (2)

وكانوا يجدون فيما رخص به من قراءة القرآن على سبعة أحرف رخصة فى رواية الحديث بالمعنى ، روى البيقهى عن مكحول قال : دخلت أنا وأبو الأزهر على واثلة بن الأسقع فقلنا له : حدثنا بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه وهم ، ولا تزيد ، ولا نسيان ، فقال : هل قرأ أحدكم من القرآن شيئا ؟ فقلنا : نعم وما نحن بحافظين له جدا ، انا نزيد الواو والألف وننقص فقال: فهذا القرآن مكتوب بين أظهركم لا تآلونه حفظا ، وأنكم تزعمون أنكم تزيدون وتنقصون فكيف بأحاديث سمعناها من رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى ألا يكون سمعنا لها منه مرة واحدة ، حسبكم اذا حدثناكم بالحديث على المعنى • (3)

ومن حججهم الاجماع على شرح الشريعة للأعاجم بلسانهم للعارف به فاذا جاز الابدال بلغة أخرى فجوازه باللغة العربية أولى قال بذلك الحافظ ابن حجر فى شرح النخبة ، ولكنه أباح ذلك فى المفردات دون المركبات ، ولمن يستحضر اللفظ ليتمكن من التصرف فيه ، ولمن كان يحفظ الحديث فنسى لفظة وبقى معناه مرتسما فى ذهنه فله أن يرويه بالمعنى لمصلحة تحصيل

---

(1) الاقتراح للسيوطى ط كلكتا 20

(2) العقد الفريد 2 : 233

(3) قواعد التحديث 222

الحكم منه بخلاف من كان مستحضرا للفظه (1) .

والحكيم الترمذى يرى رأى هذا الفريق ويقول : فلو كان اللازم لهم ــ أى للعلماء ــ أن يؤدوا تلك الالفاظ التى بلغت أسماعهم بأعيانها بلا زيادة ولا نقصان ولا تقديم ولا تأخير كانوا يستودعونها الصحف كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن .

ثم شاعت كلمة « أو كما قال » للاحتراز عما يداخل الحديث من مفردات بديلة كما كان أبو الدرداء اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم ان لم يكن هذا فشكله . (2)

موقف اللغويين من المحدثين

بدأت رواية اللغة ، وظهر اللغويون فى بداية القرن الثانى الهجرى وأفادوا من الدراسات الاسلامية التى سبقتهم ، وكانت رواية الحديث قد بدأت فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وعنى به صحابته رضوان الله عليهم ، ولقد رأيت كيف عنوا بالسند وكيف عولوا عليه لتوثيق الحديث ــ فلما كانت رواية اللغة بدأ رواتها يسلكون هذا المسلك بل ويستعملون نفس العبارات ، وقالوا اللغة أداة تفسير الحديث وان الاسناد من شروط النقل الصحيح فطالب به ابن الانبارى فى اللغة أيضا وقال : (لولا الاسناد لأدى أن يروى كل من أراد ما أراد) . (3)

ولكن طبيعة عمل الفئتين ، والنتائج التى يسعى كل الى تحقيقها تختلف ، فالمحدثون كانوا يريدون استخلاص الاحكام فى المعاملات

---

(1) قواعد التحديث 221

(2) جامع بيان العلم وفضله 78

(3) الاغراب فى جدل الاعراب 47 لابن الانبارى ط الجامعة السورية 1957

الدينية و الدنيوية ، واللغويون يبحثون عن اللغة الصحيحة الموثقة فرضى المحدثون باللفظ وبالمعنى أيضا ، ولو صدر عن غير عربى ، ولم يقبل اللغويون الا ما يصدر عن عربى خالص العروبة ، ولو صدر عن صبى أو مجنون أو امرأة ، ولهذا رفضوا أو رفض أكثرهم أن يحتج بالحديث للأسباب التى سبق أن نوهنا عنها وهى الرواية بالمعنى ، ورواية الاعاجم ، وقبول اللحن واحتمال التصحيف ، وكان فى حجج اللغويين قوة اقناع ، ومن هذه الحجج :

ـ التعميم الواسع الذى أطلقه المحدثون على لقب الصحابى والذى أصبح فى رأيهم من القداسة بحيث وضع فى المرتبة الاولى من رواتهم ، ولا يستقيم هذا مع رأى اللغويين وهم يعرفون أن من الصحابة من هو عربى ، ومن هو غير عربى •

ـ واذا سلمت الرواية عن بعض الصحابة العرب فانها ـ وقد أجيز أداؤها بالمعنى فان من غير المقطوع به أن تصل على عربيتها الصحيحة على أيدى التابعين وفيهم كثرة من الموالى •

ومع هذا فمن اللغويين من احتج بالحديث ، والقصار منه بخاصة ، فنرى أصحاب المعاجم يستأنسون به ، ورجلا كالفراء يحتج به مرات ، فقد جوز كسر همزة (ام) وأشار الى قول النبى صلى الله عليه وسلم (أوصى امرءا با مه) (1) كما استشهد بجواز تأنيث معا ـ مفرد امعاء ـ بالحديث (المؤمن يأكل فى معا واحده) واحتج لتأنيث ضلع بقوله صلى الله عليه وسلم : (خلقت المرأة من ضلع عوجاء) وعلى التأنيث الذود بقوله صلى الله عليه وسلم (ليس فى أقل من خمس ذود صدقة) لأن كلمة خمس مذكر وهى عكس المعدود (2) •

---

(1) معانى القرآن للفراء 1 : 6

(2) ابو زكريا الفراء 241 للدكتور احمد مكى الانصارى ط المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة 1964

واستشهد بالحديث فى عصر متأخر ابن خروف ، وابن مالـك ، وكان ابن جماعة ممن أخذ على ابن مالك فقال له يوما وكأنه لا يرى رأيـه : يـا سيدى : هذا الحديث رواية الاعاجم ووقع من روايتهم ما نعلم أنه ليس من لفظ الرسول ، فلم يجب بشىء . (1)

وأفادت العربية كثيرا مـن شروح الحديث ومـن أهـم الكتب التى وضعت فى شرح غريبه : غريب الحديث لأبى عبيـد القاسم بـن سـلام ، والفائق فى غريب الحديث للزمخشرى . والنهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير .

(1) خزانة الادب للبغدادى 1 : 25 ط السلفية 1347 هـ

العلماء الرواة

دواعي نشأتهم

نستأذن القارىء أن نوجز فى هذا الموضوع ، فلقد أفردنا للرواية اللغوية كتابا ، وكان نصيب العلماء فيه نصيبا موفورا ، واليوم ونحن نضع للأعراب الرواة كتابا . كان علينا أن نفرق بين العلماء الرواة : والأعراب الرواة .

كانت اللغة فى الجزيرة ، تورث فى أهلها ، وتجرى على ألسن صبيانهم بالفطرة ، صحيحة من غير تعمل ولا تعلم ، فلما اتسعت الدولة الاسلامية ، واحتوت العربى وغير العربى كان لا بد من التماس هذه اللغة بالمران والدربة والتعليم لأسباب كثيرة وطويلة شرحناها فى كتابنا (مصادر اللغة) ، ولا بأس من المرور على ذلك مرورا هينا .

فلقد قام علماء المسلمين يبصرون الناس بالدين الجديد ، جاء به القرآن الكريم مجملا ، وفصلته الشريعة فيما صدر عن النبى صلى الله عليه وسلم من قول ومن عمل وكان كل علم يسلم الى فرع جديد أو تطور

أوسع مجالا • فقد بدأ تفسير القرآن بالمأثور ثم بدأوا يفسرونه تفسيرا لغويا بعد وفاة الصحابة الأول ــ ومر الحديث بخطوات درست فيها المتون والاسانيد والشروح ، وتبع ذلك القول فى التوثيق والجرح والتعديل ، وكذلك الغزوات قد اتسعت واصبحت فيما بعد علما للتاريخ الاسلامى •
وكانت العربية فى كل مجالس العلم على اختلاف صنوفه ، سهلة على العرب ، صعبة على غيرهم ، وأصبحت اللغة والتعريف بها من أمس الضرورات لاقامة شعائر هذا الدين ومعرفة تعاليمه وأحكامه وما جاء منه فى القرآن والحديث من أوامر ونواهى الى غير ذلك •

كانت العربية بالأمس حميلة على غيرها من العلوم فأصبحت تطلب لذاتها . يقول شعبة بن الحجاج وهو من رجال الحديث : كنت أختلف الى ابن أبى عقرب فأسأله عن الفقه ، ويسأله أبو عمرو بن العلاء عن العربية فيقوم وأنا لا أحفظ حرفا مما سأله ، ولا يحفظ حرفا مما سألته (1) •

وفى تراجم العلماء ، تتكرر هذه الصورة ، فتراهم يذهبون الى المجالس المختلفة فيأخذون منها العربية ، وقد يمكثون ينالون خيرا من علم آخر ، أو ينصرفون الى مجلس آخر بحثا عن العربية • فكان حماد بن سلمة يعقد مجلسه ليحدث بحديث النبى صلى الله عليه وسلم ، فيمر بالحسن البصرى فيدعه لأنه كان فقيها ، ويذهب الى أصحاب العربية يتعلم منهم (2)

وجاء سيبويه ليستملى الحديث على حماد بن سلمة ، ولاحظ فى استاذه السعى الى رجال العربية يتعلم منهم ، فتأسى بأستاذه ، ونحا نحوه • وعمل على شاكلته ، وذهب يطلب العربية والنحو عند عيسى بن عمر الثقفى، والخليل بن احمد ، ويونس بن حبيب (3) وتغيرت وجهته من طالب حديث الى طالب لغة ونحو ثم تخصص فى النحو كما نعلم •

(1) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 25
(2) المصدر السابق 48 (3) نزهة الألبا 72

ويجد الاصمعى فى طلب القرآن الكريم فيذهب من أجل هذه الغاية الى القارئ ابى عمرو بن العلاء وهو أحـد القراء السبعة ليأخذ قراءته ، ولكنه يلحظ أيضا عناية أبى عمرو ، وسعيه للعربية ، وبلوغه فيها ، ولعلك تذكر هذا من سطور قليلة حين كان يلتمس العربيـة عنـد ابن أبى عقرب ، ويبدو أن الأصمعى كان قد وطد نفسه لقراءة القرآن ، ونحن نعلم أنه قـد سعى لتحصيل قراءة نافع فى المدينة ، بل وأخذ يقرئ الناس بها فى البصرة فى حياة نافع وكأنه أجيز بذلك من صاحب القراءة، ولكنه على كل حال صار فـى النهايـة لغويـا .

وتستطيع أن تمسك بالخيط ، وتعود الى الوراء ، لتشهد مولـد هذا العلم ، ونشأة طلابه ، فأبو عمرو بن العلاء من قراء البصرة ، وأحد القـراء السبعة ــ وحماد بن سلمة من اللامعين من رجال الحديث ، وكلاهما يسعى الى التماس العربية ، فتتساءل، ماذا كان يدور فى مجالس العربية ؟ ان الخبر الذى يحكيه شعبة بن الحجاج عن مجلس ابن أبى عقرب لا يجيب عن هذا . فلقد كان يسأل الرجل عن الفقه ، ويسأله أبو عمرو عـن العربيـة ، فيقوم شعبة وهو لا يفهم حرفا من العربية ، ويقوم أبو عمرو وهو لا يفهم حرفا من الفقـه .

وهذا الغموض ، واضح أيضا فى خبر حماد بن سلمة ، المحدث ، الذى كان يمر بالحسن البصرى فيدعه لأنه كان فقيهـا . ويذهب الـى أصحاب العربية يتعلم منهم .

ولكن من البديهى أن يكون من تمـام القارئ ، أن يفهـم معانـى القرآن ، وان يلون بهذا الفهم قراءته ، ومن تمام المحـدث أيضا أن يحدث بالحديث ، ويعرف ما يعنيه وما يعينه على استخلاص الحجة والمراد منـه ، ولكن كيف السبيل الى ذلك ؟

لقد جاء القرآن بألفاظ ، لم يصل الـى بعضها ادراك بعض العـرب . حتى بات رجل كعمر يسأل عن كلمة الأب فى قوله تعالى (وفاكهة وأبـا) ومعنى التخوف فى قوله تعالى (أو بأخذهم على تخوف) ولـم يـدر ما الحرجة ، فقال يوما : ابغوا لى أعرابيا . واجعلوه من بنى كنانة ـ مدلجيا ـ فأتى براع من بنى مدلج فقال : ما الحرجة فيكم ؟

فقال : الشجرة التى لا تصل اليها راعية ولا وحشية .

فقال عمر : فكذلك قلب الكافر لا تصل اليـه المعرفـة والرغبـة فى الاسلام كما لا تصل الراعية الى الموضع الذى التف فيه الشجر .

لقد وضع عمر أسس درس العربية وهو الاتجاه الى ألسنة القبائـل . فقد وجد التخوف بمعنى التنقص عنـد هذيل ، ووجـد الحرجـة بمعنى الشجرة البعيدة عن بنى مدلج . ولم تتسع هذه الدائرة فى باكورة الاسلام والناس على ارث من لغتهم .

وجاء ابن عباس يحض الناس على فهم القرآن من خلال الشعر ويقول: (اذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديـوان العرب) ويقول سعيد بن جبير ويوسف بن مهران : سمعنا ابن عباس يسأل عن الشىء فى القرآن فيقول فيه كذا وكذا ، أمـا سمعتم الشاعر يقول كذا وكـذا (1) .

وكان عند ابن عباس من هذا المعين ميراث وفر ، فلقـد شب وتنبـه حسه ، والمدينة تردد أصداء الشعر الذى قيل بعد حرب بعاث بـين الأوس والخزرج ، وما كان يدور بين المسلمين والمشركين فور ظهور الاسلام ، وقد أعانته حافظته على وعى كل ما يسمعه ، وكان يعبر عن قـوة ذاكرته بقوله . (انى لأسمع صوت النائحة فأسد أذنى كراهة أن أحفظ ما تقول) .

كان الشعر معينه الأول فيما صدر عنه من تفسير القرآن ، وبدا ذلك غريبا عند نافع بن الأزرق ، ونجدة بن عويمر فذهبا اليه وقالا له : انا نريد

(1) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى 1 : 24 ط دار الكتب

إن نسألك عن أشياء من كتاب الله فتفسرها لنا ، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فان الله تعالى انما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فأجابهما في خبر طويل ذكره السيوطي في كتاب الاتقان 1 : 120 وما بعدها .

ولم تقف نظرته في العربية عند الحد الذي يومىء فيه بمقابلة الغريب في القرآن بما يماثله في آثار العرب وأشعارها بخاصة ، ولكنه وجد في هذه الآثار أيضا أسرار المجاز ، فقد فسر قوله تعالى (وثيابك فطهر) وقال : ان المراد منها الا تلبس ثيابك على غدر وتمثل بقول غيلان الثقفي :

فاني بحمد الله لا ثوب غادر لبست ولا من سوءة أتقنع (1)

ويروى أن رجلا جاء الى ابن عمر فسأله عن قوله تعالى (أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) فقال له : اذهب الى ذلك الشيخ فسله ثم تعال أخبرني ــ فذهب الى ابن عباس فسأله ــ فقال : كانت السموات رتقاء لا تمطر ، والأرض رتقاء لا تنبت ، ففتق هذه بالمطر ، وهذه بالنبات ، فرجع الرجل فأخبر ابن عمر فقال : لقد اوتي ابن عباس علما صدقا هكذا ، لقد كنت أقول : ما تعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن ــ الآن قد أوتي علمه) .

ولم يكن يستهويه الشعر وحده ، وانما كان يتلمس الجمال اللغوي أينما وجده ، فان كان شعرا وعته حافظته ، وان كان نثرا ثمينا يشبع حاسته أمر بتدوينه . سمع حديث عثمان بن أبي العاص الثقفي وهو يقول لبنيه : (يا بني ، اني قد أمجدتكم في امهاتكم ، وأحسنت في مهنة أموالكم ، واني ما جلست في ظل رجل من ثقيف اشتم عرضه ، والناكح مشترى فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه ، والعرق السوء قلما ينجب ولو بعد حين) قال ابن عباس: يا غلام ، اكتب لنا هذا الحديث (2) .

(1) الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 1 : 25

(2) البيان والتبيين 2 : 67

ويحضر مجلسا عند معاوية فيصيب منه علما بالغريب . ويقول : انى لجالس عند معاوية اذ قرأ هذه الآية (وجدها تغرب فى عين حامئة) فقلت : ما نقرؤها الا حمئة ، فقال معاوية لعبد الله بن عمر : وكيف تقرؤها ؟ فقال : كما قرأتها يا أمير المؤمنين . قال ابن عباس : فى بيتى نزل القرآن . فأرسل معاوية الى كعب ، فقال : أين تجد الشمس تغرب فى التوراة يا كعب ؟ فقال : أما العربية فأنتم أعلم بها ، وأما الشمس فانى أجدها فى التوراة تغرب فى ماء وطين ، وأشار كعب بيده الى المغرب — أما أنى لو كنت عندكما لرفدتك كلاما تزداد بصيرة فى قولك حمئة ، فقال ابن عباس : وما هو ؟ قلت : فيما عاش من قول تبّع فيما ذكر ذو القرنين فى تخلقه بالعلم وابتغائه اياه هو قوله :

بلغ المشارق والمغارب يبتغى أسباب أمر من حكيم مرشد
فرأى مغار الشمس عند غروبها فى عين حمى خلب وثأط حرمد

قال ابن عباس : وما الخلب ؟

قلت : الطين بكلامهم .

قال : وما الثأط ؟

قلت : الحمئة .

قال : وما الحرمد ؟

قلت : الاسود .

قال : فدعا رجلا ، أو غلاما فقال : اكتب ما يقول هذا (1)

والخبر فى رواية أخرى فى كتاب الفائق للزمخشرى (2) .

وقد تتساءل لماذا لم نجد ابن عباس مع علماء اللغة، والاجابة فيما يبدو

---

(1) مقدمتان فى علوم القرآن نشرهما آرثر جفرى 199

(2) الفائق فى غريب الحديث للزمخشرى 297 ط دار الكتب العربية سنة 1945

اذ ابن عباس كانت له شهرة فى العلوم الاسلامية كالحديث والفقه والمغازى والتفسير ـ أو ـ أن الذين أرخوا لرواية اللغة لم يتجهوا الى بدايتها، وانما أرخوا لها حين استوت علما مستقلا واضح المعالم •

يروى صاحب آسد الغابة عن عبيد بن عبد الله بن عتبة فيقول : (كان ابن عباس قد فات الناس بخصال ، بعلم ما سبقه ، وفقه فيما احتيج اليه من رأى ، وحلم ونسب وتأويل ، وما رأيت أحدا كان أعلم بما سبقه من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ولا بقضاء أبى بكر وعمر وعثمان منه ، ولاأفقه فى رأى منه ، ولا أعلم بشعر ولا عربية ولا بتفسير القرآن ولا بحساب ولا بفريضة منه ، ولا أثقب رأيا فيما احتيج اليه منه ، ولقد كان يجلس يوما ولا يذكر فيه الا الفقه ، ويوما التأويل ، ويوما المغازى ، ويوما الشعر ، ويوما أيام العرب ، ولا رأيت عالما قط جلس اليه الا خضع له ، وما رأيت سائلا قط سأله الا وجد عنده علما) • (1)

ويحكى أبو نعيم بسنده عن أبى صالح قال (لقد رأيت من ابن عباس مجلسا لو أن جميع قريش فخرت به لكان فخرا ، لقد رأيت الناس اجتمعوا حتى ضاق بهم الطريق فما كان أحد يقدر على أن يجيىء ولا أن يذهب • قال : فدخلت عليه فأخبرته بمكانهم على بابه ، فقال لى : ضع لى وضوءا ، قال : فتوضأ وجلس ـ وقال : اخرج وقل لهم : من كان يريد أن يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل ، قال : فخرجت فأذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شىء الا أخبرهم وزادهم مثل ما سألوا عنه أو أكثر ، ثم قال: : اخوانكم فخرجوا •

ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن تفسير القرآن وتأويله فليدخل قال : فخرجت ، فأذنتهم ، فدخلوا حتى ملأوا البيت والحجرة ، فما

---

(1) أسد الغابة 3 : 193

سألوه عن شيء الا أخبرهم وزادهم مثل ما سألوا عنــه أو أكثر ، ثم قال . اخوانكم فخرجوا • ثم قال : اخرج فقل مــن أراد أن يسأل عــن الحلال والحرام ، والفقه فليدخل ، فخرجت فقلت لهم ، قال : فدخلوا حتــى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء الا أخبرهم بــه وزادهم مثله ، ثــم قال : اخوانكم ، فخرجوا •

ثم قال : اخرج فقل لهم : مــن أراد أن يسأل عــن الفرائض ، ومــا أشبهها فليدخل ، قال : فخرجت ، فأذنتهم ، فدخلوا ، حتــى مــلأوا البيت والحجرة فما سألوه عن شيء الا أخبرهم بــه ، وزادهم مثلــه ، ثم قال : اخوانكم ، فخرجوا ، ثم قال : اخرج فقل : من أراد أن يسأل عن العربية ، والشعر ، والغريب من الكلام فليدخل ، قال : فدخلوا حتــى ملأوا البيت والحجرة ، فما سألوه عن شيء الا أخبرهم بــه ، وزادهم مثله • قال أبــو صالح : فلو أن قريشا كلها فخرت بذلك لكان فخرا ، فما رأيت مثــل هذا لأحد من الناس) (1) •

على كل حال اشتهر أمر ابن عباس بالتفسير حتى لقب بالبحر ، ونسب اليه أول كتاب فيه • وتفسير القرآن والعودة بغريبــه الــى آثــار العرب وأشعارها سبب من اسباب رواية العربية ، وليس من قبيل المصادفة أن تجد أوائل رواة اللغة جميعهم من القراء ـــ لم يقتصر ذلك على رجال البصرة من أمثال يحيى بن يعمر ، وابــن أبي اسحق ، وعيسى بن عمــر الثقفي ، وأبي عمرو بن العلاء ، وأبي زيد ، والنضر بن شميل بل كان الامــر كذلك فــي الكوفة ، فكان المفضل الضبي قارئا ، وكان علي بن حمــزة مــن أصحاب القراءات ، ونذكر فيما يلي تعريفا موجزا بأهم العلماء الرواة •

(1) حلية الاولياء 1 : 320 ـــ 321

يحيى بن يعمر وابن أبي اسحق وعيسى بن عمر الثقفي

تقارب هؤلاء الثلاثة ونجدهم فى أعقاب ابن عباس ، وأخذ أولهم عنه مباشرة ولم يترك يحيى أثرا ذا شأن الا ما نلحظه من أنه كان يفخم الاعراب والكلام حتى عده الجاحظ من المتقعرين (1) وكذلك كان عيسى بن عمر • وكان الحجاج بن يوسف الثقفى ــ ونحن نعلم أنــه مــن فصحاء العرب ــ يعجب بفصاحة يحيى ، ويدرك عمق علمه بالعربية ، فيقول له يوما : أترانى ألحن على المنبر ؟ فيدله على خطئــه •

أما ابن أبى اسحق ، فقد أخذ القراءة عن يحيى ، وعرف الكثير مــن لهجات القبائل فناظر أبا عمرو بن العلاء وغلبه بالهمز فى مجلس عند بلال بن أبى بردة (2) وسأله ابن سلام : هل يقول أحــد الصويق يعنــى السويق ؟ قال : نعم ، عمرو بن تميم يقولها وهذا يدل على عناية ابن أبى اسحق بوجوه الاختلاف عند القبائل اذ كان الحجازيون لا يهمزون ، كما كان التميميون يقولون الصويق بالصاد • وله مجلس يفسر فيــه غامض الشعر ، فكان ابن سيرين يقول وكأنه يغمزه : ما علمه بارادة الشاعر ؟ فيجيب ابن أبى اسحق: ان الفتوى فى الشعر لا تحل حراما ، ولا تحرم حــلالا ، وانما نفتــى فيما استتر من معانى الشعر ، وأشكل من غريبه واعرابــه بفتوى سمعناها مــن غيرنا أو اجتهدنا فيها آراءنا • (3)

وأخذ عيسى بن عمر عن ابن أبى اسحق ، وتأثر به فى عنايته بلهجات القبائل فهو يختار السُّم ، والتشهد بالضم خلافا لمــا عليه الجمهور ، وهى لهجة لأهل العالية (4) واتجه الى تقعيد اللغة ، ويروى أنــه ترك فى النحو

---

(1) البيان والتبيين 1 : 354
(2) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 25 ، وانباه الرواة 2 : 104
(3) انباه الرواة 2 : 107
(4) طبقات اللغويين والنحاة للزبيدى 36

كتابين : الجامع ، والاكمال • ولكن السيرافي يقول: هذان الكتابان ما وقعا الينا ، ولا رأيت أحدا يذكر أنه رآهما ، وهكـــذا يقول ابـــن الانبـــارى أيضا • (1)

أبو عمرو بن العلاء

هو شيخ الرواة ، وأستاذ جيله ، زبان بن العلاء بـــن عمـــار التميمى المازنى قرأ القرآن بمكة والمدينة والبصرة والكوفة ، وسمع من شيوخ هذه البلاد ـــ وهو من القراء السبعة ، وجمع الى قراءة القرآن معرفـــة واسعـــة باللغة والادب والنحو • والذى يتتبع تطور الروايـــة اللغويـــة يلحـــظ فى وضوح أنها ظفرت على يد أبى عمرو ، فلقد نظر فى القرآن على ضوء مـــا جمع من اللغة واللهجات واحتج فى كثير من تأويله بالشعراء القدامى • (2)

وبدت له بسبب ذلك وجوه من القراءات كاد على أثرهـــا أن يخالف الجماعة ـــ يقول برواية الأصمعى : لقد حفظت فى علم القراءات أشياء لـــو كتبت ما قدر الأعمش على حملها ، ولولا أن ليس لى أن أقرأ الا بما قـــرىء لقرأت كذا ، وكذا وذكر حروفا • (3)

وبلغ به الأمر أن دق حسه اللغوى ، فخبر اللهجات ، وميز بين قبيلـــه عاربة وقبيلة أعرب ، وكان يرى أن أعذب الشعر لأهل السروات (4) وكان بالنفس أن نرى كتب أبى عمرو التى أشارت الاخبار الى أنها بلغت قريبا من السقف ، الا أنه تنسك فى أخريات أيامه فأحرقها مخافة أن يكون فيهـــا غير الصحيح ، واذ فقدنا كتبه ، فلنا فى تلاميذه خير عوض •

---

(1) أخبار النحويين والبصريين للسيرافى 25 ، ونزهة الألبا 28

(2) اخبار النحويين البصريين للسيرافى 22

(3) نزهة الألبـــا 34

(4) العمدة 1 : 55 ط هندية سنة 1925

الأصعمي وأبو زيد وأبو عبيدة

يذكر هؤلاء الثلاثة على أنهم عمد الرواية فى البصرة ، أخذ الثلاثة عن أبى عمرو ، فتأثروا بسنهجه ، وأشربوا طباعه ، ثم اختلفوا يتزودون من المعارف فبرز كل فى ناحية ، وبدأ العلماء والنقاد يصدرون أحكامهم على هؤلاء الرجال مجتمعين ، أو يعقدون مقارنة بين اثنين منهم لأنهم بلغوا ما بلغوا على تفاوت يقول المبرد « كان أبو زيد صاحب لغة وغريب ونحو ـ وكان أكثر من الاصمعى فى النحو ـ وكان أبو عبيدة أعلم من أبى زيد والاصمعى بالأنساب والايام والاخبار وكان للأصمعى يد غراء فى اللغة لا يعرف فيها مثله وفى كثرة الرواية ، وكان دون أبى زيد فى النحو (1) •

ويقول الخشنى « كان أبو عبيدة أكثر علما من الاصمعى وأكثر أخبارا وكتبا ، وكان الاصمعى أحضر جوابا وأرضى عند الناس ، ولم يتهم الاصمعى فى شىء من دينه ، وكان الشعر للأصمعى والأخبار لأبى عبيدة » (2) •

ويقول ابن مناذر لسفيان الثورى : أصف لك أصحابك ؟ ، أما الأصمعى فأحفظ الناس ، وأما أبو عبيدة فأجمعهم ، وأما أبو زيد الأنصارى فأوثقهم • (3)

هذه الآراء التى زخرت بها كتب الادب صورت العلماء الثلاثة ، وان كانت بعضها قد صدرت عن هوى ، وما تمليه المعاصرة من عداء ، وخاصة بين أبى عبيدة والاصمعى ، الأول حاد البادرة حتى ليخيل الىّ أن كتابه فى مثالب باهلة لم يكن الا تعبيرا عن هذا اللدد ، أما الاصمعى فهو مدافع لا مهاجم ، يخشاه ويخشى لقاءه ، وكان اذا دخل المسجد قال : انظروا لا

(1) نزهة الألبا 152 ، تاريخ بغداد 10 : 414

(2) طبقات الزبيدى 188

(3) معجم الأدباء 11 : 215

يكون هنا ، ولكنه يتلمس سقط صاحبه فاذا تمكن منه أخرجه فى أسلوب تهكمى لاذع ، وتزعم الاصمعى فريق المعارضة فى البصرة عندما وضع أبو عبيدة كتاب مجاز القرآن وكانت الخصومة بين الرجلين تعبيرا عــن مـــا بين النظرة العقلية عند أبى عبيدة والنظرة النقلية عند الاصمعى .

والأصمعى ، وأبو عبيدة ـــ كعلمين شامخين من علماء البصرة أصبحا على أفواه الناس وكأنهما فرسا رهان ـــ يقبل الناس على علمهما ثم يخرجون لتدور المعارك الجدلية حول الرجلين ، وهما أمـــام الفضل بن الربيع كـــل يتحدث عن معرفته بالخيل ، ثم ينتهى الامتحان بفـــوز الأصمعى (1) ، وان كان كتاب أبى عبيدة الذى وصلنا لا يحقق ـــ فى نظرى ـــ هذه النتيجة اذا قورن بكتاب الاصمعى ، وقد وصلنا أيضا .

وأبو نواس يميل حيث مال هواه ، وكان تلميذا لأبى عبيـــدة ، فكان لذلك يمدحه ويذم الاصمعى ، وربما صدر بعض ذلك لاتفاقهما على عداوة العرب ، قيل له : قد أشخص أبو عبيدة والاصمعى الى الرشيد فقال : أمـــا أبو عبيدة فانهم ان أمكنوه من سفره قرأ عليهم أخبـــار الأولين والآخريـــن وأما الأصمعى فبلبل يطربهم بنغماته (2) ، وهو فى هذا الحكم يحاول ان ينتزع السبق والافضلية لأبى عبيدة ولكنـــه لا يستطيع أن يكتم قصوره فى الالقاء .

ويقول خلف لكيسان وكأنه ينصحه : ويلك ، الزم الأصمعى ودع أبا عبيدة فانه أفرس الرجلين بالشعر . (3)

أما اسحق الموصلى فرأيه بحسب هواه ، ان شاء تذكر فضل الاصمعى

---

(1) تاريخ بغداد 10 : 415
(2) تاريخ بغداد 10 : 15
(3) تاريخ بغداد 10 : 416 لعله ابن كيسان (محمد ـــ احمد)

وقال فيه: لم أر كالأصمعي يدعى شيئا من العلم فيكون أحد أعلم به منه(1). ومرة أخرى وقد كشف الاصمعي بعض قصوره أمـام الفضل بن الربيـع فيكون الاصمعي حينئذ قليل الشكر ، بخيلا بما عنده ثم يصف للفضل أبـا عبيدة حتى يستقدمه للبصرة . (2)

كانت آراء النقاد في هؤلاء العلمـاء كاشفـة لبعض خصائصهم وان احتاجت الى مزيد من الدارسة ومن البحث ومن التأمل .

قالوا : كان الأصمعي يتحدث في ثلث اللغة .

وقالوا : كان الأصمعي ينفرد بالخلاف ويتفق أبو عبيدة وأبو زيـد في الرأي ، ويجب الا تمر هذه الاخبار من غير تأمل يزيل غامضها فالاصمعي الذي بدأ التحصيل في زمن مبكر، واختلف الى المسجديين فأخذ ما عندهم، ثم لازم أبا عمرو ، ثم تعلق بأعراب البصرة وأعراب المربد ، وأوغـل فـي البادية يستمع من أهلها ، وجلس الى علماء الحجاز ـ مثل هـذا الرجل ـ يتحدث في ثلث اللغة فقط ، والمسألة لا تحتاج الـى ايغال فـي الذكـاء ، فالأصمعي كما نعرف كان لا يروي الا عن عربي خالص العروبة ، ولا يروي الا أصح اللغات ، ويفسر هذا بعض ما تلاحظه من كثرة كتب أبـي عبيـدة وقلة الاصمعي نسبيا ، على كل حال كان هذا الثالوث هو أبرز ما ظهر في البصرة في التاريخ اللغوي بل أبرز ما ظهر في العالم اللغوي كلـه ، ومـن بعدهم جاء رجال الصف الثاني ونحن نعرف بهم في ايجاز .

المازني ، والسجستاني ، والرياشي

تلمذ الثلاثة لأبي زيد ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، واختلفوا اتجاهـا

---

(1) تاريخ بغداد 10 : 416

(2) معجم الادباء 19 : 157

ومنزعا فاتجه أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني الى الدراسات النحوية والقراءات ، وتشير مؤلفاته الى سبق فيها ، فمنها كما يقول ياقوت: كتاب فى القرآن كبير ، وكتاب علل النحو ، وكتاب تفاسير كتاب سيبويه . وكتاب ما يلحن فيه العامة ، وكتاب الألف واللام ، وكتاب العروض ، وكتاب القوافى ، وكتاب الديباج فى جوامع كتاب سيبويه . وكان المازنى متكلما لا يناظره أحد الا قطعه (1) .

وبرز سهل بن محمد ابو حاتم السجستانى فى اللغة ، وقلت مرتبته فى النحو فكان يتحاشى المناظرة فيه وكان اذا التقى هو والمازنى فى دار عيسى ابن جعفر الهاشمى تشاغل أو بادر خوفا من أن يسأله المازنى فى النحو ، وكان أبو حاتم الغاية فى المعرفة بالشعر واستخراج المعنى وفى المعرفة بالقراءات . وكان أبو حاتم كثير التصنيف والتأليف جماعا للكتب ، وأكثر كتبه فى جمع اللغة بحسب الموضوعات (2) .

واتصل ابو الفضل العباس بن الفرج الرياشى بأبى زيد ، وطالت صحبته مع الأصمعى فأخذ الكثير من علم أبى زيد عن طريق كتبه ، وأخذ على الاصمعى رواية عليه وهو يقول فى هذا : تحفظت كتب أبى زيد ودرستها الا أنى لم أجالسه مجالستى للأصمعى ، وأما كتب الاصمعى فانى حفظتها لكثرة ما كانت تتردد على سمعى لطول مجالستى له ، وكان لسبقه فى اللغة يعلمها للمازنى ويتعلم منه النحو (3) .

ويذكر هؤلاء الثلاثة فى مقارنة فيقول الخشنى : كان المازنى فى الاعراب ، وأبو حاتم فى الشعر والرواية ، وكان الرياشى فى الجميع (4) .

---

(1) اقرا عنه فى معجم الادباء 7 : 107 ، واخبار النحويين البصريين للسيرافى ، وانباه الرواة 1 : 230
(2) انظر طبقات الزبيدى 109 ، اخبار النحويين البصريين 71 ، انباه الرواة 2 : 58
(3) انظر طبقات الزبيدى 103 (4) طبقات الزبيدى 105

ثم يضمحل النشاط اللغوى فى البصرة وتضطرب أحوالها للثورة التى قام بها صاحب الزنج ، وقتل فى هذه التورة ابو الفرج الرياشى — ثم بسبب ازدهار بغداد التى اجتذبت اليها الطامحين من كل الطبقات .

اما رجال الكوفة فكان من أوائلهم :

المفضل الضبي والكسائي

أخذ أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد بن يعلى الضبى القراءة عن عاصم بن أبى النجود وسمع الحديث من أبى اسحق السبيعى ، وسماك بن حرب ، والاعمش . والمفضل صاحب اول مجموعة شعرية اختارها من عيون الشعر وهى المعروفة بالمفضليات ، وبالاضافة الى هذه المجموعة فله كتاب الاختيارات ، وكتاب معانى الشعر ، وكتاب الأمثال ، وكتاب الألفاظ ، وكتاب العروض .

وقرأ الكسائى على حمزة بن حبيب الزيات ، ثم اختار له بعد ذلك قراءة عرفت له . وذهب الى البصرة فى التماس اللغة فقال له رجل من الاعراب : اتركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت الى البصرة؟ فقال للخليل : من أين أخذت علمك هذا ؟ فقال : من بوادى الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج الى البادية وعاد بعلم غزير دونه عن الاعراب .

استقدمه الرشيد فور عودته لتأديب ولده ، فأعجب به ، وذكره أبو بكر بن الأنبارى فقال : اجتمعت فى الكسائى أمور ، كان أعلم الناس بالنحو ، وأوحدهم فى الغريب ، وكان أوحد الناس فى القرآن ، فكانوا يكثرون عليه ... فيجمعهم ويجلس على كرسى ويتلو القرآن من أوله الى آخره وهم يسمعون ويضبطون عنه حتى المقاطع والمبادىء .

وعمر الكوفة فى الدراسات اللغوية قصير ، فلا تكاد تقوم بغداد حتى يرحل اليها رجال الكوفة وكان من أشهرهم الفراء وابن الاعرابى وثعلب .

الفراء ، وابن الاعرابى ، وثعلب

تلمذ أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء على الكسائى ـ كما أخذ عن يونس بن حبيب البصرى ، وبمثل هذا تكونت العقلية البغدادية بمزاج من الثقافتين ـ وقد توسم المأمون الخير فى الفراء ، فأمر أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع عن العرب ، فكان الوراقون يكتبون عنه حتى صنف كتاب الحدود .

وكان أبو عبد الله محمد بن زياد الأعرابى أحفظ الناس للغات ، والأيام ، والانساب . وقال فيه ثعلب : انتهى علم اللغة والحفظ الى ابن الاعرابى ، ومن كتبه : النوادر ، والانواء ، وصفة النخل ، وصفة الزرع ، والخيل والنبت والبقل ، ونسب الخيل ، وتاريخ القبائل ، وتفسير الامثال ، والنبات ، ومعانى الشعر ، وصفة الدرع ، والألفاظ ، ونوادر الزبيريين ، ونوادر بنى فقعس ، والذباب .

وكان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب شيخ الكوفيين فى بغداد ، حفظ كتب الفراء ، وتلمذ لابن الاعرابى ـ وفى عصره ـ قلت الفوارق بين المذهب الكوفى الذى انتهت اليه رئاسته فى بغداد ، والمذهب البصرى الذى كان يرأسه المبرد هناك ، كذلك لم يقتصر ثعلب على علم الكوفيين ، فروى كتب أبى زيد الانصارى عن ابن نجدة ، وكتب أبى عبيدة عن على ابن المغيرة الأثرم ، وكتب الأصمعى عن أبى نصر أحمد بن حاتم فاجتمع له بذلك علم البلدين .

هذا تعريف موجز ـ بالعلماء الرواة ـ أردنا أن نضعه فى هذا المكان الضيق من الكتاب ، وبهذا الايجاز الشديد ، لنسبب القول فى (الأعراب الرواة) ويلحظ طالب المعرفة باللغة : من هؤلاء ، ومن هؤلاء .

الأعرابُ الرُّواة

أما الاعراب الرواة ، ونقصد بهم أولئك الذين أخذت عنهم اللغة فلم ينشأوا رواة للشعر ، ولا نقلة للحديث ، ولا حفظه للأنساب ، وليسوا من القراء وان توفرت لأحدهم صفة من هذه الصفات فانما جاءت زيادة على أصل لا يشترط فيهم وانما كان يطلب منهم مجرد خلوص العروبة ، ولا شيء غير هذا .

وهم فئة ، ظهروا ، بسبب الحاجة الى ألسنتهم ، فلقد كانت العربية الموثقة محاطة في سياج الجزيرة التي لا يكاد يقتحمها عليهم غريب ، فان شذ عن هذا الأصل رحلة الى مشارف الجزيرة كرحلة الشتاء والصيف ، أو سفرة من السفرات ، فان هذا الانتقال لم يكن يلوي من ألسنتهم أو يغير من طباعهم فهم أحرص الناس على ألسنتهم ، ولهذا لا تسمع قبل الاسلام عن شيء يتصل برواية ولا تعلمها وانما كان يتلقاها خالف عن سالف دون أن يعرف ما نقوله اليوم من اسماء ومدلولات ومصطلحات حول قواعدها من قولنا : الفاعل ، والمفعول ، والمسند ، والمسند اليه الى غير ذلك مما جاءت به الأيام بعد أن تبدلت الارض غير الارض .

لقد جاءت الدعوة ، وحملها النبى الكريم الى الناس كافة ، وخرج العربى فى سبيلها مجاهدا أو مهاجرا ، وتجاوز جزيرته ، ولقى وهو يبشر بالدين الجديد ، ويدعو اليه أمما وأفرادا من الفرس ، والانباط ، والهنود ، والزط ، والسبابجة ، والمصريين ، والبربر ، والمغاربة ، والاتراك • دخل أكثرهم فى دين الله ، وبقى قليل منهم على ما هم عليه يدفعون الجزية ، ويطيعون ما يأمر به أمراء المسلمين من نظم الحياة وأمور الدين والدنيا • وأقبل المسلمون على دين الله ، يتعلمون القرآن ، ويقيمون به صلاتهم ، ويجدون فيه تعاليم دينهم ودنياهم ، حتى الذين أسلموا تحت وطأة السيف والذين أسلموا بعد أن أحاطت بهم الدعوة من كل جانب ، والذين لم يسلسوا كذلك ، كان عليهم جميعا أن يتفهموا أوامر الحاكم ونواهيه ، وكلها صادرة عن لسان عربى ، فكان هذا وجه من وجوه الاتجاه الى اللغة •

والوجه الآخر ، أن المسلمين وجدوا ان القرآن أجمل تعاليم الدين ، فذهبوا يفصلون ما أجمله القرآن مستعينين بالحديث الشريف ، فتجلت لهم أشياء ، وغمت عليهم أشياء ، فكانوا يجدون بغيتهم بادىء الامر عند صحابة النبى صلى الله عليه وسلم وتابعيهم ، فلما نضب هذا المعين بوفاة علمائه ، تلمسوه فى الآثار العربية الموثقة من شعر ، ونثر ، وكلام محكم ، ثم جلسوا الى العلماء يتعلمون العربية •

ووجه ثالث ، ان من الموالى ، والآتين من أجناس غير عربية لحظوا أن المجد الادبى فى هذه الامة لا يتحقق عن غنى ويسار ، ولكن رأوا العرب يفتتنون بألسنتهم وليس لديهم كما يقول الجاحظ الذ ، ولا أمتع من سماع كلام الاعراب • ترى أمثلة من هذا الجمال اللغوى والافتتان به فيما كتبه :

الجاحظ فى البيان والتبيين ، والبخلاء

وابن قتيبة فيما كتبه فى عيون الاخبار

والمبرد فى كتابيه الكامل ، والفاضل
وابن السكيت فى اصلاح المنطق
وابن عبد ربه فى العقد الفريد ••••• الى غير ذلك •
ولا بأس أن أكتب اليك نتفا من كلام الاعراب ، تلمس منها حلاوة منطقهم ، سواء جاء ذلك فى جد القول أو لهوه •

ــ يقول عبد الرحمن عن عمه : سمعت أعرابيا يذكر قومه فقال : كانوا والله اذا اصطفوا تحت القتام ، خطرت بينهم السهام بوفود الحمام ، واذا تصافحوا بالسيوف فغرت المنايا أفواهها ، فرب يوم عارم قد أحسنوا أدبه ، وحرب عبوس قد ضاحكتها أسنتهم ، وخطب شئز قد ذللوا مناكبه ، ويوم عماس قد كشفوا ظلمته بالصبر حتى ينجلى ، انما كانوا البحر الذى لا ينكش غماره ولا ينهنه تياره • (1)

ــ ووردت عنهم حكايات ربما جىء بها لتكشف عن سجية لم تصقل ولم تتأثر بحضارة وكان ذلك من علامات الاصالة وصدق العروبة وعدم اعتيادهم سماع غير العربى • يقول الجوهرى فى كتاب الصحاح مادة ك م خ :

« الكامخ الذى يؤتدم به ــ معرب ــ والكمخ : السلح ، وقدم الى أعرابى خبز وكامخ فلم يعرفه فقيل له : هذا كامخ ، فقال : قد علمت أنه كامخ ، ايكم كمخ به ، يريد سلح به » • (2)

واليك صورة جاء بها صاحب العقد الفريد :

(1) امالى القالى 1 : 139 الشئز = المقلق العماس = الشديد ينكش = ينزح
(2) صحاح الجوهرى 1 : 206

صورة بدوية

ولعل أمثل تصوير لأعرابى فى الحضر ، ما ذكره ابن عبد ربه فى خبر أبى الزهراء قال :

حدثنا المعلى بن المثنى الشيبانى قال: حدثنا سويد بن منجوف قال: اقبل أعرابى من بنى تميم حتى دخل الكوفة من ناحية جبانة السُّبَيع ، تحته أتان له تخب ، وعليه ذلاذل وأطمار من سحق صوف ، وقد اعتم بما يشبه ذلك ، من أشوه الناس منظرا ، وأقبحهم شكلا ، وهو يهدر كما يهدر البعير ، وهو يقول : الا سبد ، الا لبد ، الا مُؤوٍ ، الا مقر ، الا سعدى ، الا يربوعى ، ألا دارمى ؟ هيهات هيهات ، وما يغنى أصل حوض الماء صادبا معنى ؟

قال سويد ..... وكان معنا أبو حماد الخياط ، وكان من أطلب الناس لكلام الاعراب، وأصبرهم على الاتفاق على اعرابى يدخل علينا وكان مع ذلك مولى لبنى تميم ، فأتيته فأخبرته ، فخرج مبادرا كأنى أفدته فائدة عظيمة ، وقد نزل الاعرابى عن الاتان واستند الى بعض الحيطان ، وأخذ قوسه بيده ، فتارة يشير بها الى الصبيان ، وتارة يذب بها عن الأتان وهو يقول لأتانه :

قد كنت بالأمعز فى خِصْبٍ خَصِبْ
ما شئت من حَمْضٍ وماء مُنْسَكِبْ
فربك اليوم ذليل قد نَصِبْ
يرى وجوها حوله ما ترتَقَبْ
ولا عليها نور اشراق الحسب
كأنها الزنج وعُبْدان العرب
الى عجيل كان كالرَّغْلِ السَّرِب (1)
ولو أمنتُ اليومَ من هذا اللَّجَبْ

(1) كالرغل السرب أى البهمة الهائمة على وجهها

رميت أفواقـــا قَويمـات النّشُــبْ
الـــرّيش اولاهـــا وأخراهـــا العَقَـــبْ

قال : فلم يزل ابو حماد يلطفه ويتلطف به ويبجله الى أن أدخله منزله، فمهد له ، وحطه عن أتانه ودعا بالعلف ، فجعل الاعرابى يقول : ايـن الليف والنثيف ، والوساد والنجاد ، يعنى بالليف الحصير وبالنثيف عشبة عندهم يقال لها البهمى ••••••

قال سويد بن منجوف : ••••• وكنا نجتمع معـه فى مجلس أبـى حماد ، وما منا الا من يأتيه بما يشتهيه فلا يعجبه ذلك حتى أتينـاه يومـا بخربز (بطيخ) وكانت أمامه ، فلما أبصرها تأملها طويلا وجعل يقول :

بُدّلْتُ والدهـــر قديمـا بَـــدّلا
مـــن قيض بيض القفر فقعـــا حنظـــلا
أخبـث مـــا تنبـت الارض مأكـــــلا

فكنا نقول له : يا ابا الزهراء ، انه ليس بحنظل ، ولكنه طعام هنـىء مرىء ، ونحن نبدؤك فيه ان شئت • قال : فخذوا منــه حتى أرى ، فبدأنا نأكل ، وهو ينظر لا يطرف ، فلما رأى ذلك بسط يده •••••• وجعل فى خلال ذلك يقول :

هـــــذا طعـــام طيـب يلـين
فـى الجوف والحلق لـــه سكـون
الشهـد والزبـد بـــه معجـون

فلما كان الى أيام ، قلت له : يا أبا الزهراء ، هل لك فى الحمام ؟
قال : وما الحمام يا ابن أخى ؟
قلت له : دار فيها أبيات ، حار وفاتر وبارد ، تكون فيها أيهـا شئت ،

تذهب عنك قشف السفر ، ويسقط عنك هذا الشعر .

قال : فلم نزل بــه حتى أجابنا . فأتينا بــه الحمام ، وأمرنا صـــاحب الحمّام ان لا يدخل علينا أحدا ، فدخل وهو خائف يترقب ، لا ينزع يــده من يد أحدنا حتى صار فى داخل الحمام فأمرنــا من طــلاه بالنورة (حجر يحك به الجلد فيذهب الشعر) وكان جلده أشعر كجلد عنز ، فقلق ونــازع فى الخروج ، وبدأ شعره يسقط ، فقلنا : أحين طــاب الحمام وبدأ شعرك يسقط تخرج ؟ قال يا ابن أخى ، وهل بقى الا أن أنسلخ كما ينسلخ الاديم فى احتدام القيظ وجعل يقول :

وهــل يطيب المــوت يــا اخوانــى
هـــل لــكم فـــى القوس والأتان
خذوهمـــا منى بـــلا أثمـــان

....قال : فدعونا بكسوة غير كسوته فألبساه ، وأتينا بــه مجلس أبى حماد ، وكان ابــو حماد يبيع الحنطة والتمر وجميع الحبوب ، وكــان يجاوره قوم يبيعون أنبذة التمر ، وكان أبــو الحسن التمار ماهرا ، فــاذا خضنا فى النحو وذكرنا الرؤاسى ، والكسائى ، وأبا زيد جعل ينظــر بفقه الكلام ، ولا يفهم التأويل فقلنا له : ما تقول يا أبا الزهراء ؟

فقال : يا ابن أخى ، ان كلامكم هــذا لايسد عوزا مما تتعلمونه له . فقال أبو الحسن : ان بهذا تعرف العرب صوابها مــن خطئها ، فقال لــه . ثَكِلْتَ وأَثْكَلْتَ ، وهل يخطىء العرب ؟ قال : بلى . قال : على اولئك لعنة الله ، وعلى الذين اعتقوا مثلك ، قــال سويد : وكنت احدثهــم سنا ، قال : فقلت جعلت فداك ، أنا رجل من بنى شيبان وربيعة ما نعلم اناعلى مثل الذى أنت عليه من الانكارعليهم ، فقال فيهم :

يسائلني بيـــاع تمــــر وجـــردق

ومـــازج أبوال لـــه فـــى انائـــه

عن الرفع بعد الخفض لا زال خافضا

ونصب وجزم صيغ من سوء رائه

فقلت لـــه هـــذا كـــلام جهلتـــه

وذو الجهل يروى الجهل عن نظرائه

فقال بهـــذا يعرف النحـــو كلـــه

يرى انني فى العجم مـــن نظرائـــه

فأمـــا تميـــم أو ســـليم وعامـــر

ومن حـــل غمر الضال أو فى ازائه

ففيهم وعنهم يؤثـــر العلـــم كلـــه

ودع عنك من لا يهتدى لخطائـــه

فمن ذا الرؤاسى الـــذى تذكرونه

ومن ذا الكسائى سالح فى كسائه

ومن ثالث لـــم أسمع الدهر باسمه

يسمونه مـــن لؤمـــه سيبوائـــه

فكيف يحيل القول من كان اهلـــه

ويهدى له من ليس مـــن أوليائه

فلست لبياع التميرات مغضبـــا

على الضيم ان واقفت بعـــد عشائه

..... ولما أحضرناه ذات يوم جنازة قلنا له يا أبا الزهراء كيف رأيت الكوفـــة ؟

فقال : يا ابن أخي حَضَراً حاضرا ، ومحلاً آهلا، انكرت من أفعالكم الاكيال والاوزان ، وشكل النّسوان ، ثم نظر الى الجبانة ، فقال : ما هذه التلال يا ابن أخي ؟ قلت له : أجداث الموتى ••••• فاستعبر وبكى وجعل يقـول :

يا لهف نفسى أن أمـوت فـى بلدى
قـد غاب عنى الأهل فيـه والولـد

ثم لم يلبث يسيرا حتى أخذته الحمى والبرسام ، فكنـا لا نبارحـه عائدين متفقدين ، فبينا نحن عنده ذات يوم ، وقـد اشتد كربـه ، وأيقن بالموت جعل يقول :

ابلغ بناتى اليوم أبلـغ بالصشوى
قـد كن يأملن ايابـى بالغنـى
وقد تمنين وما تغنى المنـى (1)

ومن ألفاظهم الصريحة ما تراه بـين العجاج وامرأتـه الدهنـاء بنت مسحل ، فقد ذهبت الدهناء تشكو زوجها الى المغيرة بن شعبة فقالت لـه : أصلحك الله ، انى منه بجمع ـ أى لم يفتضنى ـ فقال العجاج :

اللـه يعلـم يـا مغيرة اننـى ... قد دستها دوس الحصان الهيكل
وأخذتها أخـذ المقصب شاتـه ... عجلان يشويهـا لقـوم نزّل

فأجابتـه :

والله لا أرضـى بطول ضـمٍّ
ولا بتقبيـل ولا بشـمٍّ

(1) العقد الفريد 3 : 490 وما بعدها ط لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة 1361 هـ 1942 م والجردق = الرغيف

الا بهزهـاز يسلـى همـى
بسقط منـه فتخي فـى كمـى
لمثـل هـذا ولدتنى أمـى (١)

وأميل الى أخذ الكلام السهل الساذج بشىء مـن الحـذر ، وبفهم متأنٍّ ، فلم يكن القوم سذجا ، ولا كانت نساؤهم كذلـك ، وأمامى خبر يسوقه الحرمازى أبو على الحسن بن على الاعرابى يقول فيه : قيل لمدينية: بأى شىء تعرفين السحَرَ ؟ قالت : ببرد الحلى على جسدى .

ولا أحسب هذه المدينية تدرك مطلـع الفجـر ، أو وقت السحر ، أو برودة الجو لأن حليها تنبئها بذلك ؛ وان المرأة قد عدمت حساسيتها والفها للطبيعة حتى باتت تحس البرد فقط عندما تنبئها حليها ، وانمـا أرادت أن تستلفت الناس الى هذه الحلى ، وأنها كانت من الكثرة بحيث كانت تنقـل اليها برد السحر فتحسه على جسدها .

أوائل الأعراب في البصرة

من أشهر الاعراب فى البصرة ، وأوائلهم : أبو الدقيش ، وأبو خيرة ، وأبو المنتجع ، وأبو مهدية ــ وفى بعض المصادر أبو مهدى ــ وكانت هناك امرأة اعرابية من بنى منقر طارت شهرتها فى الرواية فيما يحكى أبو عبيـدة أنه قد سأل عنها ، فأخبر بمرضها ، فذهب يعودها ، فعاد يحكى عنها كلامـا غريبا ، وفى مرة أخرى حين سألها أبو حاتم السجستانى فـى الابدال بـين الجيم والياء ، وحينما سئلت عن نوع من الحب فقالت لابى حاتم : أرنى منه حبات ، وقالت : هذا البخدق . وهناك أعرابى رأيناه يحتل مكانة مرموقـة لدى شيخ الرواة أبى عمرو بن العلاء ــ هذا الاعرابى هو شبيل بـن عزرة الضبعى ، وكان من رجال الخوارج .

---

(١) البيان والتبيين 2 : 351 ، 3 : 207 الفتخة = الخاتم من غير فص

ومن الاعراب ، أبو الجاموس ثور بن يزيد ، وكان يفـد عـلى آل سليمان بن على ، وعلى هذا الاعرابى تلقى ابن المقفع الفصاحة ، وفى منزل سليمان بن على دارت مناقشة بين المفضل الضبى ، والاصمعى حول قـول الشاعـر :

وذات هـدم عـار نواشـرها   تصمت بالمـاء تولبا جدِعـا

المفضل يقولها : جذعا ، والأصمعى يقولها جدعـا (بالدال المهملـة المكسورة) وكان يلوذ ببيت آل سليمان بن عـلى بعض الاعراب ، فنودى على غلام من بنى أسد فقال بقول الأصمعى (1) .

وكان أبو حزام العكلى غالب بن الحارث يفد على أبى عبيد الله وزير المهدى ، ووفد على الرشيد، واتصل بالبرامكة ابو شنبل العقيلى ــ واسمه الخليخ ــ وزاوج بين عمل الاعراب الرواة والاعراب العلماء فألف كتابا فى النوادر (2) وانقطع أبو دعامة العبسى ، وقيل اسمه : عـلى بن بريد الـى البرامكة (3) وأتيح له أن يؤلف كتابا فى الشعر والشعراء (4) .

وكان يتحدث أبو الحسن على بن سليمان الاخفش عن تبادل الهمزة والعين فقال : أنشدتنى أعرابية من بنى كلاب (5) وبهذه المناسبة فقد شارك فى رواية اللغة أعرابيات منهن : أم الهيثم ، وشماء ، وغنيـة أم الحمارس ، وقريبة أم البهلول ، كما روى عن مجرد امرأة كما رأيت فـى خبر الاخفش على بن سليمان وغير ذلك (6) وفى نوادر أبى زيد امرأة ذكرت عرضا لهـا هذه الصفة وعرفت باسم الجهينية صاحبة المرثية (فأنشد أبو حاتم للجهينية صاحبـة المرثيـة :

أجعلت أسـعد للرماح دريئـة   هبلتك أمك أى جرد ترقع) (7)

---

(1) نزهة الألبا 68
(2) الفهرست 68 ط الرحمانية
(3) انباه الرواة 4 : 117
(4) الفهرست 71 ط الرحماية
(5) النوادر 28 ــ 29
(6) النوادر 146
(7) النوادر 7

التماس الأعراب لتوثيق العربية

كان طلاب البصرة يتعلقون بالأعراب اذا عثروا بهم فى طرقها ، وربما أخذ الحديث معهم شكل المحاورة ، أو المشاغبة أحيانا ، لا رغبـة فى ذلك ولكن لحمل الاعرابى على الكلام للافادة بمنطقه وطريقة القول عنده ، كان أبو زيد سعيد بن أوس يقول لصاحبه :

ما المتكأكىء ؟

قال : المتأزف

قال : وما المتأزف ؟

قال : المحبنطى

قال : ومـا المحبنطى ؟

قال : أنت أحمق ومضى(1) .

وقيل للمنتجع أو لأبى مهدية : ما النصناص ؟

فأخرج لسانه وحركه ، وقيل له : ما الدلنظى ؟

فزجر وتقاعس وفرج ما بين منكبيه (2) .

وقال يونس بن حبيب لأبى الدقيش : ما الدقيش ؟

قال : لا أدرى ، انما هى أسماء نسمعها فنتسمى بها (3) .

وضاق أعرابى بالاصمعى وقد وجده يلاحقه يكتب عنه فقال له : من أنـت ؟

قال : أنا عبد الملك بن قريب الأصمعى .

قال : ذو يتتبع الاعراب فيكتب ألفاظهم ؟ وكأن الاعرابى قـد عرف الاصمعى ، وعرف شهرته فى هذه الهوايـة .

---

(1) نزهة الألبـا 174

(2) البيان والتبيين 2 : 289

(3) المزهر 2 : 318

وأتمثل الحضرى والبدوى ، كل منهما يرى فى حديث صاحبه ضربا من الرطانة أو يرى فيه غموضا لا يسهل فهمه كما يدلك هذا الخبر :

« سئل أبو عمرو بن العلاء عن اشتقاق الخيل فلم يعرف ، فمر أعرابى محرم — أى فصيح لم يخالط الحضر — فأراد السائل سؤال الاعرابى . فقال له أبو عمرو : دعنى فأنا ألطف بسؤاله وأعرف ، وسأله ، فقال الاعرابى : اشتقاق الاسم من فعل المسمى فلم يعرف من حضر ما أراد الاعرابى ، فسألوا أبا عمرو عن ذلك فقال : ذهب الى الخيلاء التى فى الخيل والعجب ، ألا تراها تمشى العرضنة خيلاء وتكبرا » (1). فأنت ترى الجمهرة من الطرفين لا تكاد تفهم بسهولة ما يقوله الطرف الآخر لاغراق كل منهم فى عمق لهجته — على حد تصور كل لصاحبه .

واذا أردت أن تعرف منزلة الاعراب الرواة فى نفوس علماء اللغة ، ونفوس الرؤساء ذكرتك بما كان يكنه أبو عمرو بن العلاء لشبيل بن عزرة الضبعى ، كان اذا قدم على حلقته قام له واقفا ، وأفسح له ، وألقى اليه لبد بغلته ليجلس عليه . ونودى بابن الاعرابى لمقابلة رجل له شأن ، فقال للرسول : عندى قوم من الاعراب فاذا قضيت أربى منهم أتيت . (2).

لم يكن عند ابن الاعرابى أحد من الاعراب ، ولكنه لم يجد عذرا يقبله هذا السيد أجل من هذا العذر ، وكان فى الحقيقة منصرفا الى النظر فى بعض كتبه .

الاحتكام إلى الأعراب للفصل في الخصومات اللغوية

ومن بين أعراب البصرة رجلان فى الذروة من الثقة : المنتجع ، وأبو مهدية ، أحدهما يتكلم بلهجة تميم ، والآخر بلهجة الحجاز يذكرهما الأصمعى فيقول :

---

(1) طبقات الزبيدى 29

(2) معجم الادباء 18 : 194

« جاء عيسى بن عمر الثقفى ونحن عند أبى عمرو بن العلاء فقال : يا أبا عمرو، ما شىء بلغنى عنك تجيزه ؟ قال : وما هو ؟ قال : بلغنى أنك تجيز ليس الطيب الا المسك — بالرفع — فقال أبو عمرو : نمت وأدلج الناس . ليس فى الارض حجازى الا وهو ينصب ، وليس فى الارض تميمى الا وهو يرفع . ثم قال أبو عمرو : قم يا يحيى . يعنى اليزيدى ، وأنت يا خلف ، يعنى خلفا الأحمر فاذهبا الى أبى المهدى فانه لا يرفع ، واذهبا الى المنتجع ولقناه النصب فانه لا ينصب . قال : فذهبا فأتيا أبا المهدى ، واذا هو يصلى وكان به عارض ، واذا هو يقول : اخسأنان عنى ، ثم قضى صلاته والتفت الينا وقال : ما خطبكما ؟ قلنا جئناك نسألك عن شىء ، قال : هاتيا ، فقلنا : كيف تقول : ليس الطيب الا المسك ؟ فقال : أتأمرانى بالكذب على كبرة سنى ، فأين الجادى ؟ وأين كذا ، وأين بنّة الابل الصادرة ؟ فقال له خلف الاحمر : ليس الشراب الا العسلُ فقال : فما يصنع سودان هجر مالهم شراب غير هذا التمر ، فقال اليزيدى : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس ملاك الأمر الا طاعةُ الله والعملُ بها ، فقال : هذا كلام لا دخل فيه ليس ملاك الامر الا طاعةَ الله ، فقال اليزيدى : ليس ملاك الامر الا طاعة الله والعمل بها ، فقال : ليس هذا لحنى ولا لحن قومى فكتبنا ما سمعنا منه ثم أتينا المنتجع فأتينا رجلا يعقل . فقال له خلف : ليس الطيب الا المسك (بالنصب) فلقناه النصب وجهدنا فيه فلم ينصب وأبى الا الرفع » (1)

(1) الامالى 3 : 39، ط دار الكتب

فساد الأعراب

ولكن هذا المجد لم يدم طويلا ، فالاعراب بعيدون عن أوطانهم ، وما كان للألسنة أن تستمسك على عروبتها فى هذه الاطراف النائيـــة ، مهمـا تعمل لها الاعراب فذلك أمر يتعارض مع طبيعة الاشياء .

كان الاعراب يحاولون قضاء مآربهم فى البصرة ويعودون لتوهم الى البادية لتظل لهم هذه الصفة التى يطلبون مـــن أجلهـا ، أو هكذا كانــوا يتظاهرون بعدم المكث فى الحضر ، فقد توسل ذو الرمة لأبى عمرو أن يكتم عليه أن رآه فى حانوت بالبصرة قائلا : اكتم على يا أبا عمرو ، ولكن ماذا يجدى عليه كتمان أبى عمرو ، لقد كان ذو الرمة من الاعراب البداه وكانت شهرته آتية من مقدرته فى وصف الابل ، كما كان يحتج به لأعرابيته القحه، ولكن تردده على الحضر قد هوّن من أعرابيته فى نظـــر الاصمعى الـــذى غمزه بقوله : قد أكل البقل والمملوح من حوانيت البصرة . (1)

ويبدو أن ذا الرمة كان كثير التردد على البصرة ، وأن رأى الاصمعى فيه صحيح ، لقد رأته أيضا عجوز ، ولاحظت تردده عـــلى البصرة ، فقالت له : طال ترداك على هذا البلد ، أفالى زوجة سعدت بها ، أم الى خصومـــة شقيت بها ؟ فقال لراويته وكان يبحث عـــن مطلع لقصيدة يمدح بها بلال بن أبى بردة : جاء والله ما أريد ثم قال :

تقـــول عجوز مدرجى متروحـــا
على بابها من عند أهلى وغاديـــا
الى زوجـــة بالمصر أم لخصومـــة
أراك لها بالبصرة العام ثاويا (2)

---

(1) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 190

(2) الموشح 184 — 185

ولنا مع الكميت والطرماح حديث لا يدعو الى طمأنينة ، فقد روى المازنى قال : سمعت الاصمعى يقول : الكميت تعلم النحو وليس بحجة ، وكذلك الطرماح ، وكانا يقولان ما قد سمعاه ولا يفهمانه • قال رؤبة : كانا يسألاننى عن غريب شعرهما •

وفى خبر آخر يرويه المبرد قال : ذكر عن رؤبة بن العجاج أنه قال : قدمت فارس على أبان بن الوليد البجلى منتجعا له فأتانى رجلان لا أعرفهما فسألانى عن شىء ليس من لغتى ، فلم أعرفه ، فتغامزا بى ، فتقبعت عليهما فهمدا ، ثم كانا بعد ذلك يختلفان فيسمعان منى الشىء فيكتبانه ويدخلانه فى أشعارهما ، فعلمت أنهما ظريفان ، وسألت عنهما فقيل : هما الكميت والطرماح (1) •

أما التهمة الاولى التى نلحظها من خلال النص فانهما تعلما النحو ، وهذه وحدها تودى بصفة الاعرابى، فما حاجة الاعرابى الى النحو ؟ والنحو بضاعة الحضريين وسبيلهم الى معرفة اللغة ، أما الاعراب فقد أرضعوا اللغة مع ألبان أمهاتهم وشبوا ونشأوا وكبروا واكتهلوا عليها يتلقونها بكل حواسهم مما حولهم فما حاجتهم الى النحو ؟

أما التهمة الثانية « فانهما يقولان ما قد سمعاه ولا يفهمانه » انهما يتاجران اذن حين أدركا أن اللغة أصبحت بضاعة تلتمس لها الأسباب ، ومن البضاعة ما هو زائف وصحيح ، وعهدنا بالاعراب والخلص منهم أنهم يقولون ما يسمعون ، ويفهمون أيضا •

وأما اللفظة الثالثة التى طرقت أذنى ، ولعلها تعنى تهكما لطيفا « انهما

---

(1) الموشح 192

ظريفان » هل كان رؤبة يعنى بذلك ظرف الحضر وينفى عنهمـا خشونـة الأعراب ، ويعنى بكل هذا زيفهما وبهرجتهما . ربمـا .

وكلمة أخيرة فى هذا الحساب : يسألانه عن شىء ليس من لغته ، هل يقصد لغة قبيلته ؟ أم لغة العرب بعامة ، لو كانت الاخيرة لكانت تهمة اكبر من أخواتها . ولا أظن المبالغة تصل بالرجلين الى هذا الحد ، والكميت من بنى أسد وقد اشتهر أمرها بالفصاحة ، والطرماح طائى له فى العربية بـاع وذراع ، ولكن التطرف بعيدا عن البادية ، والتصنع للغريب ، قد أدخلاهمـا فى هذا المعترك ، ولم يسلما من نقد رجال اللغـة .

وتعال نقرأ معا بعض الاخبار ، وأصارحك القول أننى لم أفهم منها ما يعنيه ظاهر النص ، ولم تدخل صدرى مدخل صدق ولا طمأنينة ، وكان من حقى أن أفهم منها ما أعرضه عليك .

ــ كان أبو الوجيه العكلى ــ وهــو أعرابى نـزل البصرة ، يذكره الجاحظ فى كتاب الحيوان يتحدث فى خصائص الباديـة ، وفـى صفات السحاب ، وأحوال الضباب ، والعقارب ، والقنافذ (1) .

ونحن نتساءل : ولماذا السحاب ، والضباب ، والعقارب الى آخر مـا قال ؟ لو أن البادية حين أخرجتهم وساقتهم الى الحضر قد منحتهم شيئا غير فطرتهم كأعراب لقلنا أنه كان فى البادية فئات تمنح التخصصات كمـا تفعل الجامعات اليوم ، الا أن يكون الخبر اتجاها الى صرف نشاط الطالبين الـى كشف سقط الاعراب ، وقد رأوهم مقبلين على الحاضرة طمعا .

وحكاية أم الهيثم ؟

وأفضل أن تتلقاها كما وردت حتى لا أنفرد عنك برأى قد تكون فيه

---

(1) الحيوان 194

على خلف معى، يقول عنها عمر بن خالد العثمانى: قدمت علينا عجوز من بنى منقر تسمى أم الهيثم، فغابت عنا، فسأل عنها أبو عبيدة فقالوا: انها عليلة، فقال: هل لكم أن نعودها؟ فجئنا، فاستأذنا، فقالت: لجوا ، فسلمنا عليها فاذا هى عليها أهدام وبجد وقد طرحتها عليها ، فقلنا : يا أم الهيثم ، كيف تجدينك ؟ قالت : كنت وحمى بالدكة (الودك) فشهدت مأدبة ، فأكلت جبجبة من صفيف هلعة ، فاعتزتنى زلخة ، فقلنا يا أم الهيثم ، أى شىء تقولين ؟

فقالت : أو للناس كلامان ؟ والله ما كلمتكم الا بالعربى الفصيح . (1)

فهل سمعت قبل اليوم بلغة كهذه عربية أم سقطرية أم لأهل مهرة أو على مشارف اليمن ؟ ان يكن هذيان امرأة مريضة فلا بأس ، فالمرضى قد يرطنون ، ولكن ليس بهذه الاساليب والكلمات المعدة الرتيبة اذا ما كانت تعنى معانيها حقا ، فالمرضى قد يعانون من الاعياء ما يجعلهم يكتفون بمختصر القول أو مجرد الاشارة أو يلجمهم المرض فيبلغون بالسكوت اذا لم تغن اشارة أو ايماءة أو تمتمة ، ولكن أخبار الاعراب ، والاعرابيات قد أنطقت الألسنة كما رأيت ، الجبجبة ، والصفيف ، والهلعة والزلخة — واضطرت المعاجم — فيما أعتقد — الى أن تجد لها مخرجا ، أما رواة اللغة القدامى فقد وقفوا حائرين يسألون :

أى شىء تقولين ؟

فتقول — والعهدة على الراوى — : أوللناس كلامان؟ والله ما كلمتكم الا بالعربى الفصيح . ونحن نقول: ولماذا القسم يا أم الهيثم، اذا كان هذا هو العربى الفصيح ، فهو كما يبدو من نوع لا يعرفه حجازى ولا تميمى ، وانما هى صناعة أعراب وأعرابيات يطلبون العيش .

---

(1) الامالى للقالى 3 : 69 ، المزهر 2 : 450 ط الحلبى

وخبر آخر . سألها أبو حاتم السجستانى عن نوع من الحب يقال لــه بالفارسية (اسفيوش) قالت : أرنى منه حبات ، فأراها ، فأفكرت ساعة ثم قالت : هذه ، البخدق وأخذت الكلمة سبيلها الــى بعض المعاجم لا كــل المعاجم ، فقد كان وراءها ابن خالويه لينبه أن الكلمة لــم تسمع الا من أم الهيثم (1) وقد يكون الصحيح حقيقة هو البخدق ولكن هذا التعمل فــى سيرة أم الهيثم قد أدخل الحابل فى النابل ، وملأ المعاجم بمــا يتعين عــلى الناس معرفته وحفظه .

والعلم عنده سبحانه فيما سمع وفيما وضع .

---

(1) اللسان ب خ ق 39 : 13 ط دار صادر

الأعرابُ أمامَ الامتِحَان

اهتزاز الثقة في أعراب الحواضر

اهتزت صورة الاعراب فى الحاضرة ، وساور العلمـاء الرواة الشك فيما يأتى به الاعراب الرواة ، فاختلفت أسئلتهم عن ذى قبل ، كانوا يطلبون منهم مجرد الكلام ، وكان كل ما يأتى به الأعرابى صالحـا متوجهـا حتى رخيص الثرثرة . سمع الاصمعى أعرابيا رقيق الحال ينشد :

أضـاعونى وأى فتى أضاعـوا
ليـوم كريهـة وسـداد ثغـر

فأخذ يحاوره بغية الاستفادة من كلامـه ، ورأى صبيـة يتراجزون فأعطى اهتمامه لهم حتى عاتبه رجل بقوله « أتأخـذ عـن هؤلاء الاقـزام الادناع ؟ ! ، وكانوا يأخذون عن الاطفال والمجانين ، فاللغة عند جميع هؤلاء صحيحة لا شوب فيها .

ومضى وقت فى البصرة كانت كلمة الاعراب مـن المسلمات ، والقول ما قالوا ، فهم يعرفون المسميات التى يبحث عنها طالبو العربيـة ، ويأتون

بالمترادفات ، فيقول قائلهم : المتكأكيء ، والمتأزف ، والمحبنطى ، ويقول ما الدلنظى ، وتميمهم له رأى يختلف أحيانا عن حجازيهم ، وكل صحيح متوجه .

وما لبث البصريون أن استبانوا فيهم ضعفا ، وهنت هذه السليقة ولانت ، فقالت اليوم غير ما قالت بالأمس وقد عبر عن ذلك رجل كالجاحظ فقال : كان زيد بن كثوة (فى بعض المصادر يزيد بن كثوة) يوم قدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد ، على أنه قد كان وضع منزله فى آخر موضع الفصاحة ، وأول موضع العجمة (1) فأنت ترى الجاحظ قد بدأ يطلق كلمة العجمة أو حدود بدايتها بحاضرة البصرة ، بالاضافة الى هذا الفارق الذى لاحظه فى زيد بن كثوة .

أما اللغويون فقد أخذوا يلغزون لهم فى الأسئلة ، أو يعيدونها عليهم بعد فترة من الزمن لينظروا اذا كانوا على طبيعتهم الخشنة أم تحضروا سأل أبو عمرو بن العلاء أبا خيرة الاعرابى عن قولهم : استأصل الله عرقاتهم . فنصب التاء من عرقاتهم ، فقال له أبو عمرو : هيهات يا أبا خيرة ، لان جلدك ، ذلك أن أبا عمرو استضعف النصب لأنه كان سمعها منه بالجر .(2)

اذن فقد بدأ هذا الشك من عهد مبكر ، وفى حياة أبى عمرو بن العلاء ، أى حين انتصف القرن الثانى الهجرى . لقد فضلت الشك عن كلمة الزيف ، واتجه خاطرى الى أن أبا خيرة قد لان لسانه بفعل الحاضرة ، ولم يكن الامر بعد قد فرض على الاعراب أن يسلكوا مسلك الزيف عن قصد وتعمد، ولكنى أجد خبرا آخر، يجعلنى أجرؤ على كتابة الزيف، ولا أجد فيه نفعا اذا استعملت كلمة الشك حتى خيل الى" وانا اكتب هذه السطور ان للعربية

---

(1) البيان والتبيين 1 : 174
(2) نزهة الالبا 32 — 33

مصنعا فى البصرة كل أدواته مجرد الجرأة على القول تحت ستار البداوة أو الأعرابية ، دفع الى قيام هذا المصنع وشجع عليه منافسة شديدة بين رجال اللغة مثل أبى عمرو بن العلاء ، ويونس بن حبيب ، وابن أبى اسحق ، وأبى زيد سعيد بن أوس ،وعبد الملك بن قريب الاصمعى ، وأبى عبيدة معمر بن المثنى ، وأبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى الى السبق اللغوى ، والتماسه بصدق عند هؤلاء الاعراب ـ وهم كما وصفهم القرآن ـ أشد كفرا ونفاقا ـ فلم يقل أعرابى منهم لا أعرف ، حينما لا يعرف ، وانما كان التزاحم عليهم ، والثقة فيهم مبعث طمأنينة لهم ، وكلما سئلوا حاولوا ارضاء السائل وأبدوا أن عندهم مأربه حتى ضاق رؤبة بن العجاج بيونس بن حبيب فقال له يوما : (حتى متى تسألنى عن هذه الأباطيل وأزوقها لك ، أما ترى الشيب قد بلغ فى رأسك ولحيتك) (1) وهى فى رواية اخرى : (حتى تسألنى عن هذه الخزعبلات وأزخرفها لك .....) .

ويبدو أن القضية لم تعد فى حاجة الى تفسير نصوص ، ولا اجتهاد فى فهم ، ولا شك فيه بعد هذا الاعتراف الخطير حين يسأل يونس عن أباطيل وحين يزوقها له رؤبة عن عمد واصرار . فرؤبة أعرابى لا سلطان ولا ميزان على بضاعته غير أعرابيته ، كان أمره كذلك، وكان أبوه كذلك أيضا، وفى كلام لابن جنى وهو عالم له وزن فى عالم اللغة ما يشهد بهذه القضية ويؤكدها فى وضوح وصراحة فيقول (وقد كان قدماء أصحابنا يتعقبون رؤبة وأباه، ويقولون : تهضّما اللغة وولّداها وتصرّفا فيها ، غير تصرف الاقحاح فيها) ويستشهد بقول الخليل : جاءنا رجل فأنشدنا :

ترافع العز بنا فارفنععا

(1) طبقات فحول الشعراء للجمحى 581 ط دار المعارف .

فقلنا : هذا لا يكــون .

فقال : كيف جاز للعجاج أن يقول :

تقاعس العز بنا فاقعنسسا ؟ ! (1)

وصادف هذا الخروج هوى فى نفوس المجدّدين ، وكان بشار بن برد كما يقول الجاحظ من المطبوعين أصحاب الابـداع والاختراع (2) فاتجـه بهذه العقلية الى مجاراة العجاج ، وأراد أن يضع ويخترع ، فلم يقبل منـه لأن رؤبة وأباه كانا أعرابيين ، ولهما بهذا الصفة رخصة القول والحرية فـى وضعه ، أو على الاقل كان ُيتقبل منهما هذا . ذهب بشار يضـع أيضـا ، وسمع من العرب قولهم (جمزى) للدلالة على السرعة فوضع للكلمة قياسا، وأراد أن يستعمل (فعلى) كما يشاء كأنه عثر على آلة الوضع ، وأمامـه المادة يصرفها كيف شاء فقال :

والآن أقصر عــن سميــة باطلى
وأشــار بالوجلـى عـلىّ مشير

وفى مرة أخرى يقول فى معشوقته :

على الغزلى منى السلام فربمــا
لهوت بها فى ظـل مخضلة زهــر

ولم يسمع من العرب وجلى ولا غزلى ، وكان الاخفش يأخذ هذا على بشار ويعدّه من سقطاته ويقول : ليس هــذا مما يقاس انمـا يعمل فيـه السماع . (3)

---

(1) الخصائص 3 : 298

(2) الاغانى 3 : 145 — 146

(3) الموشح 146

والعجاج وابه يختلفان ، سئل الاصمعى عن بيت العجاج :

غير ثــلاث فى المحــل صيّــم

وأصله الواو قال : حدثنى عيسى بن عمر وقال : سألت رؤبة عن هذا فقال : تيه به فى المتيهين ، هو صوّم (1) .

وأما الرجل الذى كان أجمد وجها من رؤبة وأبيــه ، وأكثر جــرأة ، وأبلغ عنجهية ، فهو الفرزدق همام بن غالب . بل لم يبلغ رجل عربى أعرابى فى الفخر والعجب ما بلغه الفرزدق ، وانعكس هذا الكبرياء على الموالى من رواة اللغة ، فناصبهم العداء بأعرابيته .

جلس بالمرصاد للعلماء الذين أرادوا أن يقعّدوا للعربيــة ظواهرهــا المطردة ، ويضعون لها مسميات تجرى تحتها ، وكان من أوائل هؤلاء النحاة عبد الله بن أبى اسحق الحضرمى ، وكانت مصيبة هذا الرجل أنه غير عربى الأصل فشالت كفته فى الميزان ، ونال منــه الفرزدق المتكبر المتجبر ، بــل أخذ يحاوره ويشاكسه تحت حجة يقولها آخر الأمر ، أنه يتكلم فى لغتــه ، وأنه عربى وعلى الذين يسعون وراء العربية ان يسعوا وراء العرب . عليه أن يقول وعلى الآخرين أن يقعّدوا .

هرج يأتى به الفرزدق يضيّق به على ابن أبى اسحق أم فرج يدخــل به السعة على العربيــة ؟ !

علاقة الفرزدق بابن أبى اسحق هرج من غير شك لا يغير مــن هــذا عربيته الموثوقة التى ذكرهــا يونس يوما فقال (لولا الفرزدق لذهب ثلث اللغة) .

---

(1) الموشح 218

فلم يكن ما يأتيه شعرا على خلاف العربية عجزا ، وهو الشاعر الفحل الذى ملك زمام أكبر معركة أدبية هجائية فى التاريخ الأدبى كله ، ولم تكن حيرة ولا ضرورة شعرية أن يأتى بأبيات تخطىء الاعراب لتتفق مع القافية ، سمعه ابن أبى اسحق يقول :

وعض زمان يا بن مروان لم يدع
مـــن المـــال الا مسحتا أو مجلف

وسأله على اى شىء ترفع (مجلف) فرد الفرزدق : على مـــا يسوءك وينوءك (1) ولم يكتف بهذا ، بل أخذ يهجوه بشعر لا يتفق مع القياس ولا يجرى على سنن العربية ، قال :

فلو كان عبد اللـــه مولى هجوته
ولكن عبد اللـــه مولـــى مواليا

وكان يجب أن تكون مولى موال ــ على الاضافة .

كان ابن أبى اسحق لا تعنيه اهانة لحقته من الفرزدق ، ولكن يعنيـــه هذه اللغة التى يأتى بها الفرزدق ، وتضطرابن أبى اسحق الى العودة الـــى قواعده ، يلتمس عندهـــا رخصة أو ضرورة أو مخرجـــا يعلل به مـــا يقول الفرزدق ، أو يقف ليقول له : أنت مخطىء فـــلا يجد هذا الحق سندا مـــن عروبة أو أصالة يستند بها . ولكن تخلق لهـــذه الأساليب الأسباب والعلل وتأخذ سبيلها الى المعاجم ومات ابن أبى اسحق ، وبقى خطأ الفرزدق حيـــا تلتمس له حياة ــ أى حياة .

واذا سلكنا مسلك المحققين الذين يبحثون عن صحيفة الانسان للحكم عليه وجدنا الفرزدق متهما فى أكثر من جناية لغوية وأدبية . يحكى ابـــو الفرج فيقول : أنشد الفرزدق أمام حماد :

---

(1) نزهة الالبا 25

وكنت كذئب السوء لما رأى دمـا

بصاحبه يوما أحـال علـى الدم

فقال له حماد : أنت تقوله ؟

قال : نعم •

قال : ليس الامر كذلك ، هذا الرجل من أهل اليمن •

قال : ومن يعلم هذا غيرك فأردت أن أتركه وقد نحلنيه الناس، ورووه لى لأنك تعلمه وحدك ، ويجهله الناس جميعا غيرك ؟! (1)

وهذا اعتراف قد لا يفيد قضية الوضع فى اللغة ، ولكنه اتهام لأمانة الفرزدق ، وقرينة فى كتابه الذى يبدو انه سيتلقاه بشماله أو من وراء ظهره كأهل النار •

وفى صحيفته اتهام آخر يصدر هذه المرة من أبى حاتم السجستانـى الذى كان لا يستريح الى بعض التعريفات التى جمعت لتعبر عـن ظاهـرة الاضداد فى اللغة وسمى كتابه فى هذا الوجه (كتاب المقلوب لفظه فى كلام العرب والمزال عن جهته والأضداد) وبهذه التسمية أصبح مـن حقـه أن يناقش ما جاء فى كتب الأضداد التى وضعها اللغويون ـ ووقف عند بعضها لايراها من الأضداد ، فكلمة السليم التى تعنى : السالم والملدوغ ليست من الأضداد عند أبى حاتم وانما هى كلمة للتفاؤل ـ وفى كلمة شوهاء قال أبو عبيدة : مهرة شوهاء ، قبيحة وجميلة ، فقال أبو حاتـم : لا أظنهم قالـوا للجميلة شوهاء الا مخافة أن تصيبها العين كما قالوا للغراب أعـور لحـدة بصره •••• ولم يثق بقول أبى عبيدة حين فسر (أسرّ) بمعنى الاظهـار ، على أنها من الأضداد ، قال أبو عبيدة أسررت الشىء أخفيتـه ، وأظهرتـه أيضا وكان يقول فى الآية (وأسرّوا الندامة لمـا رأوا العذاب) أظهروها ،

---

(1) الاغانى 6 : 73

فقال أبو حاتم : ولا أثق بقوله فى هذا ، والله أعلم ، وقد زعموا أن الفرزدق قال فى معنى الاظهار :

فلما رأى الحجاج جرّد سيفه
أسرّ الحرورى الذى كان أضمرا

فقال أبو حاتم : ولا أثق أيضا فى قول الفرزدق فى القرآن ، ولا أدرى لعله قال : الذى أظهرا (1) .

وأبو حاتم كما ترى لا يثق بقول الفرزدق ، بل يصل به الأمر – أن يجنح الى تعديل الرواية ويقول : لعله قال : الذى أظهرا .

ونعتذر اليك فى اطالة النص ، لنوقفك على رأى أبى حاتم فى الأضداد ونصدقك الحديث فى رأيه عن الفرزدق ، ولعل الذى جرّأ أبا حاتم على الفرزدق هو أستاذه أبو سعيد الاصمعى الذى يقول على مسمع من أبى حاتم (تسعة أعشار شعر الفرزدق سرقة) وكان يكابر (2) ومع ما فى قول الاصمعى من مبالغة فان أحمد بن أبى طاهر يقول : كان الفرزدق يصلت على الشعراء ينتحل أشعارهم ، ثم يهجو من ذكر أن شيئا انتحله أو ادعاه لغيره وكان يقول : ضوالّ الشعر أحب الىّ من ضوالّ الابل ، وخير السرقة ما لم تقطع فيه اليد (3) .

وثمة ملحظ آخر لشيخ الرواة أبى عمرو بن العلاء – وهو ملحظ يسر الفرزدق من جانب ، ويوجعه من جانب آخر – انه يعجب بشعره ، هذا هو الجانب الأول ، ولكنه أيضا لا يحتج بشعره ، ويراه من المولدين بالاضافة الى القدامى ، فقال عنه وعن جرير : قد حسن هذا المولد حتى

(1) مجموعة الاضداد 115
(2) الموشح 105
(3) الموشح 106

هممت أن آمر صبياننا بروايته (1) تراه أحجم عن الاحتجاج بشعره لشيء يتصل بالثقة فيه ؟ هذا فرض قريب .

ومن الوقائع التى كشفت عن زيف الأعراب ما كان يأتيه ابن داود بن متمم بن نويرة ــ كذبا ــ من أشعار ينسبها الى جده متمم حين لاحظ حاجة المجتمع الأدبى لها ، وخاصة فى البصرة ، ولكن قدرته على القول لم تمكنه من الاستمرار فيما وطد نفسه عليه ، فلم يطل أمره حتى كشفه أبو عبيدة الذى يحكى واقعته فيقول فى شأنه :

(..... قدم البصرة فى بعض ما يقدم له البدوى فى الجلب والميرة، فنزل النحيت « اسم مكان » فأتيته أنا وابن نوح العطاردى فسألناه عن شعر أبيه ، فجعل يزيد فى الاشعار ، ويضعها لنا ، واذا كلام دون كلام متمم ، واذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التى ذكرها متمم ، والوقائع التى شهدها ، فلما توالى ذلك علمنا أنه يفتعله) (2) .

ولم يوقع هذا الأعرابى فى ما يشبه الاعتراف الا ضيق حيلته ودنو شعره بالاضافة الى جده ، ولو أنه أوتى مقدرة خلف الأحمر ، أو حماد بن سابور لكانت جنايته على اللغة ، والأدب ، والشعر بخاصة جناية كبيرة ، فالذين كانوا يتلقفون هذا الأعرابى هم رواة اللغة كأبى عبيدة كما رأيت وهم يسألون عن الشعر ، والأدب ، والأنساب وهم يقصدون اللغة من خلالها ، وما يدريك ماذا فى المعاجم مما جاء عن طريق ابن داود بن متمم ، وكذلك كان من ولد الأغلب العجلى من يصدق فى الحديث والروايات ، ويكذب عليه فى شعره (3) .

---

(1) العمدة لابن رشيق 1 : 57
(2) طبقات فحول الشعراء للجمحى 40
(3) الموشح 213

ولن تتحدث فى أمر خلف ، ولا حماد بن سابور ، فهما ليسا من الأعراب ، وان كانت مصيبة العلم منهما كبيرة لقدرتهما على القول والزيف أكثر مما يتصوره متصور ، فلنبتعد عنهما الآن ، وحسبك أن تقرأ عنهما لتعجب ، وربما وجدت تفسيرا لضخامة المعجم العربى بسبب من عقليتهما الخلاقة المبدعة التى تستطيع أن تقول بلسان كل شاعر — جاهلى أو اسلامى — فلا تخطىء خصائصه ويغم أمره على شوامخ المتخصصين •

على كل حال ، لم يعد ما يقوله الاعرابى من المسلّمات ، بل اختلفوا فيما صدر عنهم من قضايا لغوية ، وبحثوا عمن يحكم فيما شجر بينهم ، ولا أدرى ما الذى أثار الخلف بين المنتجع ، وأبى خيرة ، أهو امتحان عمد اللغويون الى وضعه ومناقشته يوم ذاك ، أم قضية وقعت أمامهم فلم تجد ما كانت تجده بالأمس من السكوت والتقبل •

قال المنتجع ، وهو من أعراب البصرة الذين يتكلمون على لهجة بنى تميم وكان شيوخ الرواة من أمثال أبى عمرو بن العلاء ، وأبى عمر الثقفى يجدون عنده فصل الكلام •

قال المنتجع : كمء واحدة ، وكمأة للجميع •

فقال ابو خيرة ، كمأة واحدة ، وكمء للجميع ، مثل ثمرة وثمر فاحتكموا الى رؤبة فقال كما قال أبو خيرة ، ووقفت القضية عند هذا الخلف ، فلا شىء يحكم جموع التكسير أكثر من السماع ، وهنا ضاع مضبط اللسان ومضبط الأذن أيضا •

وقضية أخرى بين المنتجع وأبى خيرة وأم أبى خيرة — قال الرياشى : سمعت أبا زيد يقول : قال المنتجع : أغمى على المريض ، وقال أبو خيرة : غمى عليه • فأرسلوا الى أم أبى خيرة فقالت : غمى على المريض ، فقال لها المنتجع : أفسدك ابنك (1) •

---

(1) الخصائص 3 : 305 ط دار الكتب

صحيح قد أخذت قضية (فعل وأفعل) حيزا كبيرا من جهود الـرواة وبات كل واحد يروج لها بمنطق يرتضيه ، وكتب فى ذلك كل من : قطرب ، وأبو عبيدة ، والاصمعى ، وأبو زيد ، وأبو حاتـم السجستانى ـ وكلهـم يعتمد على السماع ، سواء جاءت الصيغتان من الفعل الواحـد بمعنى ، أو اختلف المعنى فى فعل عنها فى أفعل • بل لم يكن السماع ـ وهو الأصـل الوحيد ـ محل اجماع فكان الأصمعى مثلا يلتزم بصيغـة (فعلت) فـى الفعل (كنّ) اذا كان المقصود بذلك الحفظ والصون لأنه سمع أكثر العرب تقول هذا فيقول : أكثر العرب كننت الدر والجارية وكـل شىء صنته •• اما صيغة أفعلت فتستعمل حين يريد القائل اخفاء الشىء فى النفس ، فيقول: أكننت الحديث والشىء فى نفسى أى أخفيته •

وجاء رأى أبى زيد مخالفا فيما رواه أبو حاتم قال : وسمعت أبا زيد يقول : أهل نجد يقولون : أكننت اللؤلؤة والجارية فهى مكنـة • وكننت الحديث ، وكل صواب • وذكر ابن منظور هـذا الكلام لأبى زيـد بنفس المعنى فقال : (كننته وأكننته بمعنى فى الكنّ وفى النفس جميعـا فتقول : كننت العلم وأكننته فهو مكنون ، ومكن ـ وكننت الجاريـة وأكننتها فهى مكنونة ومكنة) غير أن الاصمعى ، وان كان السماع سبيل الرجلين ـ قد تعلق بما جاء فى القرآن الكريم من قوله تعالى (كأنهم لؤلؤ مكنون) مـن كننت بمعنى صنت • وقوله تعالى (أو أكننتم فـى أنفسكم) مـن أكننت بمعنى الاخفاء والستر ، أما أبو زيد فقد جوز الصيغتين لأنه سمع ذلك مـن أهل نجد ـ وتعليل الرواة العلماء تعليل متوجه متقبل يجـد الـى العقـل والمنطق طريقا • أما حكم الأعراب ـ وبخاصة مـا جـاء من ذلك فى كلام المنتجع لأم أبى خيرة فهو لا يجد مقنعا ولا يحمل عـلى سكوت • يقول لأم أبى خيرة معاتبا أن خالفته رأيه : أفسدك ابنك ! كأنها أخذت عنه اللغـة ، منطق معكوس •

ولم أستسغ حكاية مضت فيما يحكيه أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش عن تبادل الهمزة والعين وقد أنشدته أعرابية من بني كلاب :

فتعلّمنّ وان هويتك عنّني

تريد أنني

يقول الأخفش : فقلت لها ما هذا ؟ !

فقالت : هذه عنتنا — وفي رواية : عنعنة بني فلان (1) .

فأنت ترى الاخفش يبدي دهشته من هذه اللهجة حين يسمع عنني بدلا من أنني ، وهو يعرف أنها لا تستعصي عليها النطق بالهمزة ، لأن تمام البيت :

قطاع أرمام الحبال صروم

ترى هل عمل الأعرابية صناعة لتطلب من أجلها وقد وجدت حرص الرواة وسعيهم اليها أم المسألة وضع .

وكنت أحار ، عندما أجد أعرابيا يلزم أميرا أو رئيسا أو قاضيا ، وأنا أعلم أن اللغة لا تنقص أكثرهم ، فان أعوزهم منها النادر وجدوه عند رواتها العلماء ، ولكن قلل من حيرتي ، هذه الحكاية التي تروى عن قاضي الكوفة القاسم بن معن بن عبد الرحمن ، وكان أحسن الناس معرفة بالحديث والشعر وأعلمهم بالعربية والفقه كما يحكي أبو حاتم في تهذيب التهذيب (2) .

كان هذا القاضي يستضيف خشافا الاعرابي . ترى هل كان القاضي يحتاج الى توثيق لغة فيلتمسها عند هذا الاعرابي . ظننت هذا عندما كنت أحسن الظن بالأعراب ، ولكني وجدت القاضي يلهو به ويقول له : (اسمد لنا من سمداتك أي هات لنا من أباطيلك) . (3)

---

(1) النوادر لابي زيد 28 — 29

(2) تهذيب التهذيب 8 : 833 ترجمة رقم 610 ط الهندسية 1326 هـ

(3) نوادر أبي مسحل 154

والقضاةلا تعوزهم فطنة ، ولا يحتاجون الى الذكاء ، وانما يتبوأون مناصبهم بسبب الفطنة والذكاء • ولهذا فحكمه على الأعرابى هو حكم قاض على أقل تعبير •

وكثر اتهام الاعراب الذين كانوا من خلف الكسائى ، لأنه كان كما يقول أبو الطيب اللغوى (يلقنهم ما يريد) (1) والقضية أعمق من هذا الايجاز ، فالخصومة التقليدية بين البصرة والكوفة ، والتى أخذت تتسع حتى بات العلماء ينقسمون الى شعبتين ، أو ينتسبون الى مذهبين : بصرى وكوفى ، وذهبت مع الخصومة مؤلفات كل فريق تدعو الى منهج معين وكادت تأخذ سبيلها فى هذا الاتساع ، وتشطر الدراسات اللغوية الى شطرين ، بصرى وكوفى لولا قيام بغداد وقيام ثقافتها على مزاج من المذهبين والتقاء علماء المصريين هناك فى عاصمة الخلافة ، فضاقت الفوارق، وانحصر هذا الشقاق والخلف • أتظن الأعراب بنجوة عن هذه المسألة ، وأنهم برآء من هذه الفتنة العلمية ؟ ! •

لا أظن — لقد تناولت كتب اللغة والنحو وكتب الطبقات هذه المناظرة التى كانت بين الكسائى زعيما لمدرسة الكوفة ، وسيبويه زعيما لمدرسة البصرة هذه المسألة التى كانت تعرف بالمسألة الزنبورية أشهر من أن نعيد عليك تفاصيلها ودقائقها ، ولكنا نذكرك بما قيل حول حكم الاعراب فيها ، وموجزه أن الزعيمين عندما اختلفا ، نودى على الاعراب فشهدوا ، وقالوا بقول الكسائى قال رجال البصرة : انهم أرشوا على هذا الحكم ، وكان منهم أبو ثروان العكلى ، وأبو دثار ، والفقعسى • وسكت الناس عند ذلك ، وتركوا الاصل والسبب ، وتدلنا الاخبار على أن هذه المناظرة ، أو على الاصح المعركة كانت ثأرا لمعركة أخرى بين زعيمين

(1) معجم الادباء 13 : 190 ، والمزهر 2 : 410.

للمدرستين ، بين الكسائى أيضا كرئيس لمدرسة الكوفة ، وبين أبى محمد يحيى بن المبارك اليزيدى كرئيس لمدرسة البصرة فى حضرة المهدى •

كان المهدى يحتضن اليزيدى ، واختاره ليؤدب ولده ، وكان بحكم هذه الصلة يعرف الكثير من دقائق أخبار المهدى مما أعانه على خصمه ، فلما اختلف اليزيدى والكسائى قال المهدى : قد اختلفتما وأنتما عالمان فمن يفصل بينكما قال اليزيدى : فصحاء العرب المطبوعون ، فبعث الى أبى المطوق •

قال اليزيدى : فعملت أبياتا الى أن يجىء ، وكان المهدى يميل الى أخواله من اليمن فقلت :

يا أيها السائلى لأخبره ... عما بصنعاء من ذوى الحسب
حمير ساداتها تقر لها ... بالفضل طرا ، جحاجح العرب
فان من خيرهم وأفضلهم ... أو خيرهم بتة أبو كرب

فلما جاء أبو المطوق أنشدته الأبيات وسألته المسألة فوافقنى (1) •

ألست معى بعد ما رأيت أننا فى عصرنا هذا ، ونحن لا نقر بصحة كلمة فى مجامع اللغة الا بعد جهد من الرأى والمشاورة ووضع الكلمة تحت الاختبار الشديد ، والقياس الصحيح ، ألست معى أننا أكثر استمساكا وحفاظا على العربية من بعض العرب ، بل من بعض الأعراب •

وهل لك حجة أو قياس أو سبيل لتبديل كلمات الله وقد قرأت قوله تعالى (لا مبدل لكلماته) ان هذا الاعرابى من بنى غنى الذى يعرف بأبى سوار — أو أبى سرار — يجيز ذلك ، ويقرأ القرآن الكريم بالمعنى • قال أبو عثمان المازنى : قرأت على أبى وأنا غلام (ترى الودق يخرج من خلاله) فقال أبو سرار وكان فصيحا : يخرج من خلله ، واستشهد بقول الشاعر :

---

(1) امالى الزجاجى 41 ط السعادة 1324 هـ

يشير بغمـزة يخرجـن منهـا خروج الودق من خلل السحاب

وتبعه فى هذا أبو عثمان المازنى فقال : خلـل ، وخلال واحد ، همـا مصدران (1) .

يبدو أن أبا عثمان المازنى مقتنع بكلام أبى سرار الغنوى ـ أما أنا ـ فلم اقتنع لا بالغنوى ، ولا بالمازنى ، ولا بمن يحاول ذلك تحت كل الاقوال التى جاءت فى تفسير الحديث الشريف (نزل القرآن عـلى سبعـة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه) أو كما قال . لأن اللغة التى نزلت بها الآية لم تستعص على لسان المازنى ولا الغنوى ، فقد قرآ بها فى سهولة ويسر من غير حاجة أو ضرورة الى التغيير ، وبهذا فلا ضرورة من ضرورات الاحرف السبعة .

ولست بمقتنع حتى من الناحية الذوقيـة أن أتـرك الأصـل المبـين القرشى ، لأعدل بسبب قول شاعر ـ لـم يذكر اسمـه ـ يقـول ذلـك البيت من الشعر الذى احتج به الغنوى ـ وشىء آخر يتصل بالمنطق ، اذا كان الاعرابى مقرا بأن الكلمتين : خلال ، وخلل واحد فما هو الوجه لترك الأصل ، وأين وجه المفاضلة التى يذهب اليها الاعرابى ـ فان يكن الاعرابى جاهدا فى المخالفة ليعرف ، فما بَعُدَ هذا الأمر عن ظنى ، فلم تكن هـذه واحدة اكتفى بها أبو سرار الغنوى ، فقد قرأ يوما قوله تعالى مـن سورة الاسراء (فجاسوا خلال الديار) قرأها الاعرابى بالحاء ـ فحاسوا ـ فقيل له : انما هو (جاسوا) فقال : جاسوا وحاسوا واحد . وتركت الرواية لابن جنى يبحث لها عن منفذ أو مخرج ـ ولا أدرى لماذا الوقوع فى الورطـة والاضطرار الى البحث عن مخرج ، فقد وضع أبو الفتح عثمان بـن جنى كتابه الضخم « المحتسب » لتخريج القراءات الشاذة .

(1) الفهرست 67 ط الرحمانية

على كل حال ، كان لابن جنى تعليق لا تخريج يقول فيه : هذا يؤنس بأن القوم كانوا يعتبرون المعانى ، ويخلدون اليها ، فاذا حصلوها ، وحصنوها سامحوا أنفسهم فى العبارات عنها • (1)

فلم يكن هذا تخريجا ، ولا موافقة لابن جنى على رأى أبى سرار ، ولكن رأى القوم كانوا يخلدون الى المعانى ، ويسامحون أنفسهم فى العبارات عنها • وهو فى نظرى وصف لمسلك الاعرابى ، وأمثاله ، لا يعطى حقا للقراءة بالشذوذ •

ويبدو أن هذا الاعرابى كان مشغوفا بالمخالفة ، فجعلها ـ ديدنا ـ لا دينا ، فقد نقل أبو على فى أماليه عن المازنى أيضا قال : سمعته : أى سمعت أبا سرار ، يقرأ (واذ قتلتم نسمة فادارأتم فيها) فقلت له : انما هو نفس ، قال : النسمة والنفس واحد • (2)

وأفضل أن نترك هذا الرجل ففى النفس كلام نمسك عنه •

ومثله ـ قعنب بن أبى قعنب المعروف بأبى السّمّال القارىء ، واذا كانت صفة أبى سرار أنه أعرابى جار على القرآن فى بعض آياته ، فصفة أبى السمال أشد ، فهو أعرابى ، وقارىء ، واشتهر أمره بالقراءة الشاذة وذكره ابن جنى فى باب (ايراد المعنى بغير اللفظ المعتاد) • (3)

وخبر ورد فى الصحاح للجوهرى ، وسمى الصحاح ، لأنه كما يقول صاحبه : جمع الصحيح من العربية ـ ورد الخبر مسندا الى خلف الاحمر فى مادة (هلبج) هكذا (الهلباجة : الاحمق • قال خلف الاحمر : سألت

---

(1) المحتسب 2 : 336

(2) امالى القالى 2 : 78

(3) انظر التفصيل فى الخصائص 2 : 466 ، طبقات القراء : 2 : 27 ، وتاج العروس 7 : 381 س م ل

أعرابيا عن الهلباجة فقال : هو الاحمق الضخم القـدم ، الاكول ، الـذى والذى ــ ثم جعل يلقانى بعد ذلك يزيد فى التفسير كل مـرة شيئا ، ثم قال لى بعد حين وأراد الخروج : هو الذى جمع كل شر) • (1)

فما علاقة ضخامة القدم بالشر ، بل وما علاقتها بالحمق ، اننـا نعرف من خصائص العربية ظاهرة الاشتراك اللفظى على وجه محدد دقيق ، أمـا هذا التعميم فلا نعرفه تحت أية خاصية لغوية ــ هل لاحظت معى أن خلفـا الأحمر يسوق الخبر يستخف بالأعرابى الذى يفسر الهلباجة بأنـه الـذى والذى وكلما لقيه زاد شيئا فلما أراد الخروج فسره جملة بأنـه هو الذى جمع كل شر ! !

(1) الصحاح 1 : 168

البحث عن العربيّة في المربد

كانت البادية الفصيحة على مقربة من البصرة ، وكانت المربد سوقا للابل على بعد ثلاثة أميال منها ، يأتي اليها البدوى ، ويخرج اليها أهل البصرة يبيعون ويشترون ، وبينهم طلاب العربية الذين ربما قلت ثقتهم بأعراب البصرة أو ذهبوا الى المربد لمجرد توثيق ما تلقوه عن أساتذتهم •
وقد تسألنى ما بال المربد وهى سوق للابل وغير الابل ، وهذه البيئة التى أصبحت مقصد الطالبين للعلم ؟ والحقيقة أن المربد لم يكن شذوذا عن أسواق العرب التى سمعت بها منذ قرأت عن الأدب الجاهلى حين كان الأدب يحتل مكانا ضخما من هذه الاسواق حتى عرفت به أكثر مما عرفت بأوجه النشاط الاخرى • والذين يسمعون عن عكاظ، وذى المجاز ، ومجنة، الى غير ذلك يتجه ذهنهم أول ما يتجه الى ما كان يلقى فيها من قصائد أعدت وجاء بها أصحابها — ربما من مكان سحيق — لتلقى فى هذه الأسواق ولم تلبث هذه الخطوات أن أسلمت الى خطوات متطورة ، فقامت دراسة النقد الأدبى ، وبقى بعض العلماء ينكر تقدم النقد الذى سمع عن ذلك العصر ، وينكر ما سمع من قصصه التى جاءت بها كتب الادب •

فلقد قرأت مثلا ، أن النابغة الذبيانى كان يجلس حكما يحتكم اليه الشعراء وأنه كان يذهب فى حكمه الى أقيسة اعتبرها بعض العلماء غلوا بالنسبة لهذا العصر القديم . يقول النابغة لحسان بن ثابت حين أنشده :

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى   وأسيافنا يقطرن من نجدة دما
ولدنا بنى العنقاء وابنى محرق   فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

يقول له : أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك .

قال له : أقللت أسيافك لأنه قال (وأسيافنا) وأسياف جمع لأقل العدد ، والكثير سيوف ــ والجفنات لأدنى العدد ، والكثير جفان ــ وقال: فخرت بمن ولدت ... لأنه قال (ولدنا بنى العنقاء) فترك الفخر بآبائه ، وفخر بمن ولد نساؤه .

وقال المرزبانى : قال قوم ممن أنكر هذا البيت فى قوله (يلمعن بالضحى) ولم يقل بالدجى ، وفى قوله (وأسيافنا يقطرن) ولم يقل يجرين لأن الجرى اكثر من القطر (1) .

أخشى أن يأخذنا الحديث بعيدا عن مرمانا ، فلنعد اليه سراعا لنقول أن المربد كان فيه الوجه الأدبى ككل الأسواق العربية ، بل وكل مكان يجد فيه البدوى نفسه فى صحبة مع الآخرين سواء كانوا من قبيلته أو من غيرها فيمارس فنه الذى عرف به وهو فن القول .

كان طلاب العربية يذهبون يستمعون ما يجرى حول الأحداث الكبيرة

---

(1) الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء 60 ــ 61 لابى عبيد الله محمد ابن عمران المرزبانى ط السلفية 1343 هـ

التى يكون من نتيجتها هذا المغنم اللغوى ، لقد دارت فى المربد أكبر معركة أدبية حين دب الهراش بين جرير والفرزق ، وتدخل الأخطل ، وسراقة البارقى ، وراعى الابل فى هذه المعركة • كما سمع الطلاب ورأوا فتيان بنى تميم يلتفون حول رؤبة بن العجاج وهو ينشد أراجيزه فى المربد ، فالشكل فى الأسواق قديما وحديثا يتفق ، والغرض يختلف •

كان النشاط الأدبى فى الأسواق قديما يلقى لاشباع النزعة الفنية وللدفاع عن القبيلة والنيل من أعدائها والتشهير بمن جاء منهم بعمل شائن ، أو لمجرد القول ـ ففى عكاظ مثلا كانوا يتفاخرون اذا اجتمعوا كما يقول السهيلى : عاكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه فسميت عكاظ بذلك (1) وأعدت فيها المنابر يقوم عليها الخطيب بخطبته وفعاله وعد مآثره وأيام قومه من عام الى عام (2) ولا أريد أن أطيل عليك فى رسم صورة السوق قديما وما كان يدور فيه من نشاط أدبى ، وحسبك من هذا بعض الأمثلة :

أنشأ عمرو بن كلثوم قصيدته :

الا هبى بصحنك فاصبحينا

وأراد لها أن تسير فى الناس فألقاها فى عكاظ ثم فى موسم مكة (3)

وتنافر فى عكاظ خالد بن أرطأة الكلبى ، وجرير بن عبد الله البجلى ووراء كل شاعر نفر من قبيلته ، وقد ساق كل منهما مالا عظيما ينافر عليه •(4)

---

(1) معجم البلدان 6 : 203 ط السعادة سنة 1906 م

(2) الازمنة والامكنة 2 : 170 ط حيدر آباد سنة 1332 هـ

(3) المعلقات 35 ط حجازى سنة 1353 هـ

(4) بلوغ الارب 1 : 301

والذين عرفوا بالكرم الى حد السفه حبب اليهم أن تذاع أخبارهم في عكاظ فتطيرها الرواية الى اطراف الجزيرة ــ جاء نهيك بن مالك بمتاع يبيعه فرأى الناس مجهودين فأنهب العير وما عليها فأقبل خاله يعاتبه في عكاظ ، فأنشده نهيك :

يا خال ذرني ومالي ما فعلت به   وما يصيبك منه انني مودى
ان نهيكا أبى الا خلائقه   حتى تبيد جبال الحرة السود
فلن أطيعك الا أن تخلدني   فانظر بكيدك هل تسطيع تخليدى
الحمد لا يشترى الا له ثمن   ولن أعيش بمال غير محمود (1)

وهناك في عكاظ سمعت هند بنت عتبة أن الخنساء تسوم هودجها في الموسم وتعاظم العرب بأبيها عمرو وأخويها صخر ومعاوية ، فأرادت أن تعمل مثلها فأمرت أن يقرن جملها بجمل الخنساء ، فلما أن دنت منها قالت لها الخنساء :

من أنت يا أخية ؟

قالت: أنا هند بنت عتبة أعظم العرب مصيبة، وقد بلغني انك تعاظمين العرب بمصيبتك فبم تعاظمينهم ؟

قالت الخنساء : بعمرو بن الشريد ، وصخر ، ومعاوية ابني عمرو ثم أنشدت :

أبكي أبي عمرا بعين غزيرة   قليل اذا نام الخلى هجودها

.... الى آخره . (2)

أما المربد ، فكان الى جانب هذا ــ معلم ــ يأتي اليه من الحضر من يسمع ، لا رغبة منه في ارضاء النزوع الى الغنى، ولا في القاء قصائد تتناقلها

---

(1) الاصابة 6 : 84

(2) الاغاني 4 : 211 ــ 212 ط دار الكتب

الرواة ولكن لتدور فى مسامعه الألفاظ ، ويلحظ مخارجها ، منهم من يعى ذلك ويحفظه ومنهم من يدونه فى ألواحه حرصا عليه كشىء ثمين . سأل أبو عمرو بن العلاء تلميذه عبد الملك بن قريب الأصمعى ، من أين أقبلت يا أصمعى ؟

قال : من المربد .

قال : هات ما معك . يقول الاصمعى : فقرأت عليه ما كتبت فى ألواحى ، ومرت به ستة أحرف لم يعرفها ، فقال له أبو عمرو : شمرت فى الغريب يا أصمعى (1) .

وبين سطور الخبر تلمح حرص الطالبين وشيوخهم على حديث الأعراب ، فأبو عمرو يقول لتلميذه : هات ما معك ، وهو يعلم أنه لا يحمل من المربد شيئا يتجر فيه ، ولكنه يعرف أنه كان من عادته الذهاب الى المربد يملأ الواحه من الغريب .

والجاحظ ، هذا العلامة ، يحرص على أن يبين دور المربد فى ثقافته فيقول عنه ياقوت : « سمع من أبى عبيدة ، والأصمعى ، وأبى زيد والأنصارى ، وأخذ النحو عن الاخفش أبى الحسن وكان صديقه ، وأخذ الكلام عن النظام ، وتلقف الفصاحة عن العرب شفاها بالمربد » (2) .

ولكن يبدو أن الاعراب ، قد أحسوا بحاجة الحضر اليهم ، فسعوا هم اليهم، اما رغبة فى الارتزاق أو وسيلة فى التقرب من الحضريين، فأخذوا يعرضون ألسنتهم ، فنسمع عن أعرابى يعلم الصبيان ، أو يورق فى الحضر .

---

(1) معجم البلدان 2 : 202

(2) معجم الادباء 16 : 75

وطلب الدنيا ظاهرا جدا عند أعراب الكوفة ، فقد انتقل أكثرهم الى بغداد فى أعقاب الكسائى والفراء ، ومنهم أصحاب الشهادة المتهمة فى المسألة الزنبورية بين الكسائى وسيبويه — طمعا فى عرض الدنيا — وهذه صورة مألوفة فى العواصم فالعاصمة تستقدم الطامحين ، وقد استأثر بها بادىء الامر رجال الكوفة ومن يلوذ بهم .

الوجه الحضري للأعراب

جاهد أكثر الأعراب في الاحتفاظ بصورتهم البدوية لتخلص لهم صفة الاعرابى لا لحاجة الطالبين اليهم فحسب ، ولكن اعتدادا أيضا بالانتماء الى العنصر الفاتح وهو السيد فى الدولة الأموية التى لم يكفها أن تنتصر لكل ما هو عربى ، بل لم تخف امتهانها للموالى ، فحرمت عليهم وظائف الامامه والقضاء ، وتلمح صورة من ذلك فى عتاب الحجاج لسعيد بن جبير حين ثار عليه مع ابن الأشعث فقال الحجاج معاتبا سعيد بن جبير :

••••• أما قدمت الكوفة وليس يؤم بها الا عربى فجعلتك اماما ؟

قال : بلى •

قال : أما وليتك القضاء فضج أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء الا لعربى ، فاستقضيت أبا بردة بن أبى موسى الأشعرى ، وأمرته الا يقطع أمرا دونك ؟

قال : بلى •

قال : أو ما جعلتك من سمارى وكلهم من رؤوس العرب •••• ؟

قال : بلـــى .

قال : فما أخرجك عليّ ؟! (1) .

كان على الأعراب أن يجاهدوا في الحفاظ على وجههم البدوى مـــن أجل حاجة الناس اليهم فـــى تصحيح اللغـــة واستقائها ، والمباهـــاة بهـــذه العنصرية . ولقد رأينا دفاعهم عن ذلك الى حد المدافعة ، والتعمل ، بل الى درجة تتجاوز أخيلة العقلاء فكان ابو محمد الأعرابى المشهور بالأسود يقف فى الشمس بعد أن يطلى وجهه بالقطران ليسود وجهه وتخلص لـــه صفـــة الأعـــرابى شـــكلا .

ولكن الطبيعة أقوى من التطبع ، والذين دخلوا منهـــم الحواضر أو ظلوا على مشارفها لم يستطيعوا ــ أن يعيشوا تحت هذه الصفة ــ بعد أن نعمت جلودهم ولانت وطاعت السنتهم بألفاظ الحاضرة ، وفهموا من ألفاظ أهلها ما غمض عليهم بالأمس .

هنا تلمح تقاربا بين العلماء الرواة ، وبين الاعراب الرواة ــ جاء مـــن صنع التطور ، فالأعرابى لم يفقد سليقته جملة ويصبح حضريا ، والعلماء لم يصبحوا ــ مهما حصلوا من اللغة ــ على درجة تتوازى مـــع الأعراب فـــى سعة أشداقهم وبداوة منطقهم ــ ولكنك تجد صورة للأعراب لا تبعد طويلا عن تصورك للعلماء الرواة ، فهذا مثلا أبو مالك عمرو بن كركرة من أوائل الأعراب فى البصرة ، يذكره ياقوت الحموى وتلمح مـــن أوصافـــه فقرات تستوقفك منهـــا :

ــ كان يعلم فى البادية ويورق فى الحضر .

ــ وهو مولى ابن سعد .

---

(1) الكامل للمبرد 1 : 297 ط مصر 1308 هـ

ـ كان بصرى المذهب
ـ كان يحفظ لغة العرب (1) •

وليس من عمل البدوى أن يورق الحضر ، ولا أن تستديم معيشته فيه الا على نقص فى بداوته ، وهو مولى لبنى سعد ، أى ليس بعربى أصلا ، ولكن هذا لا يقلل من صفته كأعرابى راوية اذا كانت نشأته الأولى فى البادية ، وشب وكبر وفطر عليها •

ولكن ، ما هذه العبارة التى تقال عنه (كان يحفظ لغة العرب) وهل هناك أعرابى لا يحفظ لغته ، لقد وقفت من العبارة فى شك • أعرابى هذا أم متعرب ؟ ! أما ما يوقفك حقيقة ـ فقولهم ـ كان بصرى المذهب ، وهذه صفة للعلماء الرواة لا للأعراب الذين نشأوا على لغة العرب قبل أن تنشأ البصرة • ولم يكن من تمام الأعرابى أن يقال فيه أنه بصرى المذهب ، أو كان يحفظ لغة العرب ، واذا كانت هذه صورة أعرابى تحضر فهى صورة معكوسة ـ أو هكذا تبدو للباحث حين يرى رجلا يبدو أنه حضرى تبدّى •

وماذا تقول الأخبار عن عباد بن كسيب ، ترجم له القفطى بقوله : (لغوى فيمن دخل البادية ، وأخذ الناس عنه طرفا من اللغة الفصحى ، وهو قديم العهد ، قد يرد اسمه فى كتب اللغويين ، وأسندوا اليه جملة من الغريب) (2) وهذه كلها من صفات الأعراب لولا قول القفطى (فيمن دخل البادية) أحَضَرِىّ تبَدّى ثم خرج يروى طرفا من الفصحى وجملة من الغريب ؟ ، كنا نزداد معرفة لو عرفنا فى أى سن دخل البادية ، وأى بادية

---

(1) معجم الادباء 16 : 131
(2) انباه الرواة 2 : 388

دخلها هذه القريبة من الحضر والتى لابسهـا الشوب أم الباديـة العميقـة الفصيحة ، وكم من العمر أمضى متبديا ، وكيف كانت نهايته فى الحضر ــ أسئلة خطرت ولم تجد جوابا .

وما لبثت الفوارق أن ضاقت حتى كان الأعرابى صاحب الدراية يضعف أمام الحضرى صاحب الرواية ، شكر أبو محمد الأعرابى العامرى ، ابرهيم ابن حجاج على شىء اصطنعه اليه فقال له :

(تالله ما سيّدتك العرب الا بحقك) .

فقال أبو الكوثر الخولانى وكان حاضرا : يا أبا محمد ، العلماء عندنا بالعربية يقولون (سودتـك) فقال : السواد السخام يخطئون ويصحفون ، فانتهره ابرهيم وقال : تتسور على الأعراب فى لغاتهم ؟! فكتب أبو الكوثر الى يزيد بن طلحة ، وكان استاذا فى العربية واللغة ــ بالخبر فأجابه :

« المعروف سودتك بالواو ، ولعل ما ذكر أبو محمد لغة لبنى عامر »
فلما وردت السحاءة على أبى الكوثر قال : يا أبا محمد ، أنكر الأستاذ مـا ذكرت وحكى له قوله . فصاح الأعرابى وهاج ، وبعث ابرهيم فـى يزيـد فلما حضر خرج عليه فقال له : اتتسور على الرجل فى كلامه ؟ فقال له ابن طلحة : ان العلم ليس من جهة المغالبة ولكن من جهـة الانصاف والحقيقـة فليجبنى ابو محمد عما أسأله عـنه .

فقال له : سل .

فقال يزيد : كيف تقول العرب : ساد يسود ، أو ساد يسيد

قال الأعرابى : ساد يسود .

فقال يزيد : هذه الواو معنا فى الفعل . فكيف تقول العرب : السودد أو السيدد .

قال : السودد .

فقال يزيد : هذه الواو ثابتة فى الاسم ، ثم قال : أى منزلة عندكم عمر ابن الخطاب فى الفصاحة ؟

فقال الأعرابى : فوق كل منزلة .

فقال يزيد : فقد ثبت عندنا أنه قال : (تفقهوا قبل أن تسودوا) وهذا حديث لم يطعن فيه أحد من علماء اللغة كما صنعوا فى سائر الأحاديث التى وقع فيها الغلط فلج الأعرابى وقال : يا أهل الأمصار ماذا صنعتم بالكلام(1)

وكادت المنازل تتساوى بين الأعراب الرواة والعلماء الرواة وكل مطمئن على ما عنده يدافع عنه ، يروى محمد بن قاسم عن والده أبى عمرو قاسم بن محمد بن حجاج بن حبيب بن عمير قال :

(حدثنى أبى قال : كنت كثير المنازعة لأبى محمد الأعرابى العامرى أيام وروده علينا ، وكان قليل الالتفات الى أهل العلم بالعربية مظهرا للغنى عنهم ، فقال لى يوما : يا أبا عمرو ، تقول للمرأة أنت تؤدين كذا ، فكيف تقول للنسوة فقد اختلط على ذلك بسبب دخولى أمصاركم ومخالطتى لكم ، فقلت : الحمد لله الذى أحوجه الىّ .

ثم قلت فى نفسى : يا أبا محمد ، فى ذلك لغات للعرب تقول للنسوة: أنتن تَوْدَدن وتادَدْن وتَيْدَدْن ، كل ذلك تقول العرب) (2) ترى هل كان سؤال الأعرابى عن حاجة حقيقية كما يدعى أبو محمد الأعرابى ، أم هو حديث امتحان فان كانت الأولى فقد دنوا بالاضافة الى العلماء ، وان كانت الأخرى فقد ثبتت أمامهم أقدام العلماء الرواة .

---

(1) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 296

(2) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 312

ومثل هذا الاستفسار أو الامتحان يجرى بين أبى عبد الله بن الاعرابى وأبى زياد الكلابى ، فقد اجتمعا على الجسر ببغداد فسأل أبو زياد ، ابنَ الأعرابى عن قول النابغة :

علــى ظهـــر منبـــاة

وبقية المصراع (قليل سيورها) فقال : النَّطْع بفتح النون وسكون الطاء ، فقال أبو زياد : النِّطَع بكسر النون وفتح الطاء ، فقال أبو عبد الله: نعم . واستطرد ياقوت فقال : وانما أنكر أبــو زياد النطــع بفتح النــون وسكون الطاء لأنها لم تكن لغته . (1)

ولعلك فهمت من هذا الخبر ، زيادة على الغرض الذى جئنا به مــن أجله ، وهو وقوف الأعراب والعلماء موقف الأنداد ، فهمت أن الرواة قــد ارتفعت اسهمهم فهم يجمعون بين لهجة وأخرى ، أو لغة وأخــرى ، ويظــل الأعرابى ان صحت بداوته على لهجته وحدها .

ومن وجههم الحضرى اتجاه بعضهم الــى التأليف كمــا فعل الــرواة العلماء ، وقديما كان الأعرابى الــذى يكتب يخشى الاتهام بالتحضر ، شبه ذو الرمة عين ناقته بحرف الميم ، فقيل له : أتكتب ؟ فأنكر معرفته للكتابة وحكى قصة رجل وفد من الحضر فتعلم منه الميم ، وكلما كــان الأعرابــى جافيا كان أوثق لغة عند الطالبين ، وكان أبو عبيدة ينسب مصادر كتابه الى الأعراب البوالين على أعقابهم ، ولكنا نجد أبــا خيرة ينصف الكتب كمــا يفعل العلماء الرواة فيؤلف كتابا فى الحشرات ، ويستقى منه ابن سيده فى كتاب المخصص (2) وله أحاديث فى طيور البادية وما يجرى حولها من أمثال

(1) معجم الادباء 18 : 191

(2) المخصص 8 : 91

فأشار اليها صاحب اللسان فى مادة طرق وان كنت لا أدرى هل وجدها ابن منظور مكتوبة أم مروية عنه ، كما ذكر له أحمد بن الخارزنجى البشتى كتابا فى الصفات ضمن مراجعه لكتاب التكملة الذى أومأ فيه الى انه آكمل بـه كتاب العين . (1)

وتعددت هذه الصورة حتى بات فـى تصورى أن على الأعراب أن يصانعوا أو ينسحبوا من الحاضرة أو يتنازلوا عن هذه الصفة الى اصطناع الرواية ، كان أبو دعامة العبسى كما يحكى ابن النديم (علامة راوية أطال المقام بالحضر وانقطع الـى البرامكة .) ويقول : (قرأت بخط اليوسفـى اسمه على بن مرثد وله كتاب الشعر والشعراء) (2) والرأى عندى أن هذه شهادة عليه بفساد أعرابيته .

ويقول ابن النديم فى دلامز البهلول : رأيت له كتاب النوادر والمصادر بخط السكرى (3) فكيف عرف النوادر والمصادر وهـذه مسميات أطلقها علماء الرواية . وحين تحدث ابن النديم عن ربيعة البصرى ذكر فى صراحة ووضوح بأنه بدوى تحضر، ومن كتبه ما قيل فى الحيات من الشعر والرجز، وكتاب حنين الابل الى الأوطان (4) وفى رهمج بن محرز البصرى ، وهـو نصر بن مضر من بنى أسد بن خزيمة ، يذكر لـه كتاب النوادر ــ ويقول : رواه عنه محمد بن الحجاج بـن نصر الأنبارى ، يقول ابـن النديم : رأيته نحو مائة ورقة وفيه اصلاح بخط أبى عمر الزاهد . (5).

وفى هذا الخبر القصير اشارتان تستلفتان النظر ، هل كـان عليه ان

---

(1) انباه الرواة 1 : 108 ـ 109

(2) الفهرست 71 ، وفى انباه الرواة على بن بريد 4 : 117

(3) الفهرست 71 (4) الفهرست 74

(5) الفهرست 68

يغير كل صفاته حتى اسمه ، واذا كان الاسم الذى عرف به هو رهمج بن محرز فلماذا أخفى نصر بن مضر ، ثم ما هذا اللقب البصرى ، لقد كانت هذه صفة العلماء الرواة ولهم اتجاهاتهم التى تميزهم عن علماء الكوفة ، فيبدو أنه اختار الوجه الحضرى برمته حين لم يجد بدا من ذلك ، بل كان نوع التأليف الذى اختاره وهو النوادر مما يخلص لكبار الرواة الذين جمعوا بين مختلف اللهجات واختاروا فرائدها .

أما حديث ابن النديم عن (أبى الشمخ) فكان قصيرا الا من اشارة اليه بأنه نزل الحيرة وله كتاب الابل ، فتساءلت : ألم تقم الكوفة مقام الحيرة والأنبار الا أن تكون الحيرة قد احتفظت بالاسم كحى من الاحياء ، أما ما يهمنا فكتاب الابل الذى وضعه أبو الشمخ مع هذا التعريف الموجز بصاحبه . وذكر ابن النديم «أبا شبلى العقيلى» فقال : انه وفد على الرشيد ، واتصل بالبرامكة وله كتاب النوادر ، رآه ابن النديم بخط عتيق باصلاح أبى عمر الزاهد نحو ثلاثمائة ورقة (1) .

ولم نكن نعجب ، حينما وجدنا بين الاعراب الرواة نسوة يقصدن ، كان أبو عبيدة وأبو حاتم يذهبان الى أم الهيثم يستمعان الى غريب حديثها ولكنا نعجب فى هذا العصر القديم أن نجد أعرابيات يصطنعن الرواية، فهذه « قريبة أم البهلول » لم يزد ابن النديم على ذكر اسمها ، أما القفطى فى انباه الرواة فقد أضاف بأنها أسدية (وصنفت كتاب النوادر وكتاب المصادر كتبهما السكرى بخطه) (2) ولو كان الكتابان فى صفات النخل أو الشاة أو شىء كهذا لتقبله عقلى على وجه من التخريج أو الافتراض — أما فى النوادر والمصادر فأنا من الخبر فى شك .

(1) الفهرست 68

(2) انباه الرواة 4 : 115

ومن وجد هذا ـ فانه لا يعجب كثيرا حين يرى فى أنباه الرواة ـ أبا المضرحي ـ وهو اسم قصير كالمجهول يضع كتابا فـى النوادر يراه ابن النديم بخط ابن أبى سعد ، وفى الانباه افادة عن كاتبـه وهو محمد بـن يوسف بن أبى سعيد السيرافى (1) وذكر ابن النديم أيضا أبا عدنان، أو أبا عبد الرحمن عبد الأعلى راوية أبى البيداء الرياحي ذكر أنه : بصرى ، مـن كتبه كتاب النحويين ، وكتاب غريب الحديث ، •••• (2) تـرى أين وجهه البدوى اذا كان بصريا يؤلف كتابا عن النحويين ؟!

ومن هذا الوجه الحضرى انهم ـ تعلموا ـ ولـم يجدوا غضاضة أن يجلسوا فى حلقات العلم يتلقون عن العلماء الرواة ، وأمامى خبران صريحان أولهما عن أبى مسحل الأعرابى وهو عبد الله بن حريش ـ أو عبد الوهاب ابن حريش • جاء من البادية ومعه نوع من المعرفة : لسانه ، وفطرته ، ومـا وعته أذناه من لهجة قومه ـ دخل بهذا العلم حلقات الرواة فى بغداد ، ولم ينفر كما نفر زملاء له من قبل مما يدور فى هـذه الحلقات مـن قراءات ، وحديث ، ونحو ، وشواهد ، وتفاعيـل وتصريفـات فصاحبَ الكسائـى وأخـذ عليـه •

ونحن لا نعجب أن يأخذ أبو مسحل عن الكسائى شيئا من القراءات أو ضروبا من النحو والاقيسة ولكنا نعجب بادىء الامر اذ نراه يروى عنـه اللغة ونوادرها انظره يقول فى كتاب الفه تحت اسم النوادر (ويقال : أمـا والله ، وهَما والله ، وحَما والله ، وعَما والله ، وغمـا واللـه ، وَغَرْمى والله ، وعَرْمى والله، وحَرْمى والله• سبع لغات حكاها الكسائى) •(3)

---

(1) انباه الرواة 4 : 117
(2) الفهرست 68
(3) نوادر أبى مسحل 52 ط مجمع اللغة العربية دمشق 1961

أو يقول : (وحكى الكسائي في باب مِفْعَل حرفين نادرين يقال فيهما بالفتح والكسر : مِطْهرة ، ومَطْهرة ــ ومِرْقاة ومَرْقاة) (1)
ويقول : حكى لنا الكسائي أربع لغات في الاسم : هذا اسمُك ، وهذا سِمُك ، وسُمُك ، واُسمك ــ ويقول : اذا ابتدأ اُسمٌ واِسْمٌ وسمٌ ــ وسِمٌ وأنشد :

سبحان من في كل سورة سِمُه ، و (سُمُه) (2)

وقال أبو العباس بن الأعرابي أخو أبي عبد الله بن الأعرابي : أمل علينا أبو مسحل قال : سمعت الكسائي يقول في الماشية اذا كثرت قد أوشت ماشية فلان ، ووشت ، وأتت ، وأمشت ، ومشت ، وصنأت ، وضنت تضنى لغة اذا كثرت (3) قال : وجمع الكسائي الشأبة شبائب ، مثل قبة وقبائب ، وحرة وحرائر ، وجزة وجزائز ، وكنة وكنائن ، وحلبة وحلائب ، ولصة ولصائص ، وهذه نوادر ليس جمعها على قياس .

وقال الكسائي : تميم تقول في الجَداية بالفتح ، وقيس تكسر فيقولون : جِداية والجمع جدايات ، وجدايا وأنشد :

وكأنما التفتت بجيد جداية رشأ من الربعى حر أرثم

الجداية : ولد الظبى ، والرشأ : صغير الظبى ، الارثم : بياض في طرف الانف . (4)

ويروى أبو مسحل عن الكسائي قال : سمعت أعرابيا من أهل العالية يقول : هو لكه وعليكه يريد لك وعليك . (5)

---

(1) نوادر ابى مسحل 78
(2) نوادر ابى مسحل 95
(3) نوادر ابى مسحل 1 : 177
(4) نوادر ابى مسحل 252 ــ 253
(5) نفس المصدر 489

وكما أخذ عن الكسائى ، أخذ عن الفراء أيضا فيقول : سمعت الفراء يقول : سمعت : ظِفر" ، وظُفْر" ، وأُظْفور ، وأُظفورة وسَطر ، وَسطَر" ، وأسطورة حكاها يونس • (1)

ويأتى ما تأتيه الفلاسفة فيتكلم فى خصائص العربية ويروى فى دقائقها فيقول فى الرجل الكثير اللحم والذى يطلق عليه يلندح : (دلنظى ، وبلنظى ، وبلنزى ، وجلنظى ••••• اذا كان كثير اللحم سمينا) • (2)

ويقول فى الترادف : ما سمعت من فلان نأمة ، ولا زأمة ، ولا زجحة، ولا وشمة ولا نغية ، ولا نغمة ولا أبلمة ، ولا هبنمة ، ولا أينمة ، ولا بنت شفة ومعناه كلمة • (3)

ويقال : تصدى له ، وتصدع له ، وتصدأ له ، وتأرى له ، وتارض له بمعنى تعرض له (4) ويقال طريق مدعوس ومدعوق •••• بمعنى مسلوك مذلل يداس (5) ويقال : رميت على الستين •••• ورديت على الستين•••• وذرقت على الستين ، وزرفت ••• بمعنى زدت عليها (6) ويقال : اصلك••• واضك ••• وجذمك ، وجذلك •••• يعنى أصلك (7) ويقال : امتقع لونه ، وانتقع ، والتقع ، واهتقع ••••• ومعناه تغير وحال عن حاله (8) ويقال : زنأت من فلان ، وضنأت منه ، وطنأت منه •••• بمعنى دنوت منه (9) ويقال : الجراء تهترش ، وتخترش ، وتحترش اذا عاقب بعضها بعضا • (10)

---

(1) المصدر السابق 251
(2) المصدر 31
(3) المصدر 60
(4) المصدر 6ى
(5) المصدر 67
(6) نفس المصدر 69
(7) ص 71
(8) ص 87
(9) ص 102
(10) ص 104

ومن القلب

يقول ابو مسحل : يقال : سم ذعاف وعذاف ... يعنى سم قاتل (1)
ويقال : قد فطس الرجل وطفس ، وقفس وفقس .... بمعنــى مات (2)
ويقال : ثكمت الطريق وثمكته ـ ولقمته وملقته وذلك اذا سلكت جادته (3)
ويقال : بخبخوا وخبجبوا ومعناه أبردوا (4) أى اقيموا حتــى يسكن حر
النهار ويبرد . ويقال : امرأة عطل اذا لــم يكن عليهــا حلــى وعلط (5)
ويقال : يعرب عن فلان لسانه ، ويعرّب ويعبّر ويعبّر عنه لسانه . (6)

وكتاب النوادر الذى وضعه أبو مسحل مشتمل على أكثر مما يعنيه هذا العنوان ، وانما هو من قبيل اطلاق اسم الجزء على الكل ـــ رأينــاه يكتب فى النخل بابا واسعا تعودنا أن نراه كتابا من تآليف القدامى واليك قطعة منه :

(أول ما يقلع من أمه فهو الجثيث ، يقال جثــوا فسيل أرضكم ... ويسمى الجثيث الفسيل يقال جثيثة وجثيث ، وفسيلة وفسيل ، وودية ، وودى . فاذا كانت الفسيلة فى الجذع ولم تك مستأرضة فى الأرض فهى خسيس الودى والعرب تسميها الراكب ـــ واذا قلعت الودية بكربة مـــن أمها قيل ودية مُنْعَلَة ، واذا غرست الودية فى أرض صلبة قيل انهـــا لا تكرم حتى يفقّر لها ، والتفقير أن يحفر لها بئرا ثلاثا فى ثلاث أو فى خمس، ثم يكبسها بترنوق وهو الذى يبقى من الماء اذا جف كأنه خزف ، يقـــال : كم فقرتم فيقال : فى أرضنا موضع مائتى فقير فاذا غرست قيل : وجّهَهَا وهو أن يميلها قبل الشمال فتقيمها الشمال الى أن تثبت .

---

(1) المصدر السابق ص 43 (2) ص 61
(3) ص 96 (4) ص 102
(5) ص 284 (6) ص 319

فاذا أخرجت قِلَبة جدا ، والقلب لب النخلة ، قيل قد أفسعت قلبا أو قلبين ، وبعضهم يقول : قلب النخلة برفع القاف ونصبها • ثم يظل هكذا يورد مسميات النخلة ــ في سعفها فأصله يسمى الكرانيف والتي تحتها تسمى الكربة ثم يأخذ في الكلام عن الثمار فهي الغضيضة أول ما تخرج ، فان اخضر قيل قد خضب النخل ••• فاذا انتفض بعد أن يكون بلحا قيل أصابه القشام •

ويتحدث عن أمراض النخلة ••• فاذا انشقت الطلعة عن عفن وسواد قيل قد أصابه دمان ••• فاذا اكثر نفض النخلة عظم ما بقي من بسرها ، ويقال خردلت فهي مخردل ــ وبعد أن يتكلم عن أطوار نموها يصف البلح فهو السياب بكسر السين وضمها واحدة سيابة ••• واذا انشقت الطلعة فخرجت بيضاء قيل هي غضة مَعْوَة فاذا تغيرت البسرة بحمرة أو صفرة قيل هذه شقحة قد بدت ، فاذا ظهرت الحمرة والصفرة قيل الزهو بفتح الزاي وأهل الحجاز بضمها ••• فاذا بدت فيه نقط من الارطاب قيل وكت البسر ••• ثم يأخذ في وصف الثمار وصفا دقيقا عندما يأتيها الارطاب من الذنب وعندما تلين الثمرة •••

وهذا اللون من التأليف الذي أعده أبو مسحل من النوادر رأيناه في كتاب النخل للأصمعي وذكرنا في كتابنا (الأصمعي الراوية) نموذجا من هذا الكتاب لا يبعد عن ما كتبه أبو مسحل بل وفيه فقرات تتشابه ، ولا أدري اذا كان أبو مسحل أفاد من كتاب الأصمعي أم تواردت الخواطر •

وعندنا أعرابي آخر اسمه الرهيمي ، قيل أنه روى عن أبي عبيد القاسم بن سلام (1) ولم يترك من آثاره ما يزيدنا معرفة به •

---

(1) انباه الرواة 4 : 116

أعراب ليسوا من العرب

وظهر من أمر الأعراب الرواة هذا الشيء الذي يبدو غريبا ، أعراب ليسوا من العرب ، ومع غرابته فجوازه صحيح عند علماء اللغات اذا تيسر وقوع الأعرابي الى البادية الفصيحة في سن غض ، عرف أبو الفرج بالحسين بن مطير وهو شاعر أمد الأصمعي وغيره باللغة فقال : الحسين بن مطير بن مكمل مولى لبني أسد بن خزيمة ، ثم لبني سعد بن مالك ، وكان جده مكمل عبدا فأعتقه مولاه ، وهو شاعر متقدم في القصيدة والرجز ، وهو من مخضرمي الدولتين ، وكان زيه وكلامه يشبه مذاهب الأعراب وأهل البادية (1)

وقيل عن أبي العميثل — عبد الله بن خليد — أنه مولى جعفر بن سليمان ، أما هو فقال : اني مولى بني هاشم ، وكان جده سعدا مولى العباس بن عبد المطلب ويقول ابن النديم : « وقيل أصله من الريّ » •

وكل هذا له وجه متقبل لا يغير من أعرابيته أن يكون جده أو والده من الريّ أو غير ذلك ، بل لا يمنع أن يكون قد ولد في بلد غريب ، ونشأ في البادية طفلا كما يحكى عن المنتجع أن أصله من السند فوقع الى البادية فنشأ أفصح من رؤبة •

ولقد شارك أبو العميثل فيما صانع فيه الأعراب الرواة ، والعلماء الرواة فمن الصورة الأولى كان يفخم كلامه ويعربه ، وروى عنه غريب الغريب ، ذكر له صاحب اللسان قوله في مادة ص ى ر قال أبو العميثل : صار الرجل يصير اذا حضر الماء فهو صائر ، والصائرة الحاضرة — والأمثال التي اختلف فيها أكثر الرواة علما بالبادية وعاداتها كان له فيها رأي متقبل

(1) الاغاني 16 : 17

فسر المثل (هو فى أمر لا ينادى وليـــده) فقـــال : الصبيان اذا رأوا شيئا عجيبا تحشدوا له مثل القرّاد والحاوى فلا ينادون ولكن يتركون يفرحون، والمعنى أنهم فى أمر عجيب • (1)

ومن وجهه الحضرى أنه وضع كما يحكى ابن النديم كتاب التشابه ، والأبيات السائرة ، ومعانى الشعر • ولعل الكتاب الأول هو الكتاب الذى وصلنا تحت اسم المأثور والذى نعرف به الآن •

قدم الاستاذ ف• كرنكوى لهذا الكتاب باللغة الألمانية مقدمة نقتطف منها ما يلى: (••• مخطوطة الكتاب فى حالة جيدة رغم قدمها، وقد طمست فى الهوامش العليا والسفلى كلمات بسبب الترميم، ولقد أكملت هذه الأجزاء المفقودة كلما كان ذلك ممكنا بمعونـــة السياق أو بالاستعانـــة بالمواضـــع المقابلة لها فى كتب أخرى ، ووضعت هذه التكملات بين قوسين ـــ وليس للكتاب فى هذه المخطوطة عنوان ، ويبدو ان عنوان الكتاب مع اسناده كان على ورقة واحدة فقدت ـــ وبالاضافة الى ذلـــك فان ترتيب الكتاب فـــى المخطوطة ليس الترتيب الصحيح، ويقول كرنكوى : ولقد وضعت صفحات الكتاب فى ترتيبها الصحيح ، وان لم يتضح اذا كانت هناك أوراق مفقودة أم لا ، ومن الممكن أن يكون الناقص بعد ص ٢٩ ، وص ٤١ من المخطوطة اذ أن فى جميع الأماكن الاخرى يمكن التحقق من تمامها من نص الكتاب)•

وانه ليبدو أن ورقات من الكتاب قد ضاعت فعلا اذ أن ياقوتا ينسب الى أبى العميثل معنى الكلمتين (غينة) و (غيضـــة) اللتين لا توجـــدان فـــى الكتاب المذكور •

ويقول كرنكوى فى وصف المنهج : « بدون خطة يمكن تبينهـــا أورد

---

(1) أدب الكاتب لابن قتيبة 49

المؤلف سلسلة من الكلمات ، وأعطى لكل كلمة الشروح التى تـرد عـلى خاطره مباشرة من غير أن يتأكد ان كان قد استوفى المعانى التـى يمكن أن تدل عليها هذه الكلمة • ان بامكاننا فى مواضع عـدة ، ومـن القواميس الكبيرة ــ ومن استعمالات الشعراء القدامى أن نزيد عدد المعانى للكلمات التى يتحدث عنها ، ولكن سلوكا كهذا سيؤدى الى البعد كثيرا عـن نهج الكتاب •

وأحيانا يصدر عن الناسخ الذى يسمى أبو الجهم فى آخر المخطوطة ــ أن يترك جزءا من قصيدة لمجرد أن السطر لم يكف أو لمجرد النسيان ــ هذه الغلطات قمت أنا بتصحيحها كلما كان ذلك ممكنـا ، وأضفت بغايـة الاستطاعة أسماء الشعراء التى نسيها الناسخ بناء على الكتب التـى كنت اجد فيها البيت ووضعت اسماء الشعراء التى اضفتها بين قوسين •

ولأبى سعيد الضرير ذكر فى الكتاب وله اضافات يقول عنها أنـه لم يروها عن أبى العميثل ــ وفى ختام المقدمة قدم الشكر للأب لويس شيخو، والأب أنطون صالحانى للمساعدات القيمة التى قدماها له » •

أرأيت الأعراب والأعرابيات ، يضعون كتب النـوادر والمصـادر ، ويدرسون النحو ويجلسون الى العلماء وكم فى دنيا الأعراب والأعرابيات مـن مفارقـات •

بهرجة الأعراب وردّ الفعل

وكلمة « بهرجة » وان أصبحت عربية ، فهى غير أصيلة فى هذه اللغة وانما دخلتها من الفارسية ، وهى تعنى « الزيف » ولم تلبث أن دارت فــى فلك العربية بهذا المعنى . وجدتها عند الجاحظ مقرونــة بالأعراب حــين يتكشف سقطهم فيقول فى كتاب البيان والتبيين :

(ان أصحاب هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منا :

« مكـــره أخـــاك لا بطـــل »

« واذا عـــز أخـــاك فهـــن »

ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم :

« ذهبت الـــى أبـــو زيـــد »

« ورأيـــت أبـــى عمـــرو »

ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منــه) (1) .

---

(1) البيان والتبيين 1 : 174

والتصور العام للبصرة ــ كأى ميناء ــ لا يخلص لأهلــه ، يمكن أن تسمع من بين ساكنيه من يقول تلك العبارات : مكره أخـــاك ، واذا عــز أخاك ... والتزام السهل من منطق القول ــ أما أن يفهمه الأعراب فمـــن السهل أيضا على الذين كانوا أعرابا ، وطال مكثهم فـــى الحضر ، وفسدت بذلك آذانهم بادىء الأمر ، ثم ألسنتهم بعد ذلك .

كانت عدّة الأعرابى فى الحاضرة ، أعرابيتـــه ، وكـــان علماء البصرة يشمخون بهذا المصدر الخشن، ويفخرون بالتلمذة لهم فكنت تسمع من يغمز أهل الكوفة بقوله : نحن نأخذ اللغة عن حرشة الضباب وأكلـــة اليرابيع ، وأنتم تأخذونها عن أكلة الشواريز والكوامخ (1) وحين حملوا عـــلى أبى عبيدة بعد أن وضع كتابه « مجاز القرآن » دافع عن لغته بقوله : أخذناها عن الأعراب البوالين على أعقابهم (2) يشير بذلك الى جفوتهم ، وأصالتهم تبعا لذلك . وانهم لم ينعموا بالحاضرة ولـــم تفسد بهـــا سليقتهم ، وكانت تهمة رجال الكوفة أنهم أخذوا عن أشياخ قطربل ، وعن أعراب الحطمية .

ويتفق أبو زيد سعيد بن أوس ، وأبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدى فى النيل من الكسائى ومصدر تحصيله فقال أبو زيد : قدم علينا الكسائى البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهما ، وأخذ منهم نحوا كثيرا ثم صار الى بغداد فلقى أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد والخطأ واللحن فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله (3) وأما اليزيدى فقال فيه :

كنا نقيس النحو فيمـــا مضـــى
عـــلى لســـان العـــرب الأول

(1) معجم الادباء 2 : 205
(2) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 194
(3) معجم الادباء 3 : 182

فجاءنا قوم يقيسونه
على لغى أشياخ قطربل
ان الكسائى وأشياعه
يرقون فى النحو الى أسفل

كان لا بد من رد فعل لهذه النكسة ، وكان على الأعراب أن يدافعوا عن فصاحتهم ، وأن يذودوا عن ألسنتهم ، وأن يبرأوا من الحضر وشوب الحضر فكان من الاعراب من يقف على حلقة العلماء يسخر مما يقولون .

وقف أعرابى على حلقة الأصمعى يسأل متحديا : أيكم الأصمعى ؟ قال : أنا ذاك . قال : أنت الذى يزعم هؤلاء النفر أنك أثقبهم معرفة بالشعر والعربية وحكايات الأعراب ؟ قال الأصمعى : فيهم من هو أعلم منى ، ومن هو دونى . قال : أفلا تنشدونى من شعر أهل الحضر شيئا حتى أقيسه على شعراء أصحابنا ؟ فأنشده الأصمعى ، فتحداه الاعرابى، وتبادلا الانشاد (1)

ووقف أعرابى على حلقة الأخفش يسخر من الدراسات النحوية قائلا :

ماذا لقيت من المستعربين ومن
تأسيس نحوهم هذا الذى ابتدعوا
ان قلت قافية فيما يكون لها
معنى يخالف ما قاسوا وما صنعوا
قالوا: لحنت، وهذا الحرف منخفض
وذاك نصب ، وهذا ليس يرتفع
وحرشوا بين عبد الله واجتهدوا
وبين زيد فطال الضرب والوجع

(1) زهر الآداب 2 : 101 ط الرحمانية

انّى نشأت بأرض لا يشب بهـا
نار المجوس ولا تبنى بها البيـع
ولا يطأ القرد والخنزير ساحتهـا
لكن بها العين والذّيّال والصدع
ما كل قول بمعروف لكم فخذوا
ما تعرفون وما لا تعرفون دعـوا
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم
وآخرين عـلى اعرابهم طبعـوا
وبين قـوم رأوا شيئـا معاينـة
وبين قوم رأوا بعض الذى سمعوا(1)

والأبيات الخمسة الاخيرة ، ليست ـ فيما يبدو ـ لرجل من أجلاف الأعراب انها لمحام مدره ، قطع شوط الحضارة الى نهايتـه ، وأعـد نفسه للفخر والمكابرة ، يعلم أن بلاد الآخرين تشب بها نـار يعبدها المجوس ، أو قد يتركون هذه النار ويتجهون الى بيع كما يفعل بعض الكتابيين ، وقـد يكون بها ما لا يكون في بلاد العرب من العين ، والذيّال ، وبها مـا يسمع عنه من القردة والخنازير ، اما اشارة الى انها بلاد أجنبية هى أقـل مجـدا ومرتبة من بلاد العرب ، واما أنه يمتهن أهلها كمـا يصورهم القرآن وقـد مسخوا قردة وخنازير ـ وأخيرا يسدى نصحا ، وكأنه صاحب الـرأى ، فيقول للمستعربين : خذوا ما سهل عليكم ، ودعوا العليا لأهلها .

وفى كتاب الأمالى أعرابى يرفل فى الخزوز ، يمر على حلقة الأصمعى فيمتحنه فى معنى قول الشاعر :

لا مـال الا العطـاف تـوزره
ام الثلاثـين وابنـة الجبـل

(1) انباه الرواة 2 : 42

لا يرتقي النز في ذلاذله

ولا يعدي نعليه عن بلل

قال أبو عثمان الاشناندانى : فضحك الأصمعى ، وأكمل القصيدة ، فادبر الأعرابى وهو يقول : تالله ما رأيت كاليوم عضلة (1) وهذا تسليم من الأعراب الرواة الى العلماء الرواة تبعد كثيرا عن عجرفة الأعرابى الذى كان ينظر الى أبى زيد قائلا له : أنت أحمق ، ويمضي فى طريقه • وأمامنا خبر يرويه ابن الانبارى فى نزهة الألبا، وقد أخذ أبو زيد بزمام الموقف • يقول:

وقف أعرابى على حلقة أبى زيد ، فظنه جاء يسأل عن شيء فى النحو فقال : سل ياأعرابى حاجتك ، فقال على البديهة :

لست للنحو جئتكم

لا • ولا فيه أرغب

أنا مالي ولامرىء

أبد الدهر يضرب

خل زيدا لشأنه

أينما شاء يذهب

واستمع قول عاشق

قد شجاه التطرب

همه الدهر طفلة

فهو فيها يشبب (2)

كان الرواة يسألون الأعراب فاذا بأبى زيد يقول : سل يا أعرابى حاجتك ؟

وحدث السلامى قال : حضر مجلس الكسائى أعرابى وهم يتحاورون فى النحو فأعجبه ذلك ثم تناظروا فى التصريف فلم يهتد الى ما يقولون ففارقهم وأنشأ يقول :

(1) امالى القالى 2 : 265

(2) نزهة الألبا 178

ما زال أخذهم فى النحو يعجبنى
حتى تعاطوا كلام الزنج والـروم
بمفعل فعل لا داـاب مـن كلم
كأنه زجـل الغربان والبوم (1)

كانوا بالامس لا يعرفون النحو ، واليوم لا يعرفون النحو ولا يعجبهم الصرف ، ويبدو أنه تعمل لتأكيد أعرابيتهم •

أما أبو مهدية ، فأمره عجيب غريب ، ولا أدرى اذا كان ما يأتيه هذا الأعرابى عمل أم تعمّل ، وطبيعة أم تطبّع ، وهـل كان جلفا عـلى هيئته وطبيعته أم تجلف لتخلص له صفة الأعرابى القح ، كان يأتى ما يأتيه ضعفة الأعراب ، كان يعلق صوفا ، وقذرا ، عـلى ملابسه فاذا سـئل عنـه قال : أنجاس حتى يتنجس منى الموت فلا يقدر على (2) ويقول الجمحى عنـه : كان ابو المهدى (كذا) مـن باهلة يضرب حنكه يمينـا وشمالا ويقول : اخسأنانّ عنى ، فسألناه عن ذلك فقال : جنان تدأمنى يعنى تركبنى (3) •

ويقف ليؤذن فيرى الاكتفاء بقول اللفظ ويتبعه بكلمة مرتين ، ويجد فى ذلك بديلا من أن يقول : الله أكبر الله أكبر ، ويقول : قـد عرفتـم أن المعنى واحد والتكرار عى (4) •

ويقول عنه ابن قتيبة فى كتاب المعارف بسنده عن الاصمعى : هاجت به مرة ، فكنا نسقيه كل يوم قارورة خل ، فجاء خلف الاحمر يوما مع فتيان من قريش عليهم ثياب جياد فقال : هات خلك يا أحمر ، فشربه ثم أمسك فى فيه آخر القارورة فمجه فملأ ثيابهم (5) •

---

(1) معجم الادباء 13 : 194
(2) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 175
(3) طبقات النحويين واللغويين 39 (4) الخصائص 2 : 467
(5) المعارف لابن قتيبة 238 ط مصر سنة 1934 م

ويبدو أنه لم يجد فى كل هذا التصنع غناء ــ وأرجو أن يغفر الله ظنى به ــ فأنشأ مدافعا عن أعرابيته :

يقولون لى شنبذ ولست مشنبذا
طوال الليالى ما أقام ثبير
ولا قائلا (زودا) ليعجل صاحبى
و (بَستان) فى قولى على كثير
ولا تاركا لحنى لأتبع لحنهم
ولو دار صرف الدهر حيث يدور

فهذه الالفاظ الغريبة التى تراها ألفاظ فارسية ، وأبو مهدية يعلن براءته منها ، وأنه لا يقولها ، يوهم بذلك أنه عربى أعرابى ، مستمسك على لحنه ولحن آبائه ، وليس له فيما ذهب اليه المجتمع البصرى من فساد اللغة شأن .

واليك أعرابىّ آخر يدافع فى لهجة خطابية عن أعرابيته ، وينفى العجمة عن لسانه ثم يسترسل فى ذكر مناقب قومه ، جاء فى كتاب الأمالى قول أبى على « حدثنى أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : قال أعرابى : « والله ما أحسن الرطانة ، وانى لأرسب من رصاصة ، وما قرقمنى الا الكرم » فقال البكرى فى التنبيه معلقا على الخبر :

(..... وهذا الكلام لأبى الذيال شويس الأعرابى العدوى قال : (أنا ابن التاريخ ، أنا والله العربى المحض ، لا أرقع الجربان ، ولا ألبس النبان ، ولا أحسن الرطانة ، وانى لأرسب من رصاصة ، وما قرقمنى الا الكرم) وشرح ذلك بقوله : (أنا ابن التاريخ يعنى أنه ولد سنة الهجرة ، ويريد بجملة قوله أنه أعرابى بدوى محض من أهل الوبر لا من أهل المدر

ولا من أهل الأمصار التى تكون على الارياف والانهار فهم يتعلمون فيهـا السباحة ، وانه لم يجاور العجـم فيحسن رطانتهـم . والجربـان : جيب القميص ، والتبان : السراويل الصغيرة مقدار الشبر . نفى عن نفسه لبس العجم ولبس الملاحين . والعرب انما كانت تلبس الازار والرداء ، وقولـه ما قرقمنى الا الكرم قال أبو عبيد : يعنى ان اباه طلب المناكح الكريمة فلـم يجدها الا فى أهله فجاء ولده ضاويا) (1) .

وبالغ بعضهم فى الحفاظ على صفة الأعرابى هذه ، بلسانه يدافع به ، ويغرب فى حديثه ، أو يفعل ما كانت ضعفة الأعراب تفعل ، وكان أغربهـا ما قيل عن أبى محمد الأعرابى الغندجانى المعروف بالأسود فلقد عمد الـى طلاء نفسه بالزيت ، وسود لونه بالقطران ، ووقف فى الشمس لتخلص لـه صفة الأعرابى فمـات !!

---

(1) كتاب التنبيه على أوهام ابى على القالى فى اماليه 124 تأليف أبـى عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكرى ، وانظر أيضا البيان والتبيين للجاحظ 2 : 97 وتعليقا للاستاذ عبد السلام هارون .

إلى البادية

كان على الطالبين الذين يلتمسون العربية خالصة بعيدة عن الشوب ، أن يتجاوزوا المربد ، كما تجاوزوا البصرة وأن يتجهوا نحو البادية العميقة التى لا يحتمل أن يدركها شوب أو زيف لبعدها عن الأطراف ، وأمثال هؤلاء لا يطوع لسانهم على غير ما فطروا عليه ، ولا يغريهم على الزيف من يطلب حكومتهم ، ولا يدرون ما هذه التعاريف التى اطلقت فى الحاضرة ، قيل لرجل حجازى : اتهمز الفارة ؟ قال : الهرة تهمزها — ولم يعرف ما يدور بخلد السائل من أنه يعنى الهمز بمعنى النبر .

ولا يدهشك هذا الانعزال الذى يوحى اليك أن الأعرابى فى البادية العميقة لم ينتقل من مكانه ولم يتأثر لسانه بغيره ، بل منهم من ارتضى ذلك عن عمد مخافة أن يصل الشوب الى لسانه ، فلا اغترب ، ولا سمح للغريب بالاقامة عنده أكثر من ثلاث ليال — يقول ياقوت حين عرف بالعكوتين (..... وأهلها باقون على اللغة العربية من الجاهلية الى اليوم لم تتغير لغتهم بحكم أنهم لم يختلطوا بغيرهم من الحاضرة فى مناكحتهم ، وهم أهل

قرار لا يظعنون عنه ولا يخرجون منه ، وأنهم لا يسمحون للغريب أن يقيم عندهم أكثر من ثلاث ليال خوفا على لسانهم) •

الى مثل هؤلاء ذهب الخليل بن أحمد ، وجمع علمه من بوادى الحجاز ، ونجد ، وتهامة (1) وهذه الكلمات الثلاث تعنى البادية العميقة جلها •

ومن كلمات يسيرة ، تدرك أن أبا عمرو بن العلاء قد سلك نفس المسلك ، وأنه ذهب يجوب البادية يستنطق الأعراب ويعى عنهم لغتهم • يحكى بعض هذا فيقول : لقيت أعرابيا بمكة ، فقلت له من أنت ؟

قال : أسدى •

قلت : من أيهم ؟

قال : نهدى •

قلت : من أى البلاد أنت ؟

قال : من عمان •

••• ••• ••) (2)

فأنت تراه قد تصيد الرجل ــ ربما فى موسم الحج ــ فلا يترك المناسبة دون أن يسمع منه لهجته •

وفى خبر آخر نراه ينتقى أهل السروات على أنهم أفصح العرب ، ومثل هذا الحكم لا يصدر الا بعد طول ممارسة ، يقول : (أفصح الشعراء لسانا وأعذبهم أهل السروات وهن ثلاث : الجبال المطلة على تهامة مما يلى اليمن فأولها هذيل وهى التى تلى السهل من تهامة ، ثم بجيلة ، السراة

---

(1) انباه الرواة 2 : 257 ـ 258 ، معجم الادباء 13 : 169

(2) ذيل الامالى 86

الوسطى ، وقد شركتهم ثقيف فى ناحية منها ، ثم سـراة الأزد ، أزد شنوءة وهم بنو الحارث بن كعب بن الحارث بن نصر بن الأزد) • (1)

وكان أبو عمرو شغوفا بهذه الرحلات ويعود منها بمغنم من اللغـة ، بعضه يأتيه عفو المناسبة ، وبعضه يعده قبل سفره يتلقى اجابته فى رحلاته ، وقد تعود أن يذهب ويسأل الحارث بن خالد المخزومى ، حدّث الأصمعى قال : قال معاذ بن العلاء أخو أبى عمرو بن العلاء : كان ابو عمرو اذا لـم يحج استبضعنى الحروف أسأل عنها الحارث بن خالد بن العاص بن هشام ابن المغيرة الشاعر وآتيه بجوابها ، قال : فقدمت عليه سنة مـن السنين وقد ولاه عبد الملك بن مروان مكة ، فلما رآنى قال : يا معاذ هات ما معك مـن بضائع أبى عمرو ، فجعلت أعجب من اهتمامه بذلك وهو أمير • (2)

وفى الكوفة كان العنصر العربى سائدا ، وكان من الممكن أن يجـد رواة العربية هناك مددا واسعا من اللغة ، ولذلك دهش رجـل حـين رأى الكسائى يأتى الخليل بن أحمد فى البصرة ليأخذ عنه اللغة ، فقال له متعجبا: تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة ، وجئت الى البصرة • فقـال للخليل : من أين أخذت علمك هذا فقال : من بوادى الحجاز ونجد وتهامة، فخرج ورجع وقد أنفذ خمس عشرة قنينة فى الكتابة عن العرب سوى مـا حفظ • (3)

والكلام فى هذا قريب الشبه من قصة أبى عمرو الشيبانى ـ وهـو كوفى أيضا ـ فقالوا : دخل البادية ومعه دستيجان حبرا ، فمـا خرج حتى أفناهما يكتب سماعه عن الأعراب (4) ويمكن أن يستقيم الخبر وأنت تقرأ

(1) العمدة لابن رشيق 1 : 55
(2) الاغانى 3 : 312
(3) انباه الرواة 2 : 257 — 258
(4) انباه الرواة 1 : 224

عن النضر بن شميل ، أنه أمضى فى البادية أربعين عاما (1) اذا تصورت أنه يقضى وطره من البادية ثم يعود الى البصرة — ثم يعاود مرة أخرى ، فما أحلى معين العلم ، ولا يدرك الشوق الا من يكابده .

وضرب أبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى فى البادية يذرعها ويسمع من أهلها ثم أخذ فى النهاية يفاضل بين القبائل ، قال : « لست أقول قالت العرب ، الا اذا سمعته من هؤلاء بكر بن هوازن ، وبنى كلاب ، وبنى هلال ، أو من عالية السافلة (نجد) أو سافلة العالية (المدينة) ». وهى قبائل عرفت بالفصاحة ، وبعدت عن التخوم ، فمن بنى بكر بن هوازن : معاوية ، ومنبه ، وسعد ، وزيد ، وعلى رأس هؤلاء جميعا أظآر النبى صلى الله عليه وسلم — بنو سعد بن بكر ، ومن بنى بكر بن هوازن قسى وهو ثقيف أما عالية السافلة فهم أهل نجد وقد رويت عنهم أكثر اللغة ، وأهم من سكنها تميم وقبائل ربيعة ، أما سافلة العالية فهم أهل المدينة .

أما رحلات الأصمعى الى البادية فتحتاج الى كتاب ربما تجاوز نطاق هذا التعريف الموجز ، بدأ الطالب يدور فى أزقة البصرة بحثا عن الأعراب فاذا لم يجد بينه وبين الأعرابى سببا ، ربط بالمشاغبة سببه حتى يجبره على أن يفتح فمه ويحرك باللغة لسانه ، واذا تحاور مع المفضل الضبى الشيخ — والأصمعى اذ ذاك شاب غض — احتكم الى غلام من بنى أسد فى بيت سليمان ابن على وقال الغلام بقول الأصمعى . فلما نضب أمامه هذا المعين ، أو هكذا خيل اليه يمم شطر المربد ، ليسمع أحاديث الأعراب ، ويدون فى ألواحه غريبها ، وعاد يعرضها على استاذه أبى عمرو بن العلاء .

فلما روى من المربد ، تجاوزه الى قريب منه بحيث كان يذهب ويعود ،

---

(1) نزهة الالبا 111

فتراه وقد ذهب الى القصيم حيث يمضي الأيام القصار ، ثم يعود الى البصرة — والقصيم مكان بين اليمامة والبصرة ، يشقه طريق بطن فلج ، فكأنه تجاوز المربد قليلا في اتجاه البادية ، فلم يوفق بادىء الأمر حتى اشتكى أمره الى رجل صادفه وقال له : اني قد هلعت من الغربة ولم أفد في قدمتي اليكم كبير علم ، فركب واياه على ناقة حتى لقيا شيخا من بني أسد بن ثعلبة فقال له : أنشدنا رحمك الله وتصدق على هذا الغريب بأبيات يعيهن عنك ويذكرك بهن فأنشده قصيدتين ذكرناهما في كتابنا (الأصمعي الراوية) نقلا عن أمالي القالي 1 : 170 ، وزهر الآداب للحصري 4 : 123 ، والمزهر 2 : 305 والخبر بتمامه في هذه المراجع فاطلبه هناك ، وأجمل ما فيه تعبيرا ومغزى قول الرجل (تصدق على هذا الغريب بأبيات يعيهن عنك) .

ويبدأ حديثا مع امرأة في واد موحش ، وقد رضيت واستكانت الى هذه العزلة فيسألها أمرها فتقول :

(يا بن أخي ، اني لآنس بالوحشة ، وأستريح الى الوحدة ، ويطمئن قلبي الى هذا الوادي الموحش فأتذكر من عهدت ، فكأني أخاطب أعيانهم وأتراءى أشباحهم ، وتتخيل لي أندية رجالهم ، وملاعب ولدانهم ، ومندى أموالهم . والله يا بن أخي ، لقد رأيت هذا الوادي بشع اللديدين ، بأهل أدواح وقباب ، ونعم كالهضاب ، وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح يبارون الرياح ، ويحمون الصّباح، فأحال عليهم الجلاء قمّا بغرفة، فأصبحت الآثار دارسة ، والمحال طامسة ، وكذلك سيرة الدهر فيمن وثق به .....) (1) .

وينقل عن أعرابي « برملة اللوى » كلاما يعجبه لطلاوته يرويه ابن أخيه عبد الرحمن عنه فيقول :

---

(1) الامالي 2 : 6

رحم الله امرءا لم تمجج أذناه كلامى ، وقدم معاذة من سوء مقامى ، فان البلاد مجدبة ، والحال مسغبة ، والحياء زاجر يمنع مـن كلامكم ، والفقر عاذر يدعو الى اخباركم ، والدعاء أحد الصدقتين ، فرحم الله امرءا أمر بمير أو دعا بخير .

فقلت : ممن أنت يرحمك الله ؟

فقال : اللهم غفرا ، سوء الاكتساب يمنع من الانتساب . (1)

وفى بلاد بنى عامر ــ ولعلك لاحظت أن الاصمعى يترك العراق رويدا رويدا متجها الى قلب البادية يسمع ، ويعى ، ويرى ويدوّن كلّ مـا يعينه على استيعاب البادية قولا ، وحياة ، وعادة .

فى بلاد بنى عامر يجذبه صوت ندى ينشد :

أحقـا عبـاد الله أن لست ناظرا
الى قرقرى يوما ، وأعلامها الغبر
كـأن فؤادى كلما مـــر راكب
جناح غراب رام نهضا الى وكـر

الى آخر القصيدة . قال : فلما رآنى أومأ الىّ ، فأتيته ، فقال :

أأعجبك ما سمعت ؟

فقلت : اى والله .

فقـال : من أهل الحضارة أنت ؟

قلـت : نعم .

فلما دعاه الى الطعام قال الاصمعى : انى الى غير هـذا أحوج ، قال : وما هو ؟

قالَ : تنشدنى .

---

(1) الامالى 1 : 138

قال : أصب فانى فاعل وأنشده • (1)

ويوغل فى الحجاز ، فتراه فى الطائف يفر من الحر فى شهر رمضان ، ومرة فى منى يجاذب امرأة اطراف الحديث ولا مأرب لـه فيهـا الا سماع منطقها •

يقول : رأيت أعرابية ذات جمال تسأل بمنى ، فقلت لها : يا أمة الله ، تسألين ولك هذا الجمال ؟

قالت : قدر الله فما أصنع ؟

قلت : فمن أين معاشكم ؟

قالت : هذا الحاج ، نسقيهم ونغسل ثيابهم •

قلت : فاذا ذهب الحاج فمن أين ؟

فنظرت الىّ ، وقالت : يا صلت الجبين ، لو كنا نعيش من حيث نعلم ما عشنا • (2)

اخترنا الاصمعى ، لنتمثل عـلى مثاله مسلك بقيـة الرواة ، واخترنا صورا من رحلاته لنتمثل على ضوئها سعى العلماء الرواة فى البادية ، يسمع من أشعار العرب ، وأمثالهم ، وحكمهم ما يدل على تفكيرهم ، ويرى مـن نبتهم ، وديارهم ، وجبالهم ما أعانه على فهم لغاتهم وتستطيع أن تعرف هذا الوجه كاملا اذا نظرت الى مؤلفات الاصمعى •

فمن كتب الاصمعى التى تعتمد اعتمادا مباشرا وتاما علـى الباديـة ، والسعى فيها ، وسؤال ساكنيها ، والتعرف على نبتها ، ومياهها ، وحيواناتها: كتاب الصفات ، خلق الانسان ، خلق الفرس ، الشاة ، الدلـو ، النحلة أو النحل والعسل كما فى كشف الظنون ، ما تكلم به العرب فكثر فـى أقوال الناس ، غريب الحديث والكلام الوحشى ، الخيـل ، الاخبيـة والبيوت ،

(1) الامالى 1 : 117 ــ 118 ط دار الكتب سنة 1344 هـ 1926 م

(2) العقد الفريد 3 : 210

الرحل ، النبات والشجر ، مياه العرب ، الانواء ، الميسر والقداح ، الابل ، الوحوش ، الامثال ، السلاح ، جزيـرة العرب ، السرج واللجـام ، أسماء الخمر •

وله كتب أخرى تعتمد على البادية اعتمادا غير مباشر ، ونـوع ثالث يرقى الى فلسفة اللغة وتقعيدها والادب المأثور المستقر فـي صميم البادية الى غير ذلك •

أما القسم الأول ، فقد يتراءى لبعض الناس أن هناك مـن يكتب فى الخيل ، وفى خلق الفرس ، وفى الشاء ممن لم يذهب الى البادية ، وأنا مع هؤلاء البعض من الناس ولكن مؤلفات الرواة تختلف عـن ذلك فهى تعنى بالاسماء والمترادفات ، واذا عرضت لكتاب الخيل مثـلا وجـدت معجما صغيرا يعنى بأسماء الأعضاء ، وأسماء ألـوان الخيـل والأمراض التـى تنتابها ، وأدوائها عند العرب الى غير ذلك •

واذا نظرت فى رسائل الرواة وجدت أكثرها يدور حول مظاهر الحياة المادية فى البادية كخلق الانسان ، والحيـوان ، والحشرات ، والنبـات • وهذه المواضيع تناولها رواة عديدون حتى ليشترك فـى العنوان الواحـد أكثر من راوية ، فخلق الانسان مثلا بدأ الكتابة فيه على مـا أعلم ــ رجل أعرابى تحضر ــ هو أبو مالك عمرو بن كركرة ومـن العلماء الرواة قطرب محمد بن المستنير ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى ، وأبو زيد الكلابى الأعرابى والأصمعى ، وأبو حاتم السجستانى ، وابرهيم بن السرى الزجاج •

ومن الذين تناولوا هذا الموضوع ضمن مجموعة : النضر بـن شميل فى كتاب الصفات ، وأبو عمرو الشيبانى فى كتاب النوادر الكبير ، وصدر به أبو عبيد القاسم بن سلام كتاب الغريب المصنف ، وبدأ ابن سيده كتاب المخصص بخلق الانسان •

تعريف بكتاب خلق الانسان للأصمعي

عنى بنشره ، الدكتور اوجست هفنر ، ضمن مجموعة الكنز اللغوى، وطبع بالمطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ببيروت سنة **1903** •

لم يكتب الأصمعى مقدمة لكتابه ، وأول الكتاب : قال أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى (يقال للمرأة فى أول ما تحمل نسئت ، وهى نسىء ، فان اشتهت على حملها شيئا فهى وحمى ، والمصدر الوحم • قال العجاج :

أزمان ليلى عام ليلى وحمى

أى ــ شهوتى ــ ووحمى فعلى من الوحم) •

وسار على هذا النهج سيرا رتيبا ، فبعد أن تكلم عن الأطوار الأولى لحالة الأم انتقل الى الجنين فتحدث عن أطواره حين ولد) فان خرج المولود قبل رأسه قيل ولدته يتنا ، قال الاصمعى عن عيسى بن عمر : سألت ذا الرمة عن مسألة فقال : أتعرف اليتن ؟ قلت : نعم ، قال : فان مسألتك هذه يتن أى أنها جاءت على غير وجهها) •

ثم يصفه عندما يصيح، وذكر الاسماء فى هذه الاطوار ، وكيف استعملت مجازيا فيقول : (فاذا خرج وصاح قيل قد استهل ، وكل شىء رفع صوته فقد استهل ، ومن ذلك أهلّ بالعمرة والحج ، ويقال : استهلت السماء ، واستهل المطر ، وهو الصوت) •

فاذا انتهى من الناحية العضوية عرج على الخلقية، وفى كل الخطوات تستهويه الصيغ اللغوية كالمذكر والمؤنث ، والمشتقات من فعل ومصدر وصفة ــ واعتمد على كتاب الأصمعى كثيرون من علماء اللغة بعده كأبى

عبيد فى الغريب المصنف ، واعتمد عليه الزجاج اعتمادا تاما وذكـر القالى أوصاف الانسان فى كتاب الأمالى منسوبة للأصمعى ، وتوسع ابن سيده فى خلق الانسان وصدر به كتاب المخصص فاستغرق الجزء الأول وبعض الثانـى .

هذا الكتاب وأمثاله هو الأصـل الـذى دارت حولـه الدراسات اللغوية مما استخلصه الرواة من شعر العرب وما سمعوه فى رحلاتهم مـن أفواه الاعراب وأحسب الذين كتبوا فـى خلق الانسان ، والحيـوان ، والحشرات ، والنبات ، لم يقصدوا فى هذه التآليف أبحاثا علمية بقدر ما أرادو أن تكون أوعية يضعون فيها ما صنفوه من ألفاظ لغوية ، وكأنهـا عناوين لأكوام من الكلمات ، بعضها مرتب، وبعضها وضـع عفو الخاطـر وكيفما اتفق ــ ومجموع هذه الكتب هو معجم لغوى عـلى وجـه مـن الوجوه التى اتجه اليها جمع اللغة.

رجْع الصَّدى

كيف تؤرخ الرواية اللغوية

لا تستطيع أن تحدد بداية الظواهر اللغوية تحديـدا قاطعـا ، ولا يمكنك أن تقول : فى سنة كذا اتجه الرواة يلتمسون العربية مـن افواه الاعراب ، ولا تستطيع كذلك أن تحدد مَنْ مِن الـرواة سـلك هـذا المسلك ، وبدأ به ، ومَنْ منهم ارتضى هـذا الوجه واحتذى عليه ، ومتى شاعت الظاهرة ، ومَن مِن الرواة أحسن الانتفاع بها اكثر من غيره ، ومن الذى اكتشف وهن الاعراب فترك البصرة أو الكوفة من وراء ظهره وتوجه الى المربد أو الكناسة بظاهر البلدين ، ومن فكر فى اقتحام البادية على أنه اتجـاه أمثل ؟؟؟

لا تستطيع أن تحدد كل هـذا تحديـدا دقيقـا ، وحسبك وصف الظاهرة بعد أن يدركها الشمول والتعميم •

واذا أمسك الرواة عن التلقى عن الأعراب ، وتوقفوا فيه عند نهايـة

القرن الثانى وقالوا ان الأعرابى لا يستمسك على لغته بعد هذه الفترة ــ فنحن أيضا ــ لا نعرف صاحب هذا الرأى ، ولا يستطيع أن يأخذ على العلماء موثقا باتباعه والموافقة عليه ، واذا كان بعض الأعراب قد لان جلده ووهنت سليقته فلا ينسحب هذا حكما عاما على جميع الأعراب ومنهم من ظل فى قلب البادية راضيا أو مرغما فبقى لسانه على فصاحته ، لقد وصف ياقوت فى زمانه ، ونحن نعلم أنه توفى سنة 626 هـ ، وصف أهل الكوتين بأنهم مستمسكون على بداوتهم حفاظا على ألسنتهم لا يخرجون من بلدهم ولا يقبلون غريبا أكثر من ثلاث ليال ولا يصاهرون من غيرهم. واذا أدرت هذا المثال على مخيلتك وجدت وجها لاحتمال وقوعه ، وفى عصورنا هذه التى امتدت وسائل النقل، ودخلت اللغات واللهجات الى أقاصى القرى والبيوت آتية على أسلاك البرق والهاتف ، وسهل انتقال الناس من أقاصى يمين الدنيا الى أقاصى يسارها ، فلما أتوا عليها اتجهوا الى القمر ــ فى هذا العصر ــ تجد من لم يغادر قريته ، ولم تتسع دنياه الى أكثر من طريقه بين حقله ومنزله ، وعلى هذا فكلام ياقوت الحموى صالح متوجه .

وقول الرواة ، أو بعضهم ، بالتوقف عن الأخذ عن الأعراب بعد القرن الثانى صالح متوجه أيضا وله أسبابه ومبرراته فيما قرأت من شكوك ، ومن اتهامات ثارت حول الأعراب ، وقد كتبنا حول هذا الوجه أمثلة منه تبرر مسلك الذين توقفوا عن الأخذ من هذا المصدر .

ولكن كما قلنا ، فالظاهرة اللغوية لا تحكم زمنيا بالحدود القاطعة ، والحدود المكانية لا يدركها شمول القاعدة أيضا بحيث نقول ان اللغة شيبت فى البصرة ، وفى المربد ، وفى البادية القريبة من الحاضرة فى نهاية القرن الثانى ، ونسحب هذه القاعدة وهذا القول لنقول به فى قلب البادية، ومن أجل هذا تجد من الرواة المتأخرين من سلك مسلك القدامى ، واتجه يصحح لغته على السنة البدو ، أو يطمئن عليها تحت هذا الأصل .

وبقى على علم اللغــة ، والمشتغــل بالتحقيق أن يضــع تحت البحث العميق الدقيق ما يجده من ذلك فى عصور متأخرة ، فالأخفش أبو الحسن على بن سليمان المتوفى سنة 315 هـ يروى عن أعرابية منى بنى كلاب (1) وفى أيام المعتز أحضر ابو السمح الطائى الأعرابى ليؤخذ عنــه ، (2) وربما وجدنا وجها لتبرير هذا أيضا . ولكننا لا نستطيع ، ولــو بقليــل مــن الاطمئنان ، ان نبرر مسلك الأزهرى صاحب التهذيب فى هذا .

فالأزهرى ، أبو منصور محمد بن أحمد المتوفى ســنة 370 يضــع الأعراب فى قمة مصادره حين أخــذ يكتب معجمه الضخــم (التهذيب) وحرص على أن يبين ذلك فى مقدمة كتابه ، وأن يبين القبائل التى أخــذ عنها ، والاماكن التى عاينها معهم والزمن الذى أمضــاه فى هــذه التلمذة فيقــول :

(وكنت امتحنت بالاسار ســنة عارضت القرامطــة بالهبير ، وكان القوم الذين وقعت فى سهمهم عربا ، عامتهم من هوازن ، واختلــط بهــم أصرام من تميم ، وأسد ، نشأوا فى البادية يتتبعون الغيث ايــام النجع ، ويرجعون الى اعداد المياه فى محاضرهم زمــان القيظ ، ويرعون الغنــم ، ويعيشون بألبانها ، ويتكلمون بطبائعهم البدوية ، ولا يكاد يوجــد فــى منطقهم لحن أو خطأ فاحش ــ فبقيت فى أسرهم دهرا طويلا ، وكنا نشتى بالدهناء ، ونرتبع بالصمان ، واستفدت مــن محاورتهم ومخاطبــة بعضهم بعضــا) .

وهذه المناسبة ــ فيما يحكى ــ هى التى أعانته عــى أن يضع تأليفا فى اللغة بل كانت دافعا له على وضع كتابه حين لاحظ فارقا كبيرا بين ما قرأه

(1) النوادر لأبى زيد 28 ـ 29
(2) انباه الرواة 4 : 116

لكبار الرواة وقدمائهم وبين ما سمعه من الأعراب ، وهو القائل (••• ولقد دعاني الى ما جمعت في هذا الكتاب من لغات العرب وألفاظها والاستقصاء في تتبع ما حصلت منها والاستشهاد بشواهد أشعارها المعروفة لفصحاء شعرائها التي احتج بها أهل المعرفة المؤتمنين عليها خلال ثلاث :

ـ منها تقييدي نكتا حفظتها ووعيتها عن أفواه العرب الذين شاهدتهم، وطالت أيام مقامي معهم ، اذ كان ما أثبته كثير من أئمة أهل اللغة في الكتب التي ألفوها والنوادر التي جمعوها لا ينوب مناب المشاهدة ، ولا يقوم مقام الدربة والعادة) •

ـ و ••••)

والجوهري 323 ـ 393 الذي وضع الصحاح في نهاية القرن الرابع ، يتردد في كلمة ، هل الخاء فيها منقوطة ، أم هي حاء مهملة ؟ فيجد الرأي عند اعرابي من بني تميم بنجد ، وهو يحكي تجربته هذه فيقول :

(سألت أعرابيا من بني تميم بنجد وهو يستقي وبكرته نخيس « البكرة النخيس هي التي اتسع محورها » قال : فوضعت اصبعي على النخاس فقلت ما هذا ؟ وأردت أن أتعرف منه الحاء والخاء فقال : نخاس (بخاء معجمة) قلت أليس قال الشاعر :

وبكرة نحاسها نحاس

فقال : ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) (1) •

أما أبو الفتح عثمان بن جني

فلم يصنف معجما ، ولم يحاول جمع اللغة ، ولكنه فيلسوف ، همه البحث والمقارنة ، والتقنين القائم على الملاحظة الدقيقة • هذا الرجل أيضا• وجدت له صاحبا من الأعراب ، يلازمه ، ويستنطقه ، ويدير عليه أبحاثه

(1) المزهر 2 : 312

فى كتاب الخصائص وفى كتاب المحتسب ، فقلت ما لهذا الرجل وللأعراب، ونحن فى نهاية القرن الرابع ، ولا نأخذ مجلسا فى البادية العميقة ؟

وجدته يحادث أبا عبد الله محمد بن العساف العقيلى الجوشى التميمى لينظر أثر الحضارة على لسانه ، يقول ابو الفتح :

فقلت له : كيف تقول : ضربت أخوك ؟

فقال : أقول : ضربت أخاك .

فأدرته على الرفع فابى ، وقال : لا اقول أخوك أبدا .

قلت : فكيف تقول : ضربنى أخوك ؟

فرفع

فقلت : ألست زعمت أنك لا تقول أخوك أبدا ؟

فقال : أيش هذا ؟ اختلفت جهتا الكلام .

قال ابن جنى : فهل هذا الا أدل شىء على تأملهم مواقع الكلام ، واعطائهم اياه فى كل موضع حقه وحصته من الاعراب عن ميزة وعلى بصيرة ، وانه ليس استرسالا ولا ترجيحا (1) .

وحاور ابن جنى صاحبه أبا عبد الله الشجرى حين لاحظ فى شعره اقواء ليعرف وجهته فيه

قال : أنشدنا أبو عبد الله الشجرى يوما لنفسه شعرا مرفوعا وهو قوله :

نظرت بسنجار كنظرة ذى هوى
رأى وطنا فانهل بالماء غالبه
لأونس من أبناء سعد ظعائنا
يزن الذى من نحوهن مناسبه

(1) الخصائص 1 : 76 ط دار الكتب

يقول فيها يصف البعير :

فقامت اليه خدلة الساق أعلقت

به منه مسموما دوينة حاجبه

دوينة : تصغير دون . خدلة الساق : ممتلئتها . المسموم : الخطام

فقلت : يا أبا عبد الله ، أتقول دوينة حاجبِه مع قولك مناسبُه ، وأشانبُه ؟ فلم يفهم ما أردت .

فقال : فكيف أصنع ؟ أليس ها هنا نضع الجرير على القرمة ، على الجرفة ، وأومأ الى أنفه . (1)

فقلت : صدقت ، غير أنك قلت : أشانبُه ، وغالبُه . فلم يفهم ، وأعاد اعتذاره الأول ، فلما طال هذا قلت له : أيحسن أن يقول الشاعر :

آذنتنا ببينها أسماء

رب ثاو يمل منه الثواء

ومطلت الصوت ومكنته ، ثم يقول مع ذلك :

ملك المنذر بن ماء السمائي ؟

فأحسَّ حينئذ ، وقال : أهذا ؟ أين هذا من ذاك ؟ ان هذا طويل ، وذاك قصير فاستروح الى قصر الحركة (2) .

قال : وسألته يوما فقلت له : كيف تجمع دكانا ؟

فقال : دكاكين

قلت : فسرحانا ؟

قال : سراحين

---

(1) الجرير : سير من جلد يوضع على انف البعير . القرمة : سمكة تكون فوق الانف (بضم القاف) . الجرفة : الوسم بعد الاذن والعنق (اللسان)

(2) الخصائص 1 : 241

قلت : فقرطانا ؟

قلت : قراطين .

قلت : فعثمان ؟

قال : عثمانون .

فقلت له : هلا قلت أيضا عثامين ؟

قال : ايش عثامين أرأيت انسانا يتكلم بما ليس من لغته ، والله لا أقولها أبدا . (1)

وجمع ابو عثمان بين الشجرى ، وابن عم له أصغر سنا وألين لسانا ، وأخذ يدس عليهما من المتشابهات ليرى مَنْ منهما يستمسك على فطرته ، ومن منهما يتأثر بالحضارة

فيقول : سألت الشجرى صاحبنا ... كيف يا أبا عبد الله تقول : اليوم كان زيد قائما ؟

فقال : كذلك

فقلت : فكيف تقول : اليوم ان زيدا قائم ؟ فأباها البتة ، وعلل ذلك أبو الفتح بأن ما بعد انّ لا يعمل فيما قبلها لانها انما تأتى أبدا مستقبلة قاطعة لما قبلها عما بعدها ، وما بعدها عما قبلها .

ثم قال : قلت له يوما ولابن عم له يقال له : غصن ، وكان أصغر منه سنا وألين لسانا كيف تحقران حمراء ؟

فقالا : حميراء

قلت : فصفراء ؟

قالا : صفيراء

قلت : فسوداء ؟

قالا : سويداء

---

(1) الخصائص 1 : 242

واستمررت بهما فى نحو هـذا فلما استويا عليـه دسست بين ذلك (علباء)

فقلت : فعلباء ؟

فأسرع ابن عمه على طريقته فقال علبياء ، وكان الشجرى يقولها معه، فلما همّ بفتح الباء استرجع مستنكرا فقال : اه علبيى ، وأشم الفتحة دائما للحركة فى الوقف ، وتلك عادة (1)

وفى مجلس آخر ، يناقش الأعرابـى ، فيجده لا يعرف مصطلحات الحضارة ولا تعاريف النحاة ، يقول أبو الفتح : سألته يومـا كيف تجمع محرنجما وكان غرضى من ذلك أن أعلم ما يقوله ايكسر فيقول : حراجم ، أم يصحح فيقول : محرنجمات فذهب هو مذهبا غير ذين فقال : فرقه حتى أجمعه ، وصدق ، وذلك ان المحرنجم هـو المجتمع ، يقولها مـارا علـى شكيمته غير مُحِسٍّ لما أريد منه ، والجماعة معى علـى غاية الاستغراب لفصاحته . قلت له : فدع هذا ، اذا انت مررت بابل محرنجمة ، وأخـرى محرنجمة ، وأخرى محرنجمة تقول مررت بابل مـاذا ؟

فقال وقد أحسَّ الموضع : يـا هذا ، هكذا اقول : مـررت بابـل محرنجمات ، وأقـام علـى التصحيح البتة استيحاشا مـن تكسير ذوات الأربعة لمصاقبتها ذوات الخمسة التى لا سبيل الى تكسيرها ، لا سيما اذا كانت فيها زيادة (2)

فوجهة ابن جنى تختلف عن وجهة الرواة ، فليس من منهجه جمـع

---

(1) معجم الادبـاء 12 : 106 ـ 107

(2) معجم الادباء 12 : 108 ، الخصائص 2 : 466

اللغة ، ولا تصحيحها ، ولا الاستزادة مــن معرفة اللهجات ، وان اراد شيئا من هذا فلا يتجه فيه الى الأعراب ، ولا يأخذه من أفواههم قضية مسلمة ، بل نراه يقف بين جيلين منهم ويلمس بنفسه فرقا بين الجيل الأول وفيه بقية من ارث لغوى ورثه عن أسلافه ، وبين الجيل الثانى وقد بدأ يلين لسانه ، فقد همّ الشجرى ، وابن عمه غصن وهو أصغر منه أن يقولا ســويا فــى تصغير علباء ــ عليباء ــ لولا أن استرجع الأول مستنكرا حين هم بفتــح الباء وقال : اه° ، عليبى ، فابن جنى كما اتمثله عالــم العربيــة فــى معمل الصوتيات ، وأدواته أفواه وحناجر الأعراب يديرها على اذنــه ، وعــلى قواعد العربية كما قعدها وفسرها وفلسفها .

وهكذا عرفنا وجهة ابن جنى ، ورجحنا أنه لا يروى عن الأعراب فى هذه الأيام المتأخرة ، وكنا نعتقد ان الدنيا لن تطول بالأعراب الرواة الــى أكثر من هذا ، وقد بعدنا عن القرن الثانى الهجرى ، ولكننا وجدنا :

الزمخشري ، جار الله محمود بن عمر 467 ــ 538

فى كتابه أساس البلاغة ، يشير أبو القاسم الزمخشرى الــى الأعراب على انهم مصدر من مصادر كتابه ، وقبل أن نناقش قضيته مــع الأعراب ، دعنى أقدم اليك الزمخشرى ، وأقدم اليك كتابه أساس البلاغة ، وقبل أن أخوض فى هذا وذاك دعنى اذكرك بأننا فى نهاية القرن الخامس الهجرى . وقطعنا من السادس سنين ، فهل كان فى هذا العصر رواية عــن الأعراب ، وهل أنت من هذا الخبر فى اطمئنان ويقين ، على كل حال هذا مــا يذكره الزمخشرى فى صراحة فى كتاب أساس البلاغة ، ونراه أيضــا فى كتــاب الكشاف . أما انا فالرأى عندى هو رأى من سمع وقرأ أن رواية الأعراب قد توقفت بسبب الارتياب بعد القرن الثانى الهجرى ، ثم رأى أمثلة للروايــة بعد ذلك يتقبلها العقل والمنطق فى الأماكن النائيــة البعيدة عن الشوب ،

وليس منها فيما أعتقد هذه الأماكن التى يذكرها أبو القاسم ، ولذلــك لا أكتمك قلقى •

أما الزمخشرى فهو رجل معتزلى يجاهر فى فخـر واعزاز بمذهبه ، ويسمى نفسه الزمخشرى المعتزلى ، والمعتزلة من العلماء الذين قدموا حكم العقل على مجرد النقل ، وهو بذلك عالم له رأى •

أخذ عن علماء خوارزم وبخارى ثم رحل الى بغداد فى طريقه الـى الحجاز فالتقى بأبى السعادات هبة الله بن الشجرى ، ثم ذهب الى الحجاز فجاور بمكة • اشتغل بالتفسير وكان اماما فيه ، كما كان مـن علماء اللغة والنحو والأدب وله فى ذلك مؤلفات عديدة وقد أعانه على ما يحكيه مـن أنه سمع (من الأعراب فى بواديها ، ومن خطباء الحلل فى نواديها ، ومن قراضبة نجد فى اكلائها ومراتعها ، ومن سماسرة تهامـة فـى أسـواقها ومجامعها وما تراجزت به السقاة على أفواه قلبها ، وتساجعت به الرعاة على شفاه علبها وما تقارضته شعراء قيس وتميم فى ساعات المماتنة ، وما تزاملت به سفراء ثقيف وهذيل فى ايام المفاتنـة) (1) •

وكنت أظن أن الزمخشرى قد اختار حيا من العرب ، تخير من لغتـه ما بدا له أنه بعيد عن الشوب فاطمأن للرواية عنه ، ولكن اذا أعدت قراءة النص وجدته قد جمع أفناء من كـل الجزيرة أو جلهـا ، ولذلـك ترانى استغرب أن تكون الرواية عن الأعراب قائمة الى هـذا العصـر المتأخر ، ويبدو أن لهذه العقلية المعتزليـة المستعدة للمناقشة وجهـا لتفسير هـذا المسلك •

وجدته فى كتاب الكشاف ، يحتج لتفسيره بسرورية مستجدية بمكة

(1) مقدمة اساس البلاغة

فيقول فى الآية الكريمة : (وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة) •

« ••• ••• فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الـذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال ، فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص ، والذى يصح معـه أن يكون من قول الناس: انا الى فلان ناظر ما يصنع بى تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل :

واذ نظرت اليـك مـن ملـك
والبحـر دونـك زدتنى نعمـا

ويقول : وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهـر حـين يغلق الناس أبوابهم ، ويأوون الـى مقائلهم تقول : عيينتى نويظرة الـى اللـه واليكم) • (1)

وبعد ــ فالرواية عن الأعراب فى هـذا العصـر المتأخر لا تعدو أن تكون تقليدا لهذا الأصل الذى رأيناه عند أوائل الـرواة ، أو هو رجـع الصـدى •

---

(1) الكشـاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فـى وجـوه التأويل 4 : 530 سورة القيامة

القسم الثاني

تعريف بالأعراب

تعريف بالأعراب

هذا تعريف بأشخاص الأعراب ، على قدر ما وصل اليه علمي ، ولقد أعدّ هذا العمل في وقت طويل ، ولم أشغل هذا الوقت بهم على جهة التفرغ ، ولكن بدأ اهتمامي يتجه اليهم حين أحسست بدورهم في رواية اللغة ، وعقدت النية ان اعرّف بهم حين وجدت المكتبة العربية ، والأبحاث اللغوية تخلو من هذا التعريف الشامل . وجدت البعض في كتاب الفهرست لابن النديم ، وتكرر مع اضافات قليلة في الجزء الرابع من كتاب انباه الرواة ، ثم لا نكاد نراهم مجتمعين الا في مصادر قليلة ، كأن يذكر باحث أهم الأعراب في البصرة فيشير الى أبي الدقيش ، وأبي مالك عمرو بن كركرة ، وأبي المنتجع ، وأبي مهدية ، وأبي خيرة ، وأم الهيثم — ونسمع في الكوفة عن أبي ثروان العكلي ، وأبي الجراح العقيلي ، وأبي فقعس ، وأبي دثار — ونراهم يرحلون الى بغداد في أثر الكسائي والفراء، وجميع هؤلاء أو أكثرهم من المذكورين في كتاب الفهرست .

وفي مناسبات متأخرة نجد مجموعة أخرى في نيسابور في صحبة

عبد الله بن طاهر ويبدو أنهم كانوا من الكثرة بحيث ذكر أبو حامد الخرزنجي في مصادره كتابا باسم نوادر الأعاريب الذين كانوا مع ابن طاهر ، رواها عنهم أبو الوازع محمد بن عبد الخالق •

وفيما وراء هذا ، كانت أخبارهم قصيرة ونادرة ، ولا يستقيم التعريف بهم على جهة الاستقصاء ، ـ أو ما يشبه الاستقصاء ـ مع الاختفاء والندرة ، فتركت أمرهم للمصادفة على المدى الطويل ، وأعددت لكل من وقع الي منهم بطاقة أدون عليها أخباره ، وانصرفت الى قراءاتي وأبحاثي ، وهم في ناحية من اهتمامي ما يربو على عشرين سنة ، أعود اليهم مرة بعد مرة لأقيد ما جد من أمرهم •

وبعد أن أخرجت كتاب الأصمعي الراوية ، وكتاب رواية اللغة ، والعربية فيما وراء العراق ، ومصادر اللغة ، كان قد اكتمل عندي من أخبارهم هذا القدر الذي أقدمه اليك باسم الأعراب الرواة ، وكانت صفاتهم قد برزت أمامي على الوجه الذي قدمته لك في القسم الأول من هذا البحث •

وفي هذا القسم الثاني رأيت أن أرتبهم بحسب أسمائهم . فكان منهم من اتضحت شخصيته ، ومنهم من لم يزد على مجرد ذكر اسمه ، ويظل كذلك الى أن تتاح المناسبة أو يواتيه الحظ فيظهر من أمره ما خفي، فكان من الأعراب الذين عرفت عنهم القليل (عرام بن أصبغ السلمي) وكاد البحث لا يعطيه من التعريف الا بما وقع الينا من ايجاز أشار فيه ياقوت الى أنه من الأعراب الذين استقدمهم عبد الله بن طاهر الى نيسابور ، ولم يذكر القفطي عنه أكثر من ذلك ، لولا كتابه الذي وقع الينا واسمه (كتاب اسماء جبال تهامة ، وسكانها ، وما فيها من القرى ، وما ينبت عليها من الأشجار وما فيها من المياه) • وكانت الأخبار عن أبي

مسحل قليلة ، بل واختلفت المصادر فى اسمه الى أن ظهر لــه كتاب فــى النوادر فألقى على صاحبه مزيدا من الضــوء .

ومن الصعاب التى صادفتنا ، وسوف تعترض القارىء اضطراب فى بعض أسماء الأعراب ، فقد لا يتيسر لنا غير كنيته ، وأكثرهم كذلك ، وقد يختلف فيها ، كما قد يذكر اسمه علــى خلاف ، فمن أعراب البصرة : أبو الدقيش ، ومن اعراب نيسابور : ابو العجنس . وابــو العيسجور . وكان ابو مسحل من مشاهير الأعراب واختلف فى اسمه بين عبد الوهاب ، وعبد الله كما يكنى أيضا بأبى محمد وان اشتهر بأبى مسحل ، وسنحاول تذليل هذه الصعاب بعمل فهرس يحيل على الاحتمالات .

أبو أدهم الكلابى

ذكره ابن النديم . (1)

أسعد بن عصمة (أبو البيداء الرياحى)

زوج أم أبى مالك عمرو بن كركرة الأعرابى ، نزل البصرة ، وأخــذ يعلم الصبيان بأجر ، وأقام بها عمره ، وكان له راوية يدعى أبو عدنان ، أو أبو عبد الرحمن عبد الأعلى ، وكان شاعرا ذكر له ابن النديم قوله :

قال فيها البليغ مــا قال ذو العــ
ىّ وكـــل بوصفهــا منطيــق
وكذاك العدو لــم يعد قد قــا
ل جميلا كمــا يقول الصــديق

أخذ عنه محمد بن سلام الجمحى . (2)

---

(1) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا
(2) الفهرست 66 ط مصر ، 44 ط اوربا

أفار بن لقيط

جاء فى اللسان : الأفر : العدو ، ورجل أفّار ، ومئفر اذا كان وثابا جيد العدو . ذكره ابن النديم (1) وروى عنه الجاحظ (2) وكان يخالف اللغويين فى اسماء الجماعات فقد روى ابو عبيدة فى معنى (الخِطْر) بكسر الخاء وسكون الطاء قال : قال مكوزة : الخطر أربعون ، والهجمة أكثر منها، قال: وقال أبو العلاء : بل الخطر مائة. قال : وقال افار بن لقيط بل الخطر ألف كما قال الراجز :

رأت لأقوام سواما دِبْرا
يريح راعوهن ألفا خِطْرا
وبعلها يسوق معزا عشرا

وبعض اللغويين يرى (الهجمة) ما بين الثلاثين والمائة ..... وقال افار بل الهجمة ما بين السبعين الى دوين المائة ..... والحوم أكثر من المائة ، وقال أفار أكثره الى الألف . (3)

البهدلي = عمرو بن عامر - أبو الخطاب

أبو البيداء الرياحى = أسعد بن عصمة

أبو تمام

ذكره ابن السكيت باسم « أبو تمام الأعرابى » وروى عنه فى كتاب

---

(1) الفهرست 66 ط مصر ، 44 ط اوربا

(2) الحيوان للجاحظ 6 : 52 - 53 ط الحلبى سنة 1364 هـ 1945 م بتحقيق عبد السلام هارون

(3) الالفاظ لابن السكيت 64 - 65 هذبه يحيى بن على التبريزى واخرجه باسم تهذيب الالفاظ واخرجه لويس شيخو باسم : كنز الحفاظ فى تهذيب الالفاظ ط بيروت سنة 1895 م

اصلاح المنطق فقال : (الخجل سوء احتمال الغنى ، والدقع ســوء احتمال الفقر) ومنه جاء الحديث فى النساء (انكن اذا شبعتن خجلتن واذا جعتن دقعتن) • (1)

وذكره القفطى باسم « أبــو تمام الجزار » (2) وذكره ابــن النديم باسم « أبو تمام الحرانى » • (3)

أبو ثروان العكلي

وصف بـ (الوحشى) وهو من أعراب الكوفة ، وأكثرَ الفراءُ مــن الرواية عنه ، ذكره فى كتاب معانى القرآن وهو يعلل لاختلاف القراءات فى كلمة (الحمد لله) وقال : أنشدنى أبو ثروان :

قال الجوارى مــا ذهبت مذهبا
وعبتنى ولــم اكــن معيّبــا
هــل أنــت الا ذاهب لتلعبــا

وقال : ذهب بـ (هل) الى معنى (ما) • (4)

وفى باب (ما نطق به بفعِلت وفعَلت) بكسر العين وفتحها فى كتاب اصلاح المنطق نسب ابن السكيت للفراء قوله : (يقال : حصِرته وحضرته• قال : وانشدنى أبو ثروان العكلى لجرير :

---

(1) اصلاح المنطق لابن السكيت 351
(2) انباه الرواة 4 ، 114
(3) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا
(4) معانى القرآن 1 : 4 ط دار الكتب 1374 هـ 1955 م

ما من جفانا اذا حاجاتنا حضرت
كمن لنا عنده التكريم واللطف)(1)

وفى الابدال ، قال الفراء : أتن الرجل ، وأتل يأتل ،وهو الاتلان والاتنان ، وهو أن يقارب خطوه فى غضب قال : وأنشدنى أبو ثروان العكلى :

أأن حن ّ أجمال وفارق جيرة
عنيت بنا ما كان نولك تفعل
ومن يسأل الأيام نأى صديقه
وصرف الليالى يعط ما كان يسأل
أرانى لا آتيك الا كأنما
أسأت ُ ، والا أنت غضبان ُ تأتل ُ
أردت لكيما لا ترى لى عثرة
ومن ذا الذى يعطى الكمال فيكمل (2)

وفى بَشَرَ بالتخفيف بمعنى الافراح والسرور قال أبو ثروان عن رجل من غنى : بشرنى فلان بخير ، وبشرته بخير (بالتخفيف) • (3)

وكان أبو ثروان ضمن أربعة حكموا بين سيبويه والكسائى فى المسألة الزنبورية هم : ابو فقعس ، وأبو دثار ، وأبو الجراح (4) وقال أصحاب سيبويه : الأعراب الذين شهدوا للكسائى من أعراب الحطمية الذين كان الكسائى يقوم بهم ويأخذ عنهم (5) وذكر ابن السكيت أن أبا

---

(1) اصلاح المنطق 238
(2) القلب والابدال 7 ط بيروت سنة 1903 ضمن الكنز اللغوى ، واللسان 1 ت ل
(3) امالى القالى 1 : 211
(4) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 72
(5) معجم الادباء 16 : 121

ثروان كان يعلم فى البادية ، وله كتاب فى خلق الانسان ، ومعانى الشعر • (1)

وبعد ، ما بال هذا الرجل يروى عن جرير ، وعن رجل من غنى ، وتركنا نسأل اين سليقة الأعرابى الذى يقول فتؤخذ عنه اللغة قضية مسلمة . كما قال هو ؟

أبو ثوابة الأسدى

يرجح أنه من أعراب البصرة ، فقد أخذ عنه الأموى ، وعن الأخير أخذ أبو عبيدة معمر بن المثنى ، قال الأموى : دخلنا على أبى ثوابة فقال : ما جاء بكم ؟ ليس عندى طعام مشنق ، ولا حديث موثق • (2)

ثور بن يزيد (أبو الجاموس)

كان يفد على آل سليمان بن على ، وعنه أخذ ابن المقفع الفصاحة (3)

أبو جامع

روى عنه الكسائى ما يجىء على َفِعال بفتح الفاء وكسرها قال : (هذا اِوان ذاك الكلام • وبالفتح : هذا أَوان ذاك ••) • (4)

جرو بن قطن (أبو الجراح العقيلى)

هو أحد الذين شهدوا مع الكسائى على سيبويه ، وقال عنه ابن النديم انه كان حكما من الحكام اللغويين فى مجالس الولاة (5) روى

---

(1) الفهرست 69 ط مصر 46 ط اوربا

(2) الفهرست 68 ط مصر 45 ط اوربا ، والطعام المشنق : العجين الذى يقطع ويعمل بالزيت اللسان ش ن ق

(3) الفهرست 67 ط مصر ، 45 ط اوربا

(4) اصلاح المنطق 118 ط دار المعارف سنة 1949

(5) الفهرست 76 ط مصر

عنه الفراء ان الاجل وجع فى العنق وذكر قوله : (بى اجل فأجّلونى) أى داوونى منه (1) كما روى عنه كلمة الدواء مما يأتى على َفعِال بفتح الفاء وكسرها ، فكسر وأنشد :

يقولون مخمــور ، وذاك دواؤه
على اذا مشى الى البيت واجب (2)

وفى سياق الاحتجاج بأن (يوسَف) بفتح السين لغــة قال الفراء : أنشدنى أبو الجراح للعجير السلولى :

فما صقر حجاج بن يوسَف ممسكا
بأسرع منى لمــح عــين بحاجب
ولقد جاءت بضمها وكسرها • (3)

وروى عنهم فى قولهم: حَسِسْتُ له أحَسُّ حِسًّا ــ و حسَست له أحِسّ حسا اذا رققت له •••• قول أبى الجراح : مــا رأيت عقيليا الا حسِسْت له (4) وعن ابى الجراح : رجــل أقط ، وامــرأة قطاء للــذى انسحقت أسنانه من طول الأكل (5) وحكى عــن (ابن الجراح ــ كــذا) عوى الكلب عوّة ، وعوية عن غيره ، والحلواء يمد ويقصر (6) وتسميته جرو بن قطن عن القفطى • (7)

وذكره القرطبى فى تفسيره قول الله تعالى : (ثم عفونا عنكم من بعد

---

(1) اصلاح المنطق 10
(2) اصلاح المنطق 118
(3) اصلاح المنطق 151
(4) اصلاح المنطق 215
(5) مجالس ثعلب 239
(6) مجالس تعلب 123
(7) انباه الرواة 4 : 117

ذلك لعلكم تشكرون) فقال : من بعد ذلك أى من بعد عبادتكم للعجل ، وسمى العجل عجلا لاستعجالهم عبادته ، والله أعلم • ثم قال : والعجل : ولد البقرة • والعِجَوْل مثله • والجمع العجاجيل ، والأنثى عجلة عن أبى الجراح (1) وفى اللسان قيل لأبى الجراح : كيف صبحت ؟ فقال : اصبحت مرثوءا موثوءا فجعله اللحيانى من الاختلاط وانما هو من الضعف (ر ث أ)

أبو جميل الكلابي

يروى عنه ابن السكيت : (يقال قد مغر فى البلاد اذا ذهب فأسرع ، ورأيته يمغر به بعيره) • (2)

جهم بن خلف المازني

ذكره ابن النديم ، وقال : راوية ، عالم بالغريب ، والشعر فى زمان خلف والأصمعى وله شعر فى الحشرات والجارح من الطير ، وكان من آل أبى عمرو بن العلاء وامتدحه ابن مناذر بقوله :

سميتم آل العلاء لأنكم
أهل العلاء ومعدن العلم
ولقد بنى آل العلاء لمازن
بيتا أحلوه مع النجم (3)

ولجهم قصيدة فى نوح الحمام ذكرها الجاحظ فى كتاب الحيوان (4)

أبو الحدرجان

ورد بهذا الاسم فى الفهرست (5) وجاء فى النوادر : قال أبو زيد : قال أبو أبى الحِدرِجان :

(1) الجامع لاحكام القرآن للقرطبى 1 : 397
(2) اصلاح المنطق 311
(3) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا
(4) الحيوان للجاحظ 3 : 242
(5) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا

تقول ابنتي لما رأتني شاحبا
كأنك فينا يا أباه غريب

قال أبو الحسن (أي الأخفش) هكذا وقع في كتابي وحفظي الحُدْرجان . وهو مأخوذ من الحدرجة وهي شدة اللىّ والفتل . (1)

الحرمازي = الحسن بن علي

أبو حزام العكلي = غالب بن الحارث

الحسن بن علي ، أبو علي الحرمازي

هكذا سماه محمد بن داود عن ابرهيم بن سعيد ، أعرابي بدوي راوية ، قدم البصرة ونزلها ينسب الى حرماز بن مالك بن عمرو بن تميم ، وقيل انه كان ينزل ببني حرماز فسمي بذلك . يسند اليه قوله : قيل لمدينية بأي شيء تعرفين السَّحَر ؟ قالت : ببرد الحلي على جسدي ، وقيل لدهقانية : بأي شيء تعرفين السحر ؟ فقالت بفوار أنوار البساتين . وله كتاب خلق الانسان . (2)

وترجم ياقوت للحسن بن علي بن الحرمازي قال : هو مولى لبني هاشم ، ثم مولى آل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وانما نزل البصرة في بني حرماز فنسب اليهم ، ووضعه المبرد ضمن طلاب أبي عبيدة، وأبي زيد ، والأصمعي مع التوزي والجرمي (3) فهل يقصد شخصا آخر؟

أبو الحصين الهجمي

ذكره ابن النديم . (4)

---

(1) النوادر 239
(2) الفهرست 72 ط الرحمانية ، 48 ط أوربا
(3) معجم الادباء 9 : 14
(4) الفهرست 70 ط مصر ، انباه الرواة 4 ، 114

خصيب الكلبى

جاء فى طبقات الزبيدى أنه (ابن عم الكلبيين الساكنين بالمدينة ، وكان خصيب ساكنا بموزوز ، ومنها أصول الكلبيين ، وكانت المشيخة من أهل موزوز يذكرون أن الفرانق (الذى يدل صاحب البريد على الطريق) كان يأتى من قرطبة من الخليفة محمد رضى الله عنه الى خصيب يستفتى فى الكلمة من اللغة والمسألة من العربية تحدث عندهم ، وكان له كتاب مصنف فى اللغة نحو مصنف أبى عبيدة . (1)

أبو خيرة = نهشل بن زيد العدوى

أبو داود الأعرابى

ذكره ثعلب وروى عنه قوله : (تركنا بنى فلان فى ضغيغة من الضغائغ) وهى العشب والكلأ الكثير . (2)

أبو دثار

ذكره ابن النديم . (3)

درواس

روى عنه الأصمعى فقال : قلت لدرواس الأعرابى : ما جعل بنى فلان أشرف من بنى فلان ؟ قال : الكتاب ، يعنى القدر ، ولم يقل المكارم والفعال . (4)

أبو الدقيش القناني الغنوي

ذكره ابن النديم بالسين (5) من قدماء رواة البصرة ، روى عنه الخليل كثيرا فى كتاب العين ، وسأله يونس : ما الدقيش ؟ فقال : لا أدرى،

---

(1) طبقات النحويين واللغويين 281

(2) مجالس ثعلب 344 (ذخائر العرب) ط دار المعارف

(3) الفهرست 71 ط مصر ، 47 ط اوربا

(4) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 95 ط دار احياء الكتب العربية 1373 هـ 1954 م

(5) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا

انما هى أسماء نسمعها فنتسمى بها (1)، وأخـذ عنـه النضر بن شميل (2) وفى اللسان عن أبى الدقيش : (للفرس عرقـان فى خيشومـه ، وهمـا الناهقان ، واذا رهصهما مرض) . (3)

ويبدو أنه كبر وشاخ فى أيام أبى زيد وأصحابه ، يقول : دخلنا على أبى الدقيش وهو شاك ، فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أجـد ما لا أشتهى ، وأشتهى ما لا أجد ولقد أصبحت فى شر زمان ، وشر أناس ، مـن جاد لم يَجِدْ ، ومن وَجَد لم يَجُدْ . (4)

وقال الخليل : الصهر حرمة الختن ، وختن القوم صهرهم ، وحكـى عن أبى الدقيش : أصهر بهم الختن أى صار فيهم صهرا . (5)

دلامز البهلول

يقول ابن النديم : (رأيت لـه كتاب النـوادر والمصـادر بخـط السـكرى) . (6)

ربيعة البصرى

تحضر وسلك مسلك العلماء الرواة ، ومن كتبه : ما قيل فى الحيات من الشعر والرجز ، وكتاب حنين الابل الى الأطان . (7)

رداد الكلابي

ذكره ابن النديم (8) بصرى روى عنـه أبو زيد فقال : قال رداد :

---

(1) مقاييس اللغة 2 : 289 ، المزهر 2 : 318
(2) نزهة الالبا 111
(3) اللسان ر هـ ص
(4) عيون الاخبار 3 : 49
(5) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى 1437
(6) الفهرست 70 ـ 71 ط مصر ، 47 ط اوربا
(7) الفهرست 74 ط مصر ، 50 ط اوربا
(8) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا

(اون للرجل) الذى اذا ركب الابل فعقر ظهورها من اتعابه : هذا رجل معقر ، وكذلك السرج والقتب ، ولا يقال للكلب الا عقور ، ويقال : هو ضرو للكلب الضارى على الصيد ، وضروة للكلبة ، وهذا ضراء كثيرة ، وكلب ضار ، وكلاب ضوار ، وقد ضريت أشد الضراوة . (1)

ويقول رداد : « غرقأت الدجاجة بيضها ، فالبيضة مغرقأة » ويقال غرقأت البيضة اذا خرجت وليس لها قشر ظاهر غير الغرقئة ، ويقول : « خرشاء الحية سلخها حين تنسلخ » . (2)

أبو الرديني العكلي

هو الدلهم بن شهاب ، ذكره الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين ، وفيه أنه هجا بنى نمير ، فتوعدوه بالقتل فقال ساخرا :

أتوعدنى لتقتلنى نمير — متى قتلت نمير من هجاها (3)

رهمج بن محرز = نصر بن مضر

الرهيمى

أعرابى بدوى يروى عن حضرى من الموالى ! ، فقد ذكر القفطى أنه روى عن أبى عبيد القاسم بن سلام (4) فلا أدرى ما الذى رواه اللغة أم الحديث .

أبو زياد الكلابى = يزيد بن عبد الله الحر

زيد بن كثوة العنبرى

ورد اسمه على التحريف (يزيد) وفى أكثر المصادر زيد ، ويقول الجوهرى : كثوة بالفتح اسم أم شاعر ، وهو زيد بن كثوة ، وهو القائل:

الا ان قومى لا تلط قدورهم
ولكنما يوقدن بالغدرات

---

(1) الحيوان 2 : 80 — (2) الحيوان 4 : 340
(3) البيان والتبيين 3 : 232 — (4) انباه الرواة 4 : 116

وذكره الجاحظ فقال : كان بين زيد بن كثوة يوم قـدم علينا البصرة وبينه يوم مات بون بعيد على أنه قد كان وضع منزله في آخـر موضـع الفصاحة وأول موضع العجمة ، وكان لا ينفك مـن رواة ومذاكرين (1) يعني بهذا أنه كان يسكن على حافة البادية في آخر موضـع الفصاحة ولا يدخل البصرة أول موضع العجمة مخافة على لسانه من الشوب ، ومع ذلك فقد كان هناك فارق كبير يوم قدم ويوم مات ، وذكر له الجاحظ في وصف العمائـم :

منعت من العُهّار أطهار أمّـه
وبعض الرجـال المـدعين زنـاء
فجاءت بـه عبل القوام كأنمـا
عمامتـه فـوق الرجـال لـواء

لأن عمامته ربما جعلوها لواء . (2)

وقال يصف عرسا : (أتيت بنـى كش هؤلاء ، فـاذا عرس ، وبلق الباب ، فادرنقق وادّمج فيه سَرَعان من الناس ، وألصت ولـوج الدار ، فدلظنى الحداد دلظة دهورنى على قمـة رأسى ، وأبصرت شيخان الحـى هناك ينتظرون المزية ، فعجت اليهم ، فوالله ان زلنا نظار نظار حتى عقـل الظل ، فذكرت أخلائى من بنى تبر فقصدتهم وأنا أقول :

تركن بنى كش وما فى ديارهـم
عوامد واعصوصبن نحو بنى تبر
الـى معشر شم الأنوف قراهـم
اذا نزل الأضياف من قمع الجزر

(1) البيان والتبيين 1 : 163 ط لجنـة التاليف والترجمـة والنشر 1367 ـ 1948

(2) البيان والتبيين 3 : 105 ط لجنـة التاليف والترجمة والنشـر 1367 هـ 1948 م بتحقيق هارون

وانصرفت . وأتيت باب بنى تبر . واذا الرجال صتيتان ، واذا أرمداء كثيرة ، وطهاة لا تحصى ، ولحمان فى جثمان الآكام . (1)

وقال الأصمعى فى بيت امرىء القيس :

نطعنهم سلكى ومخلوجة
كرّك لأمين على نابل

ذهب من يحسن هذا الكلام ، وفسره بقوله : أراد نطعنهم طعنة سلكى أى مستوية ، ومخلوجة : عادلة ذات اليمين وذات الشمال كما ترد سهمين على صاحب سهام قد دفعها اليك لتنظر اليهما ، واذا أنت ألقيتهما اليه لم يقعا جميعا مستويين على جهة واحدة ، ولكن أحدهما يعوج ويستوى الآخر ، فشبه جهتى الطعنتين بجهتى هذين السهمين .

وقال الزيادى : كان زيد بن كثوة العنبرى يقول : الناس يغلطون فى لفظ هذا البيت ومعناه ، وانما هو كر كلامين على نابل أى نطعن طعنتين متواليتين لا تفصل بينهما ، كما تقول للرامى : ارم ارم ، فهذان كلامان لا فصل بينهما شبه بهما الطعنتين فى موالاته بينهما ، وكان يستحسن هذا المعنى . (2)

أبو زيد المازنى

روى عنه محمد بن حبيب . (3)

---

(1) البيان والتبيين 4 : 9 — 10 يصف عرسا ، فتح فيه باب البيت على مصراعيه ، وتسارع الناس فى الدخول ، قال : فأردت الدخول ، فدفعنى الحداد ، ورأيت كبار القوم ينتظرون الطعام ، فانتظرت معهم حتى انتصف النهار ، فقصد أصدقاءه من بنى تبر ، واذا الرجال يتزاحمون وعندهم من دلائل الكرم رماد كثيرة ، وطهاة ، ولحوم فى حجم الصخور

(2) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة 70 — 71 ط دار احياء الكتب العربية 1373 هـ 1954 م

(3) الفهرست 71 ط مصر ، 47 ط اوربا ، انباه الرواة 4 : 116

أبو زيد الأعرابي

وربما استسغنا هنا تسميته بالأعرابي ــ وكلهم أعراب ــ تمييزا لــه عن أبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري الراوية المعروف . ذكره ابن قتيبــة في باب الحسد فقال : (وقال بعضهم : الحسد أول ذنب عصى الله به في السماء ، يعني حسد ابليس آدم ، وأول ذنب عصى اللــه بــه في الأرض يعني حسد ابن آدم أخاه حتى قتله . قال : وأنشدني شيخ لنــا عن أبــي زيــد الأعــرابي :

لا تقبــل الرشــد ولا ترعوى
ثانــي رأس كابــن عَــــوّاء
عادى أخــاه محرمــا مسلمــا
بطعنــة فــي الصــلب نجــلاء
وأنــت تقلينى ولا ذنــب لــي
لكننــــي حمّــــال أعبــــاء
مــــن يأخــذ النــار بأطرافــه
ينضح على النــار مــن الماء (1)

سعيد بن ضمضم (أبو ضمضم الكلابي)

وفد على الحسن بن سهل ، وله فيه أشعار جياد منهــا قصيدة لــم يسبق الى ما فيها وهي :

ســقيا لحــي باللــوى عهدتهم
منذ زمان ثم هــذا عهدهم (2)

---

(1) عيون الاخبار 2 : 11 ط دار الكتب سنة 1346 هـ 1928 م
(2) الفهرست 70 ط مصر ، 46 ط اوربا

ولقد أسن وكبر فى عهد الأصمعى الذى يقول : (جاء فتيان الى أبى ضمضم بعد العشاء فقال : ما جاء بكم يا خبثاء ؟ قالوا : جئناك نتحدث اليك . قال : كذبتم ، بل قلتم كبر الشيخ وتبلغته السن عسى أن نأخذ عليه سقطة ، فأنشدهم لمائة شاعر كلهم اسمه عمرو . قال الأصمعى : فعددت وخلف الأحمر فلم نقدر على أكثر من ثلاثين .

ويبدو أنه كان رجلا فكها ، أتته جارية فقالت : ان هذا قبلنى . فقال : قبليه فان الله يقول : (والجروح قصاص) وارتفع رجلان الى أبى ضمضم فقال أحدهما :

أبقاك الله ان هذا قتل ابنى

قال : هل لابنك أم ؟

قال : نعم

قال : ادفعها اليه حتى يولدها لك ولدا مثل ولدك ويربيه حتى يبلغ مثل ولدك ، ويبرأ به اليك . (1)

أبو السفر الكلابي

ذكره القفطى . (2)

أبو سليمان الأعرابي

روى عنه ثعلب فقال : سمعت أبا سليمان الأعرابى يقول : الليل دلجة من أوله الى آخره ، قال : أى ساعة سرت من أول الليل الى آخره فقد أدلجت . (3)

---

(1) العقد الفريد 6 : 446 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
(2) انباه الرواة 4 : 110
(3) مجالس ثعلب 258 وانظر اللسان د ل ج

أبو السمال = قعنب

أبو السمح الطائي

ذكره ابن النديم (1) واحضر أيام المعتز ليؤخذ عنه • (2)

أبو سوار ؟ سرار المازني

أخذ عنه أبو عبيدة (3) ويبدو أنـه كان شغوفا بالخلاف فـي قراءة بعض آيات من القرآن الكريم ، لا لعلة فى لهجته فيمـا أعتقد ، قال أبـو عثمان المازنى (قرأت على أبى وأنا غلام « ترى الودق يخرج مـن خلاله » فقال أبو سوار وكان فصيحا : « يخرج من خلله » واستشهد بقول الشاعر:

يشـير بغمـزة يخرجـن منهـا
خروج الودق من خلل السحاب

وقال ابو عثمان المازنى : خلل وخلال واحد هما مصدران (4) وقـرأ من سورة الاسراء (فحاسوا خلال الديار) قرأها بالحاء المهملة ، فقيل له . انما هو « جاسوا » فقال : جاسوا ، وحاسوا واحـد ، وعلق أبو الفتـح عثمان بـن جنـى عـلى ذلـك بقوله : هـذا يؤنس بأن القوم كانـوا يعتبرون المعانى ، ويخلدون اليها ، فاذا حصلوهـا وحصنوهـا سامحوا أنفسهم فى العبارات عنها (5) ويقول أبو عثمان المازنى : سمعت أبـا سرار الغنوى يقرأ « فحاسوا خلال الديار ••••• » ثم قال : وسمعته يقرأ (واذا قتلتم نسمة فادارأتم فيها) فقلت له : انما هو نفس ، قال : النسمة والنفس واحـد • (6)

---

(1) الفهرست 71 ط مصر ، 47 ط اوربا
(2) انباه الرواة 4 : 116
(3) الفهرست 67 ط مصر ، 45 ط اوربا
(4) الفهرست 67 ط مصر
(5) المحتسب 2 : 336
(6) امالى القالى 2 : 78

وفي حذف الهمزة للتخفيف قال أحمد بن يحيى : كنا عند سعيد بن سلم ، أنا وابن الأعرابى فخرجا لصلاة العصر ، وتأخرت لتجديد الطهر بعدهما ، فلما خرجت قال لى ابن الأعرابى أين أنت ؟ ألا تسمع لهذا ؟ قلت : ما هو ؟ واذا أبو سرار يتحدث قال : كنت أحضر العراق فاذا أردت أهلى ، وقد اشتريت منها وتبتّت (تزودت) أجتاز بأمرأة عجوز لها بنيات، فاذا نزلت عليها بهشن الىّ وأطفن بى فأفرز لهن مما اشتريت شيئا أدفعه اليهن ، فغبرت زمانا ثم جئت العجوز فوجدتها غائبة عن بيتها واذا أولئك الجوارى قد صرن نساء ، فبهشن الىّ على عادتهن ، وجاءت العجوز فوجدتنى خاليا معهن فقالت ما هذا ؟ أفى السوتنته ؟ فقلت وما فى هذا ؟ ارادت أفى السوء أتنته فحذفت الهمزة من السوء تخفيفا وألقت حركتها على الواو وألقت حركة الهمزة فى أتنته على كسرة التاء من السواة فانفتحت وحذفت همزة أتنته فصارت أفى السوتنته . (1)

أبو شبيل العقيلي

وفد على الرشيد ، واتصل بالبرامكة ، وله كتاب النوادر ، يقول ابن النديم : رأيته بخط عتيق باصلاح أبى عمر الزاهد نحو ثلاثمائة ورقة . (2)

شبيل بن عزرة الضبعي

عرف به ابن النديم ، والجاحظ بأنه من علماء الخوارج ، صاحب الغريب ، وكان راوية خطيبا ، وشاعرا ، ناسبا ، وكان سبعين سنة رافضيا ثم انتقل خارجيا صفريا . (3)

---

(1) المحتسب 1 : 72

(2) الفهرست 68 ط مصر ، 46 ط اوربا

(3) البيان والتبيين 1 : 343 ، الفهرست 68 ط مصر

وربما خالف الجمهور فـي قراءته ، قرأ فـي سورة مريم (خَفَّتِ الموالى) بفتح الخاء وتشديد الفاء وفتحها وكسر التاء .. أى قلّ بنو عمى وأهلى (1) وقرأ فى هذه السورة أيضا (فاجأها) فرواها ابـن مجاهد أنها من المفاجأة . (2)

وحدث أبو عبيدة عن يونس قال : كنت عند أبى عمرو بـن العلاء فجاءه شبيل بن عزرة الضبعى ، فقام اليه أبـو عمرو فألقى لـه لبد بغلته فجلس عليه ، ثم أقبل يحدثه ، فقال شبيل : يا أبـا عمرو ، سألت رؤبتكم هذا عن اشتقاق اسمه فما عرفه .

قال يونس : فلم أملك نفسى عند ذكره لرؤبة ، فزحفت اليه ثم قلت : لعلك تظن أن معد بن عدنان أفصح من رؤبة ومن أبيه ، فأنـا غلام رؤبة ، ثم أخذ يناقشه فى معانى الرؤبة مهموزة ومخففة . (3)

أبو الشمخ

ذكره ابن النديم فقال : نزل الحيرة ، وله كتاب الابل . (4)

شويس العدوي أبو الذيال

جاء فى كتاب الأمالى قول أبى على : حدثنى أبو بكر بن دريد رحمه الله قال : قال أعرابى : والله ما أحسن الرطانة ، وانى لأرسب من رصاصة ، وما قرقمنى الا الكرم .

فقال البكرى فى التنبيه معلقا على هذا الخبر: (... وهذا الكلام لأبى الذيال شويس الأعرابى العدوى قال : أنا ابن التاريخ ، أنا والله العربـى

(1) المحتسب 2 : 37
(2) المصدر السابق ٢ : ٣٩
(3) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 48 — 49
(4) الفهرست 67 ط مصر

المحض لا أرقع الجُربان ، ولا ألبس التُبّان ، ولا أحسن الرطانة ، وانــى لأرسب من رصاصة ، وما قرقمنى الا الكرم) .

وشرح ذلك بقوله : أنا ابن التاريخ يعنى أنه ولد سنة الهجرة ، ويريد بجملة قوله أنه أعرابى بدوى محض : من أهل الوبر لا مــن أهل الأمصار التى تكون على الأرياف والأنهار فهم يتعلمون فيهــا السباحة ، وأنه لــم يجاور العجم فيحسن رطانتهم (1) وقوله : مــا قرقمنى الا الكرم ، قــال أبو عبيد يعنى أن أباه طلب المناكح فلم يجدها الا فــى أهله فجــاء ولده ضاويا . (2)

أبو صالح الطائي

عرف به ابن النديم . (3)

أبو صدقة الدبيري

من بنى أسد (4) روى عنــه الفراء . جاء فى اصلاح المنطق فى باب فَعيل ، وفُعال ، وفُعّال (رجل قُرّاء للقارىء ، قال الفراء : أنشدنى أبو صدقة الدبيرى :

بيضاء تصطــاد الغوى وتستبى
بالحسن قلب المسلم القُرّاء) (5)

أبو الصقر العدوي

هكذا ورد اسمه فــى انبــاه الرواة (6) وفــى الفهــرست أبــو الصعق . (7)

---

(1) كتاب التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه 124 لابى عبيد عبد الله البكرى

(2) انظر البيان والتبيين 2 : 97

(3) الفهرست 71 ط مصر

(4) الفهرست 105 ط مصر

(5) اصلاح المنطق 123

(6) انباه الرواة 4 : 114

(7) الفهرست 70 ط مصر

الصقيل العقيلي

قدم الى بغداد ، والتقى فيها بأبى زياد الكلابى ، وسأله أبو زياد حين قدم من البادية عن طريقه فقال : (انصرفت من الحــج ، فأصعدت الى الربــذة « قرية قرب المدينة » فى مقط الحرة « منقطع حرة المدينة » ووجدت بهــا صلالا من الربيع من خضيمة خمط ، وصليان . وقرمــل حتى لــو شئت لأنخت ابلى فى أذراء الفقعاء فلم أزل فى مرعى لا أخس منــه شيئــا حتى بلغت أهلى) • (1)

أبو ضمضم = سعيد بن ضمضم

أبو طفيلة

روى عنه الأصمعى قال : (حدثنى من رأى مساور بن هند أنه ولــد فى حرب داحس قبل الاسلام بخمسين عاما) (2) يشير الى ابى طفيلة •

عباد بن حبيب من بني عمرو بن جندب (أبو الخضير)

روى عنه النضر بن شميل قال : قلت لأبى الخضير : مــا أعجب مــا رأيت من الخصب ؟ قال : كنت أشرب رثيئة تجرها الشفتان جــرا (اللبن الحامض) وقارصا قمارصــا اذا تجشأت جــدع أنفى ، ورأيت الكمــأة تدوسها الابل بمناسمها ، والوضر يشمه الكلب فيعطس (3) وقال القفطى : اسمه عباد بن حبيب ••• وكان راوية للشعر لغويا عالما بأخبار العرب • (4)

عباد بن كسيب أبو الخنساء

ذكره ابن النديم ، وهو من بنى عمرو بــن جندب مــن بنى العنبر ،

---

(1) البيان والتبيين 2 : 156 الصلال = اماكن ينبت فيهــا العشب متفرقا ، والخضيمة = النبت الرطب ، اذراء = جمع ذرى

(2) الاصابة 6 ، 171 ترجمة رقم 8397

(3) البيان والتبيين 2 : 157

(4) انباه الرواة 4 : 117

ويكنى أبا الخنساء وكان راوية للشعر عالما بأخبار العرب (1) وترجم اه القفطى فقال لغوى فى من دخل البادية ، أخذ الناس عنه طرفا من اللغة الفصحى ، وهو قديم العهد قد يرد اسمه فى كتب اللغويين ، وأسندوا اليه جملة من الغريب) . (2)

عبد الأعلى أبو عبد الرحمن (أبو عدنان)

ورد اسمه على ما ترى من الاضطراب ، ويقال : هو ورد بن حكيم راوية أبى البيداء الرياحى . بصرى ، شاعر عالم باللغة ، وله كتاب النحويين ، كتاب غريب الحديث ، وترجمته ما جاء من الحديث المأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم مفسرا ، وعلى أثره ما فسر العلماء من السلف . (3)

عبد الرحمن بن منصور الكلابي (أبو حجار)

ذكره ابن النديم ، والقفطى . (4)

عبد الله بن خليد (أبو العميثل)

مولى جعفر بن سليمان ، والعمثل من أسماء الخيل ، وهو السبط الذيال ، المتبختر فى مشيته .

وقيل ــ كما يحكى ابن النديم ــ أصله من الرى ، وكان يؤدب ولد عبد الله بن طاهر ، وكان يقول : انى مولى بنى هاشم ، وكان جده سعدا

---

(1) الفهرست 73 ط مصر ، 40 ط أوربا
(2) انباه الرواة 2 : 388
(3) الفهرست 68 ط مصر ، 45 ط اوربا
(4) الفهرست 70 ط مصر ، 45 ط اوربا

مولى العباس بن عبد المطلب وخدم طاهر بن الحسين ثم ابنه عبد الله بن طاهر ، فدخل عليه يوما فقبل يده فقال له عبد الله مازحا : خدشت يدي بخشونة شاربك ، فقال له أبو العميثل مسرعا : ان شوك القنفذ لا يؤلم برثن الأسد فأعجبه قوله ، وأمر له بجائزة . وحجب مرة فقال :

سأترك هذا الباب ما دام اذنه
على ما أرى حتى يخف قليلا
اذا لم أجد يوما الى الاذن سلما
وجدت الى ترك اللقاء سبيلا

فبلغ ذلك عبد الله فأنكره ، وأمر بايصاله على أي حال كان . (1)

ولمكانة أبي العميثل عند آل طاهر ، شفع لأبي تمام ، ونصح عبد الله ابن طاهر أن يبسط اليه يده ، وكان قد وجد عليه وأبطأ بجائزته لأنه نثر عليه ألف دينار فلم يمسسها بيده ترفعا عنها فأغضبه وقال : يحتقر فعلي ويترفع عليّ ؟ فكان يبعث اليه بالشيء بعد الشيء كالقوت ، فقال أبو تمام :

لم يبق للصيف لا رسم ولا طلل
ولا قشيب فيستكسى ولا سمل
عدل من الدمع أن يُبكى المصيف كما
يُبكى الشباب ويُبكى اللهو والغزل
يمنى الزمان انقضى معروفها وغدت
يسراه ، وهي لنا من بعدها بدل

فبلغت الأبيات أبا العميثل ، فأتى أبا تمام واعتذر اليه لعبد الله بن

(1) انباه الرواة 4 : 116

طاهر ، وعاتبه على ما عتب عليه من أجله ، وتضمن له ما يحبه ، ثم دخل الى عبد الله فقال: أيها الأمير أتتهاون بمثل أبى تمام وتجفوه ؟ فوالله لو لم يكن ماله من النباهة فى قدره ، والاحسان فى شعره ، والشائع من ذكره لكان الخوف من شره ، والتوقى لذمه يوجب على مثلك رعايته ومراقبته فكيف وله بنزوعه اليك من الوطن ، وفراقه السكن ، وقد قصدك عاقدا بك أمله ، معملا اليك ركابه ، متعبا فيك فكره وجسمه فى ذلك ما يلزمك قضاء حقه حتى ينصرف راضيا ، ولو لم يأت بفائدة ، ولا سمع فيك منه ما سمع الا قوله :

تقول فى قومس صحبى وقد أخذت
منا السرى وخطا المهرية القود
أمطلع الشمس تبغى أن تؤم بنا
فقلت كلا ، ولكن مطلع الجود

فقال له عبد الله : لقد نبهت فأحسنت ، وشفعت فلطفت ، وعاتبت فأوجعت ولك ولأبى تمام العتبى ، ادعه يا غلام فدعاه فنادمه يومه ، وأمر له بألفى دينار ، وما يحمله من الظهر ، وخلع عليه خلعة تامة من ثيابه ، وأمر ببذرقته الى آخر عمله • (1)

عبد الله بن سعيد الأموي

ذكره ابن النديم ، وقال : ليس من الأعراب • لقى العلماء ، ودخل البادية ، وأخذ عن الفصحاء من الأعراب ، وله كتاب النوادر ، وكتاب رحل البيت • (2)

---

(1) الاغانى 16 : 396 ط دار الكتب ، بذرقته : حراسته
(2) الفهرست 72 ط مصر ، 48 ط أوربا

روى عنه ابن السكيت فى بـاب فَعِل ـ بكسر الفاء وفتحها مـن المعتل (يقال هو الطيب ، والطاب وأنشد :

مقابل الأعراق فى الطيب والطاب
بين أبى العاصى وآل الخطاب) (1)

وفى باب فَعال ـ بكسر الفاء وفتحها ـ (أتيتهم عنـد الكَنـاز « بالفتح لا غير » يعنى حين كنزوا التمر) • (2)

وروى ابن السكيت عن أبى عمرو فى باب مفعلة ـ بفتـح العـين وضمها ـ فقال : (المأرَبة والمأرُبة الحاجـة ،قال الأموى : ومثـل مـن الأمثال يقال : مأربة لا حفاوة ، للرجل اذا كان يتملقك ؛ أى انـا حاجتك الىّ لا حفاوة) • (3)

وروى ابن السكيت عن الأموى فيما لا يتكلم فيـه الا بجحد (مـا تتشت منه شيئا أى ما أصبت) • (4)

وذكر ابن السكيت (السكين) على انه مذكر وأنشد لأبى ذؤيب :

يرانى ناصحا فيما بـدا واذا خلا
فذاك سكين على الحلق حـاذق

قال الكسائى والفراء : وقد يؤنث ، واستطرد ابـن السكيت فقال : وتقول : هذه موسى حديدية ، وهى فعلى عـن الكسائى ، وقال الأموى عبد الله بن سعيد : هو مذكر لا غير ، هذا موسى كما ترى هو مفعل مـن

---

(1) اصلاح المنطق لابن السكيت 102
(2) اصلاح المنطق 119
(3) اصلاح المنطق 134
(4) اصلاح المنطق 431

أوسيت رأسه اذا حلقته بالموسى (1) وفي التهذيب في الرباعي عن الأموي، الطفنشير مقصور مهموز الضعيف من الرجال ، وقال شمر : الطفشل باللام اللسان (طفأ) ۱ : ۱۱٥ ط دار صادر •

عبد الله بن عمرو بن أبي صبيح المازني

نزل بغداد ، وأقام بها حياته ، وكان شاعرا فصيحا ، أخذ عنه العلماء، وله أخبار مع الفقعسي ، منها ما يحكيه دعبل فيقول : (حضر الفقعسي دارا فيها وليمة ، وحضرها ابن أبي صبيح الأعرابي فازدحما على الباب فلعب أبن أبي صبيح ودخل قبل محمد وقال :

الا يا ليت انك أم عمرو شهدت مقامنا كي تعذريني
ودفعي منكب الأسدي عني على عجل بناحية زبون
بسنزلة كأن الأسد فيها رمتني بالحواجب والعيون
وكنت اذا سمعت لحق خصم منعت القوم أن يتقدموني) (2)

عبد الوهاب بن حريش أبو مسحل

جاء في بعض المصادر عبد الله بن حريش ، وهو أعرابي من بني ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر وهم من أحياء بني عامر بن صعصعة ، ومنازلهم في نجد • (3)

يمثل أبو مسحل الصورة الحضرية للأعراب ، اذ حضر وافدا من البادية على الحسن بن سهل كما يقول ابن النديم ، فاذا به يقف على

---

(1) اصلاح المنطق 397

(2) الفهرست 73 ط مصر ، 49 ط اوربا

(3) نوادر أبي مسحل ص 5

حلقات العلم ، ويسمع ما يدور فيها ويلازم الكسائى فيأخذ عنه النحو .
ويبدو أنه أصبح من المقربين للكسائى ، وممن يقومون مقامه ، جاء فى ترجمة الكسائى فى كتاب انباه الرواة (قال أبو عمر الدورى : قرأت هذا الكتاب — يقصد معانى الكسائى — فى مسجد السواقين ببغداد على أبى مسحل ، وعلى الطوال ، وعلى سلمة ، وجماعة ، فقال أبو مسحل : لو قرىء هذا الكتاب عشر مرات لاحتاج من يقرؤه أن يقرأه) .(1)

وروى أبو مسحل شعر الشواهد عن على بن المبارك فأخذ عنه أربعين ألف شاهد فى النحو كما يحكى أبو بكر محمد بن بشار الأنبارى وقال : سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلبا يقول : ما ندمت على شيء كندمى على ترك سماع الأبيات التى كان يرويها أبو مسحل عن على بن المبارك الأحمر . (2)

وانظر — من خلال هذا الحديث الذى يرويه أبو مسحل بنفسه — كيف افتتن بعلم الحضر ، وأوغل فى التحصيل واحتال له ، يقول : (كان اسماعيل بن صبيح قد أقدم أبا عبيدة من البصرة فى أيام الرشيد الى بغداد ، وأحضر الأثرم ، وكان وراقا فى ذلك الحين ، وجعله فى دار من دوره ، وأغلق عليه الباب ، ودفع اليه كتب أبى عبيدة وأمره بنسخها . فكنت أنا وجماعة من أصحابنا نصير الى الاثرم فيدفع الينا الكتاب من تحت الباب ويفرقه علينا أوراقا ، ويدفع الينا ورقا أبيض من عنده ، ويسألنا نسخه وتعجيله ، ويوافقنا على الوقت الذى نرده عليه فيه فكنا نفعل ذلك .) (3)

---

(1) انباه الرواة 2 : 265
(2) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 148
(3) معجم الادباء 5 : 78 ، انباه الرواة 2 : 320

وترك أبو مسحل كتابين : النوادر ، والغريب ، وقـد وصلنا الكتاب الأول ، حققه وعلق عليه الدكتور عزة حسن ، وقـد نسخت مخطوطته من نسخة بخط أبى عبد الله بن بلبل وكان على ظهرها :

(قرأت هذا الكتاب على الشيخ أبى عبد الله بن خالويـه ، وقال : قرأت نوادر أبى مسحل على أبى عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد قال : قرأته على أبى العباس ثعلب . وعـلى ظهـر النسخة بخط ابـن خالويه : صدق وبر أبو عبد الله محمد بن بلبل البغدادى أيده الله . قـرأ عـلىّ هذا الكتاب قراءة متقن للغة عارف بها ، وصححه وضبطه ، وكتب الحسين ابن خالويه بيده) .

والكتاب مروى بطريق ثلاثة من كبار اللغويين

- بعضه عن أبى العباس ثعلب وهو الجزء الاكبر .
- البعض عن أبى العباس اسحاق بن زيـاد بن الأعرابى أخو ابـن الأعرابى ، وهو الجزء الاقل .
- البعض عن أبى عبد الرحمن احمد بن سهل قرأها جميعا أبو عمر الزاهد على شيخه ثعلب .

العدبس الكناني

أشار اليه القاموس فى مادة ع د س ، وقال انه رجـل كنانى ، وفى العدبس : القصير الغليظ ، والعدبس من الابل وغيرها : الشديـد الموثق الخلق ، ... ومنه سمى العدبس الاعرابى . (1)

---

(1) اللسان ع د س 26 : 134 ط دار صادر

روى عنه الجاحظ قوله : « بـاضت البهمـى (نبت كالشعير) أى سقطت نصالها ، (النصل السنبلـة) وباض الصيف وباض القيظ : اشتد الحر وخرج كل ما فيه من ذلك (1) وقـال ـ : أى الجاحـظ ـ الوحرة دويبة كالعظاءة حمراء اذا اجتمعت تلصق بالأرض ، وجمع وحرة وحَر ـ مفتوحة الحاء (2) وذكره ابن النديم ».(3)

أبو العذافر الكندي

ذكره الأصمعى ضمن مـن قابلهم مـن الأعراب والشعراء وأبنـاء الشعراء ، وذكره المرزبانى فى باب من غلبت كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والاعراب المغمورين (4) وذكره الجاحظ مـع الأعراب الذيـن كانوا يتملحون بأن يدخلوا فى شعرهم شيئا من كلام الفارسية . (5)

أبو عرار

أعرابى من بنى عجل ، وكان شاعرا ـ صـار جنـاد واسحق بـن الجصاص الى أبى عرار فقال له جناد : اسمع شيئا قلته واعزه ، فقال : قل، فقال جناد :

فان كنت لا تدرين ما الموت فانظرى

الى دير هند كيف خطت مقابـره

---

(1) الحيوان 4 : 336

(2) الحيوان 6 : 383

(3) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا

(4) معجم الشعراء 514 ط مصر سنة 1354 هـ

(5) البيان والتبيين 1 : 142 ط لجنـة التأليف والترجمة والنشر بتحقيق عبد السلام هارون

وقال اسحق :

ترى عجبا مـــا قضى اللـــه فيهم
رهائن حتف أوجبتـــه مقـــادره

وقال أبو عـــرار :

بيوت ترى اقفالها فـــوق أهلهـــا
ومجمع زور لا يكلم زائره (1)

عرام بن الاصبغ السلمي

ذكره القفطي (2) ، وهو أحد الأعراب الذين استقدمهم عبد الله بن طاهر الى نيسابور (3) . وهناك نحوى يلقب بعرام ، واسمه أبـــو الفضل العباس بن محمد . وهو غير عرام بن الاصبغ السلمي الأعرابي . (4)

وكاد يذهب هذا الأعرابي في مجاهل النسيان شأنه شأن كثير مـــن الأعراب لولا أنه ترك كتابا في معالم الجزيرة وهو (كتـــاب أسماء جبـــال تهامه وسكانها وما فيها من القرى ، وما ينبت عليها من الاشجار ومـــا فيها من المياه) وتهامه — كما يرجح الأستاذ عبد السلام هارون ناشـــر الكتاب ومحققه مشتقة من التهم وهو تغير الريح وركودها وشدة الحر ، فالامتداد الساحلي من جنوب اليمن الى تخوم الشام هو الذي تصدق عليـــه هـــذه التسمية . الا أن تهامه التي يعنيها عرام هي جزء من تهامه الكبرى ، وهي تهامه الحجاز ، كما أن الحجاز له جزء كبير في كتاب عرام ، وتلحظ فـــي نهاية الكتاب كلمة (تم كتاب أسماء جبال مكة والمدينة وما يتصل بها)

---

(1) الفهرست 66 — 67 ط مصر
(2) انباه الرواة 4 : 116
(3) معجم الادباء 3 : 17
(4) الفهرست 86 ط ليبزج

ومنذ عثر على نسخة هذا الكتاب ــ الفريــدة ــ فــى دار الكتب السعيدية بحيدر آباد فى مجموعة برقم 355 حديث ، بدأ يتضح وجه هذا الأعرابى ــ عوام بن الاصبغ السلمى واتجاهه الجغرافى العميق ، ومعرفته الواسعة بجزيرة العرب ، ولقد أخذت أتساءل عن الكيفية التى حصل بهــا هذا الأعرابى علمه ، هل كان من عمله أن يجوب الأمــاكن التى ذكرهــا فأملاها حين وجد حاجة المجتمع المتطلع الى معرفة الجزيرة فأدلى دلوه ؟ ، ربمــا .

ولقد حظى كتاب عرام باهتمام كثير مــن العلماء ، فقــد استنسخه الشيخ سليمان الصنيع عن نسخة نقلها ابرهيم حمدى مديــر مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة عن نسخة الهند ، وكذلك فعل السيد محمد نصيف الذى كان يتملك نسخة نقلها الشيخ عبد الرحمن بن يحيى اليمانى عن الاصل الهندى . وحين ذهبت بعثة جامعــة الدول العربية الــى الهند لتصوير مخطوطاتها ، حمل الاستاذ رشاد عبد المطلب صورة من الكتاب .

ولقد نشر الكتاب لأول مرة الاستاذ عبد العزيــز الميمنى الراجكونى فى مجلة الكلية الشرقية التى تصدر فى مدينة لاهــور فــى الباكستان .. ونشرها الاستاذ عبد السلام هارون مرتين ، الاولى سنة 1372 هـ والثانية فى نطاق نوادر المخطوطات سنة 1375 هـ ــ 1956م وقد علق على النشرة الأولى للاستاذ هارون ــ الشيخ حمد الجاسر عضو المجمع العلمى العربى بدمشق فى مجلة المجمع بالمجلد ٢٨ العدد الثالث ص 396 ــ 402 بتاريخ شوال سنة 1372 هـ والعدد الرابع ص 592 ــ 599 بتاريخ المحــرم سنة 1373 هـ .

روى الكتاب أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافى عن أبى محمد عبيد الله بن عبد الرحمن السكرى قراءة عليه عن عبد الله بن عمرو بن عبد الرحمن الوراق المعروف بابن أبى سعد عن عبد الرحمن بن محمد بن عبــد

الملك أبو الأشعث قال : أملى عليّ عرام بن الاصبغ السلمى قال : (أسماء جبال تهامه وسكانها ، وما فيها من القرى ، وما ينبت عليها من الأشجار ، وما فيها من المياه)

اولها : (رضوى) من ينبع على يوم ، ومن المدينة على سبع مراحل ميامنة طريق المدينة ، ومياسرة طريق البرباء لمن كان مصعدا الى مكة ، وعلى ليلتين من البحر وبحذائها (عَزْوَزْ) ، وبينه وبين رضوى طريق المُعْرِقَة تختصره العرب الى الشام والى مكة والى المدينة بين الجبلين قدر شوط فرس ، وهما جبلان شاهقان منيعان لا يرومهما أحد نباتهما الشوحط والقرظ والرنف وهو شجر يشبه الضهياء . والضهياء شجر يشبه العناب تأكله الابل والغنم ، لا ثمر له ، وللضهياء ثمر يشبه العفص لا يؤكل ، وليس له طعم ولا ريح ... ...

وهكذا يأخذ عرام سبيله فى كتابه لا تقف همته عند ذكر الأماكن والجبال والمياه والقرى والنبات ، ولكنه أعرابى يذكر هذا ويبين أيضا غامض الألفاظ ويفسرها ويذكر ما قيل فيها من شعر ، فبعد أن ذكر رضوى وعزوز قال :

« وفى الجبلين جميعا مياه أوشال ـ والوشل : ماء يخرج من شاهقة لا يطورها أحد ـ أى لا يحوم حولها ولا يدنو منها ـ ولا يعرف منفجرها ، وليس شىء من تلك الاوشال يجاور الشقة ، وأنشد فى الرنف يصف جبلا :

مراتعه رنف فملقى سياله
مدافع أوشال يدب معينها

ويسكن ذراهما وأحوازهما نهد ، وجهينة فى الوبر خاصة دون المدر ، ولهم هناك يسار ظاهر . ويصب الجبلان فى وادى (غيقة) وغيقة : تصب

فى البحر ، ولها مسك ، وهى مواضع تمسك الماء ، واحدها مساك » .

وعرام دقيق التحديد والوصف لطبيعة الأماكن وطبيعة ساكنيها ، يقول (.... والصفراء قرية كثيرة النخل والمزارع ، وماؤها عيون كلها ، وهى فوق ينبع مما يلى المدينة وماؤها يجرى الى ينبع ، وهى لجهينة ، والأنصار ، ولبنى فهر ، ونهد ، ورضوى منها من ناحية مغيب الشمس ، وحواليها قنان ــ واحدها قنة ، وضعاضع صغار واحدها ضعضاع والقنان والضعاضع جبال صغار لا تسمى) . (1)

وقد يضطر الى تعريف الكلمة العربية القحة بأخرى ليست كذلك كأن يقول : (وفى كل جبال تهامة الشقّاح نَبَتَ فى حرودها وأسافلها ، والحرود : الجنوب . والحماط : التين . والشقّاح : الريباس) فالكلمة الاخيرة فارسية ، وينطق على الشقّاح ، والريباس وصف الكبر، ولم يكن الأعراب الخلص يعرفون غير العربية الأعرابية ، فهل اكتسب عرام هذه الفارسية لأنه عاش مع عبد الله بن طاهر فى نيسابور ، هذا فرض قريب .

العلاء بن بكر بن عبد رب بن مسحل . مكوزه . أبو الغمر

ذكره ابن النديم (2) وهو من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة (3) وجاء فى انباه الرواة (ابو الغمر) ولكن ابن النديم يعرف بأبى الغمر بأنه هارون بن محمد كاتب الحسن بن زيد وهو ليس من الأعراب ــ وهناك أبو الغمر الكلابى العقيلى يروى عنه ابن السكيت تحت اسم الكلابى ، فيفسر كلمة أمصل بمعنى أفسد قال : وأنشدنى الكلابى :

---

(1) نوادر المخطوطات 398 وضع عبد السلام هارون المجموعة الثامنة ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1375 هـ ــ 1955 م

(2) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط أوربا

(3) جمهرة انساب العرب لابن حزم ,283 بتحقيق عبد السلام هارون

لقـد أمصلت عفـراء مالى كلـه
وما سَسْت من شيء فربك ماحقه (1)

وعنه أيضا فسر المثل (هو فى أمر لا ينادى وليده) فقال : يقال فـى موضع الكثرة والسعة أى متى أهوى الوليد بيده الى شيء لم يزجر عنـه لئلا يفسده ، من كثرة الشيء عندهم • (2)

أو يسند اليه قوله : رجل قذرة أى يتنزه عن الملائم (3) وروى عنه فى الأطعمة فقال : البكيلة : الاقط المطحون تبكله المـاء فتثريه كأنك تريد أن تعجنه (4) أو يقول : الوجيئة : التمر يدق حتى يخرج نواه ، ثـم يبل بلبن أو سمن حتى يتدن ويلزم بعضه بعضا ويقـول ابـن السكيت : سمعت الكلابى يقول : الوزيمة من الضباب أن يطبخ لحمها ثـم ييبس ثـم يدق اذا يبس ثم يؤكل وهى من الجراد أيضا • (5)

وتحت اسم (العقيلى) يروى عنه فى الأطعمة أيضا فيقول : الثقيعة : المحض من اللبن يبرد (6) ، وتحت اسم (أبـو الغمر) يروى عنـه فـى الأطعمة أيضا فيقول : النجيرة : اللبن الحليب يجعل عليه سمن • (7)

وفهرس له الأستاذ العلامة عبد السلام هـارون فـى كتاب اصـلاح المنطق باسم : أبو الغمر العقيلى الكلابى ، وارجح انه هو مكوزة العلاء بن بكر بن عبد رب بن مسحل •

---

(1) اصلاح المنطق 310
(2) اصلاح المنطق 350
(3) اصلاح المنطق 475
(4) اصلاح المنطق 383
(5) اصلاح المنطق 385
(6) اصلاح المنطق 385
(7) اصلاح المنطق 381

علي بن مرثد أبو دعامة العبسي

هكذا ورد اسمه فى الفهرست على أنه مـن فصحاء الأعـراب ، وفى انباه الرواة على بن بريد . يصفه ابن النديم بأنه : علامة راوية ، أطال المقام بالحضر ، وانقطع الى البرامكة ، وقال : قرأت بخط اليوسفى : اسمه على ابن مرثد ــ بالراء ــ وله كتاب الشعر والشعراء . (1)

أبو علي اليمامي الرهمي

ذكره ابن النديم ، وقال : فى أيام القاسم الانبارى . (2)

عمرو بن كركرة أبو مالك

كان يعلم بالبادية ، ويورق فى الحضر ، وهو مولى بنى سعـد ، وراوية أبى البيداء الرياحى ، والذين ترجموا له قالوا « كان يحفـظ لغـة العرب ، وكان بصرى المذهب » وهذه عبارة لاتقال عن الأعراب ، فهل كان من موالى بنى سعد ، ونشأ فيهم ؟ وله عبارات ينقصها الاتـزان كمـا كان يفعل ضعفة الأعراب فمن ذلك قوله : ان الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء ، ويقول : ان فرعون عند الله اكرم مـن موسى صنف كتاب خلق الانسان ، وكتاب الخيل . (3)

ومع شهرته فى عالم الرواية ، فان أخباره قليلة نسبيا ، ولعل الأيـام تلقى عليه مزيدا من الضوء .

---

(1) الفهرست 1 ط مصر 47 ط اوربا وانباه الرواة 4 : 117

(2) الفهرست 71 ط مصر ، 47 ط اوربا

(3) الفهرست 66 ط مصر ، 44 ط اوربا ومعجم الادبـاء 16 : 131 انظر الشيرازيات

عمرو بن عامر أبو الخطاب البهدلي ،

كان راجزا ، وعنه أخذ الأصمعي وجعله حجة وروى شعره (1) ومن شعره :

أهــدى الينــا معمــر خروفــا
كــان زمانــا عنــده مكتوفــا
حتــى اذا مــا كــاد مستجيفــا
أهدى فأهدى قصبــا ملفوفــا

أبو عمر الهذلي

روى عنه ابو عبيدة فى مجاز القرآن •

عوسجة

استقدمه عبد الله بن طاهر ، وتأدب عليه أحمــد بن خالــد الضريــر البغدادى (2) ولم أجد وراء هذا الايجاز ما أضيفه الى (عوسجة) الا مــا ذكره ابن عبد ربه عن أعرابى اسمه صلتان بن عوسجة من بنى سعد بن دارم ويكنى بأبى الزهراء وهو من غير شك غير عوسجة الذى استقدمه عبد اللــه ابن طاهر ، فالصلتان هذا جاء وافدا الى الكوفة جافا جلفا وظل بها الى أن مات ، وهــو ان لم يكن مــن الــرواة اللغويــين الا أن سويــد بــن منجوف قــال فيــه : « ومــا رأيت أعرابيــا أعجب منــه ، كــان أكثر كلامه شعرا ، وأمثل أعرابى سمعته كلاما ، الا أنه ربما جــاء باللفظة بعــد الأخرى لا تفهمها » (3) ولا يبعد هذا عن منهج الاعراب الرواة •

غالب بن الحارث أبو حزام العكلي

كان يفد على أبى عبيد الله وزير المهدى ويمدحه ، فقال لــه يومــا :

---

(1) الفهرست 70 ط مصر (2) معجم الادباء 3 : 17
(3) العقد الفريد 3 : 491 ط لجنة التاليف والترجمة والنشر

اصنع لى قصيدة على (لؤلؤة) فوافاه من الغد فأنشده قصيدة طويلة عدد أبياتها خمسون وأولها فيما ذكر الأصمعى :

تذكــرت تـُكـْنـَـى واهلاسهـــا
فلم تنس والشوق ذو مَطـْرؤَه
سلامـا برخـص لـه بهجـة
وكـف" رقـون ٍ لهـا فحنؤه

ومنها يقــول :

وقــال الوزيــر ألا فانطقــوا
قريضــا عويصــا عــلى لؤلؤه
فعبــرت مرتفقــا وحيـــه
بغــير انصيــار الــى المتكـؤه

فجعل الوزير أبو عبيد الله يعجب من كثرة الألفــاظ المهموزة فيهــا ، فلما رأى أبو حزام ذلك صنع قصيدة أخرى تنيف عــلى عشرين بيتــا ليس فيها كلمة غير مهموزة الا ألفاظا يسيرة اضطر الى ذكرها ليلتئم لــه الشعر ، وأولهــا :

الزئىء مستهنئا فى البـَـدِ ىء
فيرمـــأ فيـــه ولا يبـــذؤه
لأهنـــأه اننـــى هـانـــىء
وأحصئـه بعــد مــا أهنؤه

وشرح ذلك التبريزى فقال :

تـُكـْنـَى : اسم امرأة يكنى عن اسمها ، والاهلاس ــ التبسم الخفــى ومَطـْرؤة ــ مَفـْعُلة من طرأ عليه الامر اذا جاءه من حيث لا يعلم ، ويعنى بالرخص بنانها ، والرقون والرقان ــ الحنــاء ، والــوحى ــ الاشــارة ،

والانصيار ــ الميل والانجذاب ، والمتكوءة ــ متفعلة من الاتكاء ، يقول لم أخلد الى راحة حتى امتثلت ما أمر بــه •

ومعنى "الرزىء ــ أنعم عيشة وأمكنه من كل ما يريد ، مــن قولهم : لزأت الابل : سرحتها فى المرعى • والمستهنىء ــ المستطعم ، يقال : هنــأت الرجل هنأ ، فأنا هانىء اذا أطعمته • وأحصأته بالماء احصــاء اذا أرويتــه • والبدىء : أول الامر • ويربأ : يقيم ، ويبذؤه ــ يشتمه • (1)

ويصف الخوارزمى شعره بأنه عويص لأنه أكثر فيه من الغريب ، فــلا يقف عليه الا العلماء ، ولهذا فسروا فى سقط الزند البيت الرابع عشر مــن القصيدة الرابعة والستين :

شجتك بظاهــر كقريــض ليلــى
وباطنهــا عويــص أبى حــزام

بقولهم : جاءتك هذه القصيدة ولها لطف الشعر الليلوى ، وباطنهــا كشعر أبى حزام العويص • (2)

وقال ابو حزام مشيرا الى مقدرته فى الشعر ، وانــه يأتى عويصــه لا يرده عنه صعوبة ولا يحتاج الى ضرورة من ضروراته كالسناد والاكفاء مهما كانت القافيــة :

بيوتــا نصبنــا لتقويمهــا
جــذول الربيئين فــى المربــأة
بيوتــا على الهــا ــ لها ســجحة
بغير السنــاد ولا المكفــأة (3)

---

(1) شروح سقط الزند 1466 ــ 1467 ط دار الكتب سنة 1948 لجنة احياء آثار ابى العلاء المعرى

(2) شروح سقط الزند 832

(3) البيان والتبيين 1 : 140 ط لجنة التاليف والترجمة والنشر

الربيئة : العين والطليعة ، والمربأة : المكان العالى الـذى تشرف منـه العين •

كانت اللغة تؤخذ عن أبى حزام ، وأدركه الكسائى ، واستشهد ببعض شعره (1) كما يروى عنـه أبـو عمرو الشيبانى فيقول : « نكفت من ذاك الأمر نكفا ، اذا استنكفت منه » • (2)

أبو فقعس لزاز

ذكره ابن النديم • (3)

أبو الفيض العجلي

احتج بشعره أبو فيد مؤرج فى كتاب الأمثال حين قال أن الدميـة . التمثال ، الزّون : الصنم ، وكـل يضرب بـه المثل فـى الحسن ، قال أبو الفيض

جـاءت بـه أحمـر مثل الزّون
مثـل سـوار الذهب المصـون
أشق مـن خيل أبى ميمون (4)

وذكره المرزبانى فى باب من غلبت عليه كنيته على اسمه من الشعراء المجهولين والأعراب المغمورين • (5)

---

(1) شروح سقط الزند 1468
(2) اصلاح المنطق 214 ط دار المعارف سنة 1949
(3) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا
(4) كتاب الآمال لابى فيد مؤرج ـ عمرو السدوس 65 ط الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر 1391 هـ 1971 م
(5) معجم الشعراء 514 ط القاهرة سنة 1354 هـ

أبو قرة الكلابي

ذكره ابن النديم . (1)

أبو السمال قعنب بن أبي قعنب العدوى القارىء

ذكره الزبيدى على أنه من الاعراب ، قال : وهو المقرىء الذى تروى عنه حروف فى القراءات ، وقد روى عنه أبو زيد حروفا . (2)

وأكثر علماء القراءات يضعون أبا السَّمَّال مع أصحاب القراءات الشاذة ، ولكنه وهو القارىء الاعرابى ، والذى أخذ عنه أبو زيد سعيد بن أوس الأنصارى الكثير من اختياره فى القراءات ، لا يتوجه اليه النقد بسهولة ، ومن ثم فلا بد من تقبل قراءته والنظر فى معناها على الوجه الذى تجيزه العربية ويجرى مع التعبير عن أغراض القرآن . فمن ذلك :

ـ قراءته (غير معجزى اللهَ) فى سورة التوبة بنصب الهاء ، عرض أبو الفتح عثمان بن جنى لقراءة ابن أبى اسحق ، وأبى عمرو (والمقيمى الصلاةَ) بالنصب وقال : (أراد المقيمين ، فحذف النون تخفيفا ، لا لتعاقبها الاضافة ، وشبه ذلك باللذَيْن ، والذين فى قوله :

فان الــذى حانت بفلج دماؤهم
هم القوم كل القوم يا أم خالد

حذف النون من الذين تخفيفا ... وعليه قول الأخطل :

أبنــى كليب ان عمــىّ اللـــذا
قتلا الملوك ، وفككــا الأغــلالا

حذف النون (اللذان) لما ذكرنا ، لكن الغريب من ذلك ما حكاه أبو زيد السمال او غيره أنه قرأ (غير معجزى اللهَ)بالنصب ، فهذا يكاد يكون

---

(1) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا

(2) تاج العروس فى شرح القاموس س م ل 7 : 381

لحنا لأنه ليست معه لام التعريف المشابهة للــذى ونحوه ، غــير أنــه شبه (معجزى) بالمعجزى ، وسوغ له ذلك علمه بأن هذه لا تتعرف باضافتها الى اسم الله تعالى كما لا يتعرف بها ما فيه الألف واللام وهو (المقيمى الصلاة). وأورد أبو الفتح نظائر لهذا من كلام الأعراب ، منه :

قول قيس بن الخطيم :

الحـافظـو عـورة العشيرة لا
يأتيهم مـن ورائهم نطـف (1)

وقول الآخر :

قتلنـا ناجيا بقتيـل عمـرو
وخير الطالبـى التـرة الغشوم

وقرأ بعض الأعراب : (انكم لذائقو العذاب الأليم) بالنصب

وقال ابو الفتح: أخبرنا أبو علىعن أبىبكر عن أبىالعباسقال:سمعت عمارة يقرأ (ولا الليل سابق النهارَ) « بفتح الراء » فقلت له مـا أردت ؟ فقال : أردت سابقٌ النهارَ ، فقلت له : فهلا قلته ؟ فقال : لـو قلته لكـان أوزن ، يريد : أقوى وأقيس • (2)

وأبو السّمّال كأعرابى ــ ربما غلبته فطرته على الرواية، فقد قرأ من سورة ابراهيم (بلِسْن قومه) وقال فيها أبـو الفتح : اللِّسْن ، واللسان كالريش والرياش ، فعل وفعال بمعنى واحد ، هذا اذا أردت باللسان اللغة والكلام فاذا أردت به العضو فلا يقال فيـه لِسْن ، انما ذلـك القول لا العضو »(3) ويبدو أنها أحسن فى الاختيار بعد شرح ابن‌جنى° وقرأ قعنب (فحاسوا) فقال أبو الفتح : قال أبـو زيـد وغيره : قلت لـه : انما هو

(1) البيت من شواهد سيبويه ، الكتاب 1 : 95
(2) المحتسب 2 : 80 ــ 81
(3) المحتسب 2 : 15

(فجاسوا) فقال : حاسوا ، وجاسوا واحد ، وهــذا يدل عــلى أن بعض القراءة يتخير بلا رواية • (1)

ومن قراءة أبي السمال التي تخيرها أبو زيد فيما رواه ابــن مجاهــد (والذين هادَوا) بفتح الدال ــ فقال أبو الفتح : انــه ينبغي أن يكــون فاعلوا من الهداية أي راموا أن يكونوا أهدى من غيرهم • (2)

ولا أدري سبباً لاختياره أضعف اللغتين في مثل قوله من سورة البقرة (فأن زلِلتم) فيقرؤها بكسر اللام ــ قال أبــو الفتح : هما لغتان زلِلت زلَلت ••• الا أن الفتح فيهما أعلى اللغتين • (3)

واستحسن ابن جني قراءة أبي السمال من سورة الرحمن (والسماءُ رفعها) برفع الأولى ، قال : (الرفع هنا أظهر من قراءة الجماعة وذلك أنــه صرفه الى الابتداء لأنه عطفه على الجملة الكبيرة التي هــي قولــه تعالــى (والنجم والشجر يسجدان) فكما أن هــذه الجملة مركبة من مبتدأ وخبر فكذلك قوله تعالى (والسماء رفعها) جملة من مبتدأ وخبر معطوفة علــى قوله تعالى (والنجم والشجر يسجدان) • (4)

وقرأ بعض المتقدمين (ونادوا يا مال ليقض علينا ربك) أي يا مالك ، وقرأ عبد الله ، وعلي ، وابن وثاب والأعمش (يا مال) بالترخيم ، وقرأ أبو السمال (يا مالُ) بضم اللام جعله اسما على حاله • (5)

أبو القمقام الفقعسي الأسدي

روى عنه الكسائي (6) واختار أبو تمام من شعر ابــي القمقام في

---

(1) المحتسب 2 : 15
(2) المحتسب 1 : 91
(3) المحتسب 1 : 122
(4) المحتسب 2 : 302
(5) البحر المحيط 8 : 28
(6) انباه الرواة 4 : 115

ديوان الحماسة :

اقرأ على الوشل السلام وقل لــه
كل المشارب مــذ هجرت ذميــم
سقيا لظلك بالعشىّ وبالضحى
ولبــرد مائــك والميــاه حميــم
لو كنت أملك منــع مائك لم يذق
ما فى قلاتك ما حييت لئيم (1)

ونسب اليه ابن قتيبة قوله :

أبلــغ أبــا مالك عنــى مغلغلــة
وفى العتاب حيــاة بين أقــوام
أدخلت قبلى قوم لــم يكن لهــم
من قبل أن يلجوا الأبواب قدامى
لو عــدّ بيت وبيت كنتُ أكرمهم
بيتا وأبعدهم من منزل الــذّام
فقد جعلت اذا مــا حاجتى نزلت
بباب دارك أدلوهــا بأقوام (2)

ونسب هذا الشعر فى البيان والتبيين لهمام الرقاشى فى ثلاث مناسبات مع اختلاف فى الرواية • (3)

---

(1) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى 1377 نشره احمد أمين ، وعبد السلام هارون ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1372 هـ — 1952 م
(2) عيون الاخبار 1 : 91 ط دار الكتب سنة 1343 هـ — 1925 م
(3) البيان والتبيين 2 : 316 ، 3 : 302 ، 4 : 85 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1369 هـ — 1950 م

أبو الكلس النمري

توجد ثلاثة اسماء متشابهة ، ذكر منها ابن النديم فى الفهرست أبـو الكلس مرة ، وأبو الكلس النمرى مرة أخرى (1) وجاء فى انباه الرواة : أبو الكبش الباهلى ، وأبو الكيش النميرى .

أبو مالك التميمي = النضر

أبو المجيب الربعي

واسمه فيما ذكره القفطى (مرثد بن محيا) (2) وذكره ابن النديم (3) ويبدو أن أكثر نشاطه كان فـى ارتيـاد الباديـة ووصف الارض ، عرف به ثعلب فقال : « وكان أعرابيا من بنى ربيعة بن مالك بن زيـد مناة بـن تميم (4) وروى عنه قوله :

(لقد رأيتنا فى أرض عجفاء ، وزمان أعجف ، وشجر أعشم « يابس» فى قف غليظ ، وجادة مدرعة غبراء (الجادة = الطريق الى الماء ، ومدرعة أى اكل ما حولها » فبينا نحن كذلك اذ أنشأ الله من السماء غيثا مستكفـا نشؤه « المستكف = المستدير » مسبلة عزاليه « العزالى = مصبات الماء من الروايا » ضخاما قطره ، جودا صوبه ، زاكيا ، أنزله الله فنعش به أموالنا ، ووصل به طرقنا ، وأصابنا وانا لبنوطة بعيدة الأرجاء « النوطة = الأرض يكثر بها الطلح » فاهرمع مطرها « أى اشتد » حتى رأيتنا ومـا غبر السماء والماء وصهوات الطلح « بلغ أعالى الشجر » فضرب السيل النجاف « النجاف = مكان لا يعلوه الماء » وملأ الأودية فزعبها ، فما لبثنا الا عشرا حتى رأيتها روضة تنـدى) . (5)

---

(1) الفهرست ، طبعة فلوجل ، انظر تحقيق رضا ـ تجدد ص 53
(2) انباه الرواة 4 : 114
(3) الفهرست 70 ط مصر ، 46 ط اوربا
(4) مجالس ثعلب 356 ط دار المعارف
(5) المصدر السابق

ومن هذا الوجه ، يقول أبو المجيب : وصف رائد أرضا جدبة فقال :

(اغبرت جادتها ، ودرع مرتعها ، وقضم شجرها ، ورقت كرشها ، وخور عظمها ، والتقى سرحاها ، وتميز أهلها ، ودخل قلوبهم الوهل وأموالهم الهزل) • (1)

وقال أبو المجيب : قيل لأوفى بن عبيد : ايت وادى كذا فارتده لنا فقال : (وجدت به خشبا هرمى ، وعشبا شرمى) قال : والهرمى الذى ليس له دخان اذا أوقد من يبسه وقدمه ، والشرم : العشب الضخم ، يقال : هذا عشب شرم • وقال : اذا أجدب الرائد قال : أرضا أرمى ، وأرضا عشمى • (2)

وقال أبو المجيب : (اذا أصاب المطر العرفج ، فأول تأثير المطر فيه أن يمأد عوده) « وهو انتفاخه واسمئداده » (ثم ينفطر) « وتفطره أن ينفذ النبت منه » (ثم يخضب) « وخضوبه أن يخرج ورقه ثم ينتشر » (ثم يدبى) « وادباؤه أن ينشق نبته ويتآزر » (ثم يهدر) « وهدره أن يتّامّ بقله قبل أن يثمر » (ثم اثماره ثم مصوحه) « وهو ذهاب بلله » ثم يقال : (عقب يعقب أشد العقب) وهو أن يميل ويدق عوده ويصغر ثمره ثم ليس بعد ذلك الا يبسه • (3)

وحكى عنه الجاحظ ، ويرجح الاستاذ عبد السلام هارون أن الجاحظ نفسه كان طرفا فى الحديث قال :

---

(1) البيان والتبيين 2 : 153

(2) البيان والتبيين 2 : 159

(3) مجالس ثعلب 353

حكى ابو المجيب ما أصابه من أهله ، ثم قال : وقد رأيت رؤيا عبرتها ، رأيت كأنى طردت أرنبا فانجحرت ، فحفرت عنها حتى استخرجتها ، فرجوت أن يكون ذلك ولدا أرزقه ، وأنه كانت لى ابنة عم هاهنا فأردت أن أتزوجها ، فما ترى ؟ قلت : تزوجها على بركة الله تعالى ، ففعل . ثم استأذننى أن يقيم عندنا أياما فأقام حتى أتانى ، فقلت : لا تخبرنى بشىء حتى أنشدك ، ثم أنشدته هذه الأبيات :

يا ليت شعرى عن أبى مجيب
اذا بات فى مجاسد وطيب
معانقا للرشأ الربيب
أأقحم المحفار فى القليب
أم كان رخوا يابس القضيب

قال : بل كان رخوا يابس القضيب ، والله لكأنك كنت معنا ومشاهدنا . (1)

ويقول مشيرا الى قدر الانسان فى الخطابة : (ما تزال تحفظ أخاك حتى يأخذ القناة ، فعند ذلك يفضحك أو يحمدك) (2) أى اذا قام يخطب.

وعن أعرابى ، قال أبو المجيب : (جنبك الله الأمرّين ، وكفاك شر الأجوفين) والاجوفان : البطن والفرج ، والأمرّان : الجوع والعرى. (3)

وأبو المجيب صورة متطورة للأعراب الرواة ، فهو لا يكفى أن يقول كما يفعل الأعراب الذين فطروا على اللغة فتحدثوا على قدر هذه الفطرة ، ولكنه يروى لنفسه ، وعن آخرين من الأعراب .

---

(1) الحيوان 6 : 471
(2) البيان والتبيين 1 : 373 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
(3) البيان والتبيين 3 : 272

أبو محمد الأسود الاعرابي

هل هو أعرابي اسما وصفة ؟ ترجم له ابن الأنباري فقال : كان أديبا بارعا في معرفة أنساب العرب ، ومعرفة أسماء شعابهم ، وكان كثيرا ما يروى عن أبي محمد بن أحمد ، ولم يكن بالمشهور ، وكان ابن الهبارية الشاعر يعيب أبا محمد بذلك ، وصنف أبو محمد تصانيف لا بأس بها ، منها : نزهة الأديب وفرحة الاديب ، وقيد الاوابد ، الى غير ذلك .

ويحكى أنه كان يتعاطى تسويد لونه ، فكان يدهن بالزيت ، ويقعد في الشمس يتشبه بالأعراب ليتحقق تلقيبه بالأعرابي . (1)

أبو محمد الأعرابي العامري

وهذا رجل آخر بعيد عن البادية، وعن العراق، وعن نيسابور حيث وجدنا الأعراب في صحبة عبد الله بن طاهر، ولا يبعد — مع كل هذا — أن يكون من الأعراب . ذكره الزبيدي ، وقال : شكر أبو محمد الأعرابي العامري ابرهيمَ بن حجاج على شيء اصطنعه اليه، فقال له: تالله ما سيّدتك العرب الا بحقك ، فقال أبو الكوثر الخولاني وكان حاضرا : يا أبا محمد : العلماء عندنا بالعربية يقولون : « سوّدتك » فقال : السواد : السخام ، يخطئون ويصحفون ، فانتهره ابرهيم وقال : تتسور على الأعراب في لغاتهم ، فكتب أبو الكوثر الى يزيد بن طلحة — وكان استاذا في العربية واللغة — بالخبر ، فأجابه : المعروف سوّدتك بالواو ، ولعل ما ذكره أبو محمد لغة لبني عامر ، فلما وردت السحاءة على أبي الكوثر قال : يا أبا محمد ، أنكر الأستاذ ما ذكرت ، وحكى له قوله فصاح الأعرابي وهاج ، وبعث ابرهيم في يزيد فلما حضر خرج عليه فقال له : أتتسور على الرجل في كلامه ؟ فقال له ابن طلحة : ان العلم ليس من جهة المغالبة ، ولكن من

---

(1) نزهة الالبا 437

جهة الانصاف والحقيقة ، فليجبني ابو محمد عما أسأله عنه ، فقال لـه . سـل .

فقال يزيد : كيف تقول العرب ساد يسود ، أو ساد يسيد ؟

قال الأعرابى : سـاد يسود .

فقال يزيد : هذه الواو معنا فى الفعل فكيف تقول العرب السودد أو السيدد ؟

فقال : السودد .

فقال يزيد : هذه الواو ثابتة فى الاسم ــ ثم قال : أى منزلة عندكم عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الفصاحـة ؟

فقال الاعرابى : فوق كل منزلة .

قال يزيد : فقد ثبت عندنا أنه قال (تفقهوا قبل أن تسودوا) وهـذا حديث لم يطعن فيه أحد من علماء اللغة كما صنعوا فى سائر الأحاديث التى وقع فيها الغلط فلج الاعرابى وقال : يا أهـل الأمصـار ، مـاذا صنعتم بالكلام ؟ (1)

ومن خصوماته مع الرواة العلماء بالأندلس مـا يشير اليه محمد بن قاسم عن والده أبى عمرو قاسم بن محمد بن حجاج بـن حبيب بـن عمير قال : حدثنى أبى قال : كنت كثير المنازعة لأبى محمـد الاعرابى العامرى أيام وروده الينا ، وكان قليل الالتفات لأهل العلم بالعربيـة ، مظهرا للغنى عنهم : فقال لى يوما : يا أبا عمرو : تقول للمرأة أنت تؤدين كذا ، فكيف تقول للنسوة فقد اختلط علىّ ذلـك بسبب دخولى أمصاركم ومخالطتى لكم ، فقلت فى نفسى : الحمد لله الذى أحوجه الىّ ، ثم قلت : يـا أبـا محمد : فى ذلك لغات للعرب ، تقول للنسوة : أنتن تَوْدَدْنَ ، وتادَدْنَ ، وتيدَدْنَ ، وتيددن ، كل ذلك تقوله العرب . (2)

---

(1) طبقات النحويين واللغويين 296

(2) طبقات النحويين واللغويين 312

محمد بن عبد الملك الفقعسي الاسدى

راوية بنى أسد وصاحب مآثرها وأخبارها ، وكان شاعرا أدرك المنصور ، ومن بعده ، وعنه أخذ العلماء مآثر بنى أسد ، ومن شعره من أبيات يمدح الفضل بن الربيع :

الناس مختلفون فى أحوالهم
وابن الربيع على طريق واحد

وله كتاب مآثر بنى أسد وأشعارها . (1)

وذكره ياقوت ، وقال : ورد محمد بن عبد الملك الفقعسى الى بغداد ، فحن الى وطنه ، وذكر أحدا وغيره من نواحى المدينة فقال :

نفى النوم عنى فالفؤاد كئيب
نوائب همّ ما تزال تنوب
وأحراض أمراض ببغداد جمعت
علىّ ، وأنهار لهن قسيب (2)
وظلت دموع العين تمرى غروبها
من الماء درءات لهن شعوب
وما جزع من خشية الموت أخضلت
دموعى ولكن الغريب غريب
ألا ليت شعرى هل ابيتن ليلة
بسلع ولم تغلق علىّ دروب
وهل أحُد بادٍ لنا وكأنه
حصان أمام المقربات جنيب

---

(1) الفهرست 73 ط مصر ، 49 ط اوربا
(2) القسب والقسيب = الطويل الشديد ، والقسيب : صوت الماء تحت ورق او قماش

يخب السراب الضحل بينى وبينه
فيبدو لعينى تارة ويغيب
فان شفائى نظرة ان نظرتها
الى اُحُدٍ والحرتان قريب
وانى لأرعى النجم حتى كأننى
على كل نجم فى السماء رقيب
وأشتاق للبرق اليمانى ان بدا
وأزداد شوقا أن تهب جنوب (1)

وبالرغم من ان بنى أسد فى عداد القبائل الفصيحة (2) فان القفعسى متهم بسبب تعلقه برجال الكوفة وشهادته مع الكسائى •

أبو محلم الشيبانى

ذكره ابن النديم ، فقال : اسمه محمد بن سعد ، ويقال : محمد بن هشام بن عوف السعدى ، وكان محمد وأحمد • أعرابى ، أعلم الناس بالشعر واللغة ، وكان يغلظ طبعه ، ويفخم كلامه ، ويعرب منطقه ، ويقول: قرأت بخط ابن السكيت : اصل أبى **محلم** من الفرس ، ومولده بفارس ، وانما انتسب الى بنى سعد ••• قال مؤرج : كان أبو **محلم** أحفظ الناس • استعار منى جزءا ورده من الغد ، وقد حفظه فى ليلة وكان مقداره نحو خمسين ورقة ، وقال أبو **محلم** : ولدت فى السنة التى حج فيها المنصور ،

---

(1) معجم البلدان 1 : 134 « أحد »

(2) قال عمر بن عبد العزيز : ما كلمنى رجل من بنى اسد الا نمنيت ان يمد له فى حجته حتى يكثر كلامه فأسمعه . البيان والتبيين 1 : 185 ط السندوبى

وتوفى سنة ثمان وأربعين ومائتين ، وله كتاب الأنواء ، وكتاب الخيل ، وكتاب خلق الانسان . (1)

وكانت له صحبة مع عبد الله بن طاهر فى خراسان ، ويروى ياقوت خبرا يقول فيه ابو محلم :

(كانت لى وفادة على عبد الله بن طاهر الى خراسان ، فصادفته يريد المسير الى الحج ، فعادلته فى العمارية من مرو الى الرى ، فلما قاربنا الرى سمع عبد الله بن طاهر ورشانا فى بعض الأغصان يصيح .... فأنشد عبد الله بن طاهر متمثلا بقول أبى كبير الهذلى :

الا يا حمام الأيك الفك حاضر
وغصنك ميّاد ففيم تنوح
أفق لا تنح من غير شيء فاننى
بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب
فها أنا أبكى والفؤاد جريح

ثم قال : يا عوف ، أجز هذا .... فقلت فى الحال :

أفى كل عام غربة ونزوح
أما للنوى من ونية فنريح
لقد طلّح البين المشتّ ركائبى
فهل أرَيَنّ البين وهو طليح
وأرقنى بالرى نوح حمامة
فنحت، وذو الشجو القديم ينوح

---

(1) الفهرست 69 ط مصر ، 46 ط أوربا

على أنها ناحت ولم تذر دمعــة
ونحتُ، وأسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهمــا
ومن دون أفراخى مَهامِهُ فيح
عسى جود عبد الله أن يعكس النوى
فتضحى عصا الأسفار وهى طريح
فان الغنى يدنى الفتى من صديقه
وعــدم الغنى بالمقترين نــزوح

فأخرج رأسه من العمارية وقال : يا سائق ، ألق زمام البعير ، فألقاه ، فوقف ، ووقف الخارج ، ثم دعا بصاحب بيت ماله فقال : كم يضم ملكنــا فى هذا الوقت : ؟

فقال : ستين ألف دينار •

فقال : ادفعها الى عوف ، ثم قال : يــا عوف : لقــد ألقيت عصــا تطوافك ، فارجع من حيث جئت •

قال : فأقبل خاصة عبد الله عليــه يلومونه ويقولون : أتجيز أيهــا الأمير شاعرا فى مثل هذا الموضع المنقطع بستين ألف دينــار ولــم تملك ســواها ؟

قال : اليكم عنى ، فانى قد استحييت مــن الكرم أن يسير بى جملى وعوف يقول : عسى جود عبد الله وفى ملكى شىء لا ينفرد به ، ورجــع عوف الى وطنه فسئل عن حاله فقال : رجعت من عند عبــد الله بالغنــى والراحة من النوى • (1)

---

(1) معجم البلدان 4 : 359 — 360 طبعة السعادة سنــة 1324 هـ — 1906 م

أبو المخش

أشار اليه ابن عبد ربه، وقال انه من الاعراب وقال : قيل لأبى المخش الأعرابى أيسرك أنك خليفة ، وأن أمتك حـرة ؟

قال : لا والله مـا يسرنى .

قيل له : ولـم ؟

قال : لأنها كانت تذهب الامة ، وتضيع الأمّة . (1)

وسأل جعفر بن سليمان أبا المخش عن ابنه المخش ، وكان جزع عليه جزعا شديدا فقال : صف لى المخش . فقال : كان أشدق خرطمانيا ، سائلا لعابه ، كأنه ينظر من قلتين ، وكأن ترقوته بوان أو خالفة ، وكأن منكبيـه كركرة جمل ثقال ، فقأ الله عينىّ ان كنت رأيت قبله أو بعده مثله . (2)

أبو مرة الكلابى

ذكره ابن السكيت فى اصلاح المنطق ، وروى عنـه أبو زيـد فقال « سمعت أبا مرة الكلابى ، وأعرابيا من بنى عقيل يقولان (فكاك الرقبـة والرهن جميعا ، وقال غيرهما فِكاك) » (3) بكسر الفاء .

وقال أبو زيـد فى النوادر « قال أبو مـرة الكلابى ، وأبو خـيرة العدوى : قد غمى على الرجل فهو مغمىّ عليه » . (4)

مسعدة

قال المرزبانى : أبو الجليد الفزارى المنظورى الذى اسمه مسعدة ،

---

(1) العقد الفريد 3 : 479
(2) البيان والتبيين 1 : 121
(3) اصلاح المنطق 118
(4) نوادر أبى زيد 132

وكان أبو الجليد أعرابيا بدويا علامة ، وكان الضحاك بن عثمان يروى عنه ـ وأبو الجليد هو القائل ورأى جارية سوداء غليظة الجسم :

ان لـم يصبنى أجلـى فاخترم
أشتر من مالى صناعـا كالصنـم
عريضة المعطس خشناء القـدم
تكـون أم ولـد وتختـدم
اذا ابنها جـاء بشـر لـم يلـم
يقتل الناس ولا يوفى الذمم (1)

أبو مسلم العاصى

ذكره ابن النديم ، والقفطى ، وروى عنـه أبو عمرو الشيبانى فـى نوادره ٠ (2)

أبو مسهر

وفى انباه الرواة (أبو مشقر) (3) روى عنه أبو عطية حرد بن قطن الشكنى ، وذكره الجاحظ فيمن دافع عن البرص بقوله :

أيشتمنى زيد بأن كنت أبرصـا
فكل كريم لا أبا لك أبرص (4)

---

(1) معجم الادباء 12 : 79 ، الوافـى بالوفيـات ه : 339 ، معجم الشعراء 410 — 411
(2) الفهرست 71 ط مصر ، انباه الرواة 4 : 166
(3) نفس المصدر 4 : 117
(4) الحيوان 5 : 166 عيون الاخبار 4 : 64

أبو المضرحى

له كتاب النوادر ، يقول ابن النديم « رأيته بخط ابن أبى سعد ؛ وفى انباه الرواة : له كتاب النوادر ، كتبه محمد بن يوسف بن أبى سعيد السيرافى » • (1)

أبو المطوق

من الأعراب الذين كانوا يحكمون بالأهواء ، اختلف الكسائى واليزيدى فى حضرة المهدى ، فقال المهدى : قد اختلفتما ، وأنتما عالمان فمن يفصل بينكما قال اليزيدى : فصحاء العرب المطبوعون ، فبعث الى أبى المطوق • قال اليزيدى : فعملت أبياتا الى أن يجىء ، وكان المهدى يميل الى أخواله من اليمن فقلت :

يا أيها السائلى لأخبره
عما بصنعاء من ذوى الحسب
حمير ساداتها تقر لها
بالفضل طرا جحاجح العرب
فان من خيرهم وأفضلهم
أو خيرهم بتة أبو كرب

فلما جاء أبو المطوق أنشدته الأبيات وسألته عن المسألة فوافقنى (2)

أبو المفضل العنبري

صورة أعرابية ، لا يعرف اصطلاحات الحضر ، قال يوما لعلى بن بشير : انى التقطت كتابا من الطريق ، فأنبئت أن فيه شعرا أفتريده حتى

(1) الفهرست 53 طبعة رضا ــ تجدد ، انباه الرواة 4 : 117
(2) امالى الزجاجى 41 ط السعادة سنة 1324 هـ

آتيك به ؟ قال : نعم ان كان مقيدا • قال : والله ما أدرى أمقيد هو أم مغلول • (1)

المنتجع

من بنى نبهان من طىء ،

روى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى فى مجاز قوله تعالى (يغاثوا بماء كالمهل) قال : كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص ونحو ذلك فهو مهل ، قال : وسمعت المنتجع بن نبهان يقول : والله لفلان أبغض الىّ من الطلياء والمهل • فقلنا : وما هما ؟ فقال : الجربـاء والملّة التى تنحدر عن جوانب الخبزة اذا ملت فى النار كأنه مهلة حمراء مدققة فهى جمرة (2) كما روى عنه أبو عبيدة أيضا فى كتاب النقائض عن سبب هجاء جرير لثغور • (3)

وروى عنه الأصمعى فقال : حدثنا منتجع قال : اذا قيل حاجة مهمة فيراد أنها أخذت بالهم ، ومحمة أخذت بحديث النفس ، وأنشد الأصمعى لجرير :

لا تخبريننى وحديث نفسى
أحاديث بذكرك واحتمام (4)

وقال : سألت المنتجع عن السميدع فقال : هو السيد الموطأ الأكناف • (5)

---

(1) البيان والتبيين 2 : 221 ط لجنة التاليف والترجمة والنشر
(2) مجاز القرآن لابى عبيدة 1 : 400 حققه محمد فؤاد سزكين ط الخانجى 1374 هـ — 1954 م
(3) النقائض لابى عبيدة 487
(4) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 189
(5) المصدر السابق 175

وقال الأصمعي : أنشدني منتجع بن نبهان لرجل من بني الصيداء :

دعت فوق أفنان من الأيك موهنا
مطوقة ورقاء في اثر آلف
فهاجت عقابيل الهوى اذ ترنمت
وشبت ضرام الشوق تحت الشراسف
بكت بجفون دمعها غير ذارف
وأغرت جفوني بالدموع الذوارف (1)

وروى عنه أبو زيد سعيد بن أوس قوله : غمامة باسقة أي بيضاء عالية وبواسق السحاب أعاليه . (2)

ومما رواه المنتجع ، واعتبره أحمد بن فارس من النوادر قوله : كل من طلب الشر ليلا من سرق أو زنى فهو عاهر . (3)

والمنتجع يسمى الخمر « أم حنين » (4) جاء ذلك في جمهرة الأمثال منسوبا اليه وذكره الجاحظ فقال : كان ناقدا عالما بالأنساب ، ويقال : « كان المنتجع بن نبهان وقع الى البادية وهو صبي فخرج أفصح من رؤبة (5) وهذا كلام غريب ، ومما هو أغرب أن يروى عنه ابن السكيت

---

(1) الامالي لابي علي القالي 1 : 132 ط دار الكتب
(2) مقاييس اللغة لاحمد بن فارس 1 : 247
(3) مقاييس اللغة 4 : 171
(4) جمهرة الامثال لابي هلال العسكري 1 : 45 ط مصر 1384 هـ — 1964 م بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، وعبد المجيد قطامش
(5) تاريخ آداب العرب للرافعي 1 : 354 ط الاخبار 1329 هـ — 1911 م

ويقول : سمعت منتجعا !! الكلابى ، وأبا مهدى يقولان : الضمد : الغابر من الحق ، يقال لنا عند بنى فلان ضمد أى غابر من حـق مـن معقلة أو دين (1) وابن السكيت متأخر عن منتجع •

أبو منيع الكيلبى

روى عنه أبو عبيدة (2) ، ورحل الى شمال أفريقية وروى عنه أبو الوليد عبد الملك بن قطن المهرى • (3)

أبو مهديه

أشار اليه ابن النديم، وقال بأنه صاحب غريب يروى عنه البصريون (4) ولكن كتب الطبقات وكتب اللغـة ذكرت مـن أمره الكثير الذى يأتلف أحيانا ، ويختلف أحيانا فهو أبو مهدية كما يقول ابن النديم فى الفهرست، وابن عبد ربه فى العقد (5) والجاحظ فى كتاب الحيوان (6) وهـو أبو مهدى كما يقول الزبيدى وكما يقول ابـن السكيت فـى صفحات ١٤٣ ، 170 ، 225 ، 387 ، 393 ، 430 من كتاب اصلاح المنطق وكما يقول ابن فارس فى صفحات 313 ، 327 من الجزء الأول ، 114 ، 340 من الجـزء الرابع من مقاييس اللغـة •

وهو بصرى ، وهو كوفى ـ هو بصرى فى أكثر المراجـع منها مـا

---

(1) اصلاح المنطق 201
(2) النقائض 30 ـ 31 ط بريل سنة 1907 م
(3) انظر طبقات الزبيدى 251 ، انباه الرواة 2 : 355
(4) الفهرست ط مصر 69 ، 46 ط اوربا
(5) العقد الفريد 3 : 488 ط لجنة التاليف والترجمة والنشر
(6) الحيوان للجاحظ 5 : 309 بتحقيق عبد السلام هارون

رأيتَ في الفهرست ، وفي خبر تناوله كتب اللغة حول قولهم (ليس الطيب الا المسك) كان أبو مهدية طرفا في هذه القضية يمثل لهجة الحجازيين ، وينصب خبر (ليس) ودارت هذه المسألة وتمت المناقشة فيها في مجلس أبي عمرو بن العلاء • (1)

وروى عنه أبو عبيدة ووصفه بأنه كان يعلق صوفا وقذرا فيقول له ما تريد الى تعليق هذا عليك ؟ فيقول : أنجاس حتى يتنجس مني الموت فلا يقدر عليّ ! (2)

ويصفه محمد بن سلام الجمحي بالوسوسة فيقول : « كان أبو المهدي هذا من باهلة يضرب حنكه يمينا وشمالا ويقول : اخسأنان عني ، فسألناه عن ذلك فقال : جنان تدأمني ــ يعني تركبني » (3) ويؤكد هذه الحالة التي تقرب من الجنون ما يحكيه الأصمعي بعد أن أكد أنه صاحب غريب يروي عنه البصريون فقال :

(هاجت به مرة فكنا نسقيه كل يوم قارورة خل ، فجاء خلف الأحمر يوما مع فتيان من قريش عليهم ثياب جياد فقال : هات خلك يا أحمر ، فشربه ، ثم أمسك في فيه آخر القارورة فمجه فملأ ثيابهم) • (4)

وله من الكلام العجيب ، والآراء العجيبة ما يستوقف القارىء والرغبة في استكناه أمره ، هل خفة تعتريه أم ماذا ؟ ، يروي أبو عثمان

---

(1) انظر الخبر بتمامه في امالي القالي 3 : 39 وانظر الحيوان 5 : 309
(2) طبقات النحويين واللغويين 175
(3) طبقات النحويين واللغويين 39
(4) المعارف لابن قتيبة 38 المطبعة الاسلامية سنة 1934 م

المازنى قال : قال أبو مهدية بلغنى أن الأعراب والأعزاب هجاؤهما واحد ، قلت : نعم ، قال : فاقرأ الاعزاب أشد كفرا ونفاقا ، ولا تقرأ الاعراب ، ولا يغرك العزب وان صام وصلى • (1)

ويقال : لما أسن أبو مهدية ولى جانبا من اليمامة ، وكان به قوم مـن اليهود أهل عطاء وجدة ، فأرسل اليهم فقال : ما عندكم فى المسيح ؟

قالوا : قتلناه وصلبنـاه •

قال : فهل غرمتم ديته ؟

قالوا : لا •

قال : اذا والله لا تبرحوا حتى تغرموا ديتـه •

ونظر أبو مهدية الى رجل يستجنى ويكثر من الماء فقال له : الى كـم تغسلها ويحك أتريد أن تشرب فيها سويقا ؟ (2)

وروى أبو سعيد الأصمعى لأبى مهدية يصف حيـة :

قـد كـاد يقتلنى أصم مرقش
مـن جب كلثم ، والخطوب كثير
حتى أصـد اللـه عنى رأسـه
واللـه بالمـرء المضـاف بصير
خلقت لهازمـه عزين ورأسـه
كالقرص فلطح مـن طحين شعير
وكأن شـدقيه اذا مـا أقبـلا
شـدقا عجوز مضمضت لطهور

---

(1) العقد 3 : 488 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
(2) العقد 3 : 489

ويديــر عينــا للوقــاع كأنهــا
سمراء طاحت من نفيض برير (1)

يقول انه لقى حية أصم أى لا تقبل الرقــى ولا التعاويذ ، رأسهــا مفلطحة كأنها من العجين ، واتسعت أصول حنكهــا فكانت فــى قبحهــا كالعجوز حين تتمضمض ، وعيناها كتمر الأراك الذى سقط على الأرض ، فنجاه الله منها .

ويذكره ابن السكيت وينسب اليه فى باب « ما يتكلم فيه بالجحد » قوله : (يقال ما فيه هزبليلة اذا لم يكن فيه شىء) ونسب ذلــك الــى أم الحمارس الكلبية وأبى مهدى (2) وفى باب مــا يهمز مما تركت العامــة همزه يقول ابن السكيت :

« وتقول : ما أشأم فلان على نفسه ، والعامة تقول : ما أيشمه ، وقد شأم فلان قومه يشأمهم اذا كان عليهم مشؤوما . وقــد شئم عليهم ، وهم قوم مشائيم ، وأنشد أبو مهدى :

مشائيــم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا بشؤم غرابهــا (3)

وفى ألوان الاطعمة يقول ابن السكيت :

« وقال أبو صاعد الكلابى : الحليجة : عصارة نحى أو لبن أنقع فيه تمر ، وقال أبو مهدى وغنية : هى السمن على المحض . (4)

---

(1) الاصمعيات للاصمعى : الاصمعية 35 ط دار المعارف بتحقيــق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون

(2) اصلاح المنطق 430

(3) اصلاح المنطق 170

(4) اصلاح المنطق 387

وقال : « قال أبو مهدى : الخضيمة أن تؤخذ الحنطة فتنقى وتطيب ثم تجعل فى القدر ، ويصب عليها ماء فتطبخ حتى تنضج » • (1)

وأسند أبو على القالى لأبى مهدى قوله :

« تأوبك الله بالعافية وقرة العين» واذا وعدك الرجل عدة قلت: «عهد ولا برح » أى ليكن ذالك • وقال « ثوبها الله الجنة » أى جعلها ثوابها •

وعن أبى مهدى: وعدت امرأة بعض الأعراب شيئا فقال لهـا « سبع الله خطاك » ويقال « نشر الله حَجرتك » أى كثر الله مـالك وولدك ــ والحجرة بفتح الحاء ها هنا الناحية • (2)

ولكن الغريب فى أبى مهدى ، وصاحبه منتجع اللذيـن رأيناهما فى البصرة ، يحتكم اليهما فى زمن أبى عمرو بـن العلاء الـذى توفى سنـة ١٤٥ هـ ــ أن نراهما هنـا أحياء يقول عنهما ابـن السكيت المولود سنة ١٨٦ هـ :

« وسمعت منتجعا الكلابى ، وأبا مهدى يقولان : الضَّمد : الغابر من الحق يقال لنا عند بنى فلان ضَمد أى غابر مـن حق مـن معقلة أو دين » • (3)

الا أن يكونا أعرابيين آخرين شاءت المصادفة أن يكونا سميين لرجلى البصرة ، وهذا فرض بعيد •

---

(1) اصلاح المنطق 393
(2) الامالـى 3 : 62
(3) اصلاح المنطق 225

ناهض بن ثومة بن نصيح بن نهيك

من بني عامر بن صعصعة ، متأخر قليلا ، كان يأتـى البصرة فيكتب عنه شعره ، وتؤخذ عنه اللغة ، روى عنه العباس بن الفرج الرياشى • وقع فى هجاء مع نافع بـن أشعر الحارثى فظهر ناهض علـى صاحبه بقصيدة طويلة يقول فيها :

ألا يـا اسلما يـا أيهـا الطللان
وهـل سالم باق علـى الحدثان

وهى قصيدة طويلة فخر فيها بالقسية ، وقال فى آخرها :

أبى قيس عيلان وعمـى خندف
ذوا البذخ عند الفخر والخطران
اذا ما تجمعنا وسارت حذاءنـا
ربيعة لـم يعدل بنا أخـوان
أليس نبـى اللـه منـا محمد
وحمزة ، والعباس ، والعمران
ومنا ابن عباس ومنا ابـن عمه
علـى امـام الحق والحسنـان
وعثمان والصديق منـا واننـا
لنعلـم أن الـحق ما يعـدان
ومنا بنو العباس فضلا فمن لكم
هلمـوه أو لا ينطقـن يمـان

وأنشد ناهض هذه القصيدة أيوب بن سليمان بـن علـى بالبصرة ، وعنده خال له من الأنصار فلما ختمها بهذا البيت قال الأنصارى : أخرسنا أخرسه الله •

ويدللون علـى بداوة ناهض بدهشته البالغة حين زار الشام ، ورأى وليمة فوصفها وصف رجل خشن لم يتصور ما رآه ، فمن هذا الوصف :

(••••واذا بها ناس كثير مقبلون ومدبرون ، عليهم ثياب تحكـى ألوان الزهر ، فقلت فى نفسى : هــذا أحد العيدين : الأضحى أو الفطر ، ثم ثاب الىّ ما عزب عن عقلى فقلت : خرجت من أهلى فـى بادية البصرة فى صفر ، وقد مضى العيدان قبل ذلك ، فما الذى أرى ؟

فبينا أنا واقف متعجب أتانى رجل فأخذ بيدى ، فأدخلنى دارا قوراء (واسعة) وأدخلنى منها بيتا قد نُجّد فى وجهه فرش ومهدت ، وعليهـا شاب ينال فروع شعره منكبيه، والناس حوله سماطان، فقلت فى نفسى: هذا الأمير الذى حُكى لنا جلوسه على الناس ، وجلوس النــاس بين يديـه ، فقلت وأنا ماثل بين يديه : السلام عليك أيها الأمير ورحمة اللـه وبركاته ، فجذب رجل يدى وقال: اجلس فان هذا ليس بأمير• قلت: فما هو ؟ قال : عروس •فقلت : واثكل أماه ، لرب عروس رأيته بالبادية أهون عـلى أهله من هن أمه • فلم أنشب أن دخل رجال يحملون هنات مدورات •••• ثم أتينا بخرق بيض فألقيت بين أيدينا ، فظننتها ثيابا ، وهممت أن أسأل القوم منها خرقا أقطعها قميصا •••• واذا هو ــ فيما زعموا صنف مـن الخبـز لا أعرفه ••• ••• (1)

نصر بن مضر

من بنى أسد بن خزيمة ، ذكره ابن النديم تحت اسم رهمج بن محرز البصرى ، وفى طبعة أوربا استفهام بين رهمج ، ودهمج • له كتاب النوادر رواه عنه محمد بن الحجاج بن نصر الأنبارى ، يقول ابن النديم : رأيتـه نحو مائة وخمسين ورقة ، وفيه اصلاح بخط أبى عمر الزاهد • (2)

---

(1) الاغانى 13 : 175 وما بعدها ط دار الكتب

(2) الفهرست 68 ط مصر ، 46 ط أوربا

أبو النعمان

ذكره ابن النديم ، والقفطى . (1)

نهشل بن زيد العدوي (أبو خيرة)

ذكره ياقوت بأنه نهشل بن يزيد (2) مـن بنى عدى ، نـزل الحيره ، وله كتاب الحشرات ونقل عنه صاحب المخصص برواية أبـى حاتم قولـه « حشرة الارض : الدواب الصغار منها اليربوع والضب والورل والقنفذ والفأرة والزّبابة والجرذ والحرباء والعظاية وأم حبين والعضرفوط والطحن وسام أبرص والدساسة وهى العنمة والشقذان والثعلب والهـر والأرنب ، وقيل : الصيد أجمع حشرة ، ما تعاظم منه أو تصاغر ، وما أكل من الصيد فهو حشرة الواحد والجميع فى ذلك سواء وأنشد :

يا حشرات القـاع من جلاجـل
قد نش مـا كش مـن المراجـل

هذا رجل اتخذ نبيذا ، فلما نش ، والنشيش فوق الكشيش جعـل يتوعد الحشرات بالتصيد والأكل لها عند شربه لذلك النبيذ . (3)

وله كتاب الصفات ، ذكره أحمد بـن محمد أبو حامـد الخرزنجى البشتى ضمن مراجعه لكتاب التكملة الذى أومأ الى أنه أكمل بـه كتاب العين . (4)

---

(1) الفهرست ٧١ ط مصر ، انباه الرواة 4 : 116
(2) معجم الادباء 19 : 243
(3) المخصص 8 : 91
(4) انباه الرواة 1 : 108

وله أحاديث فى طيور البادية ، وما يجرى حولها من أمثال ، قال عن الطريق وهو ذكر الكروان (أنهم اذا صادوه فرأوه من بعيد أطافوا به ويقول أحدهم : أطرق كرا انك لا ترى حتى يتمكن منه فيلقى عليه ثوبا ويأخذه) ، وفى المثل : أطرق كرا أطرق كرا ان النعام فى القرى • (1)

وكانت اللغة بين أبى خيرة والمنتجع فى أعلا درجات التوثيق ، وحين اختلفا قلت ثقة العلماء فى الأعراب • قال المنتجع : كمء واحدة ، وكمأة للجميع وقال ابو خيرة : كمأة واحدة ، وكمء للجميع مثل تمرة وتمر وقال أبو زيد كما قال أبو خيرة • وقال الرياشى : سمعت أبا زيد يقول : قال المنتجع أغمى على المريض ، وقال أبو خيرة : غمى عليه ، فأرسلوا الى أم أبى خيرة فقالت : غمى على المريض ؛ فقال لها المنتجع : أفسدك ابنك (2) وقال أبو زيد فى النوادر : قال أبو مرة الكلابى ، وأبو خيرة العدوى : قد غمى على الرجل فهو مغمىّ عليه (3) وقال غيرهما : أغمى عليه فهو مغمى عليه • (4)

وقلّت ثقة أبى عمرو بن العلاء بأبى خيرة حين سمع قوله (استأصل الله عرقاتهم) بنصب التاء من عرقاتهم ، فقال له : هيهات يا أبا خيرة ، لان جلدك ، ذلك أن أبا عمرو كان قد سمعها منه بالجر • (5)

وكان أبو خيرة ضنينا بعلمه ، يمنحه بأجر أو يعتل ــ حدث عبد الله ابن عبد الصمد الضبى قال : كنا يوما جلوسا فى حلقة هبيرة بن جرير الضبى ، اذ أقبل محمد بن مناذر ••••• فجلس الى أبى خيرة فخاطبه

---

(1) اللسان ط ر ق يضرب مثلا للمعجب بنفسه

(2) الخصائص 3 : 305 ط دار الكتب (3) نوادر ابى زيد 132

(4) نوادر ابى مسحل 482 (5) نزهة الالبا 32 ــ 33

مخاطبة خفيفة وقام مغضبا ، فقال لي هبيرة : من هذا ؟ فقلت : محمد بن مناذر ، فقال : انا لله ، قوموا بنا ، فقام الى أبي خيرة فقال له : ماذا قال لك ابن مناذر ؟

قال : سألني عن شيء وكنت مشغولا عنه .

فقلت : آه يا أبا خيرة ، ان العشائر تغبطنا لعلمك ، وما جعل الله عندك ، فنشدناك الله أن تكون لنا كما كان عرادة لبني نمير فانه تعرض لجرير فهجاه فعمهم ... ... أتدري من كان عندك آنفا ؟

قال : لا .

قال : ابن مناذر ، وما تعرض لأعراض قوم قط الا هتكها وهتكهم ، فاذا جاءك يسألك عن شيء فأجبه ولا تعتل عليه بالبول ، ولا تطلب منه شيئا ، وكل ما أردت من جهته ففي مالي .

قال : أفعل ، وكان أبو خيرة اذا سأله انسان عن شيء ولم يعطه شيئا يعتل عليه بالبول ، فما شعرنا من غد الا بابن مناذر وقد أقبل ، فعلمنا أنه قصد أبا خيرة ، فأتيناه ، فلما رأى جمعنا استحيا منا وسلم علينا وتبسم .

ثم قال : يا أبا خيرة ، قد قلت شعرا ، وقبيح بمثلي أن يسأل عنه فلا يدري ما فيه ،واني ذكرت انسانا فشبهته بالأفار فأي شيء هو ، فاحمر وجه أبي خيرة واضطرب وقال : هو التيس الوثاب الذي ينزو وقضيبه رخو فلا يصل .

فقال : جزيت خيرا ، ووثب وهو يضحك فقمنا اليه وقلنا : قد علمنا انك عنيت هذا الشيخ فان رأيت أن تهبه لنا فافعل فانه شيخنا ، فقال : والله ما عنيت غيره وقد وهبته لكم . (1)

---

(1) الاغاني 17 : 29 ـ 30 ط مصر (الاستقامة)

وفى كتاب مقاييس اللغة ، فى مادة (ب ل ح) قال ابن فارس :

الباء ، واللام ، والحاء أصل واحد ، وهو فتور فى الشىء ، واعياء ، وقلة احكام ، واليه ترجع فروع الباب كله . فالبلح الخلال واحدته بلحة، وهو حمل النخل ما دام أخضر صغارا كحصرم العنب . وأسند الى أبى خيرة : (ثمرة السّلم تسمى البلح ما دامت لم تتفتق ، فاذا انفتقت فهى البرمة) . (1)

وفسر ابن فارس الشقيقة بأنها فرجة بين الرمال تنبت ، وذكر قول أبى خيرة (الشقيقة) ليّن من غلظ الأرض يطول ما طال الحبل . (2)

هداب الهجيمي

ذكره ابن النديم (3) مع الأعراب الرواة .

هرم بن زيد الكلبي

ذكره القفطى (4) مع الأعراب الرواة .

أبو هشام

ذكره أحمد بن فارس ، ووصفه بكلمة (الأعرابى) وذلك فى تفسير كلمة الشقيقة وكان ابن فارس قد فسرها بأنها فرجة بين الرمال تنبت ؛ ولكن أبا هشام قال : هى ما بين الأميلين ، والأميل والحبل سواء . (5)

أبو الهيثم

ذكره ابن النديم ، والقفطى (6) وأسند اليه ابن منظور فى اللسان

---

(1) مقاييس اللغة 1 : 297 دار احياء الكتب العربية سنة 1366 هـ

(2) المصدر السابق 3 : 171 (3) الفهرست 70 ط مصر

(4) انباه الرواة 4 : 116 (5) مقاييس اللغة 3 ، 171

(6) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا ، انباه الرواة 4 : 114

عبارات تجل عن الحصر ، نذكر منها على سبيل المثال :

ـ الليالى الثلاث التى بعد المحاق سمين دآدى لأن القمر فيها يدأدىء الى الغيوب أى يسرع • (1)

ـ وقال : شنئت الرجل أى أبغضته ، قال : ولغة رديئة شنأت (بالفتح) • (2)

ـ واختلف الأعراب واللغويون جمعيا فى كمأة وكمء (نبات ينفّض الارض فيخرج كما يخرج الفطر) قال أبو خيرة كمأة للواحد ، وكمء للجميع ـ وقال منتجع : كمء للواحد ، وكمأة للجميع ، فمر رؤبة فسألاه فقال : كمء للواحد ، وكمأة للجميع كما قال منتجع ، وقال أبو حنيفة : كمأة واحدة وكمأتان وكمآت • وحكى عن أبى زيد أن الكمأة تكون واحدة وجمعا والصحيح من ذلك كله ما ذكره سيبويه وقال أبو الهيثم • يقال : كمء للواحد وجمعه كمأة ولا يجمع شىء على فعلة الا كمء ، وكمأة، ورجل ورجلة • (3)

ـ ويقال : لفأت الرجل اذا نقصته حقه ، وأعطيته دون الوفاء ، يقال: رضى من الوفاء باللفاء • (4)

ـ ويقول فى هنئت : ظفرت على الدعاء • (5)

ـ ويقول : الوراء ، ممدود : الخلف ، ويكون الأمام • (6)

---

(1) اللسان د أ د أ 1 : 70 ط دار صادر
(2) ش ن أ اللسان 1 : 102 ط دار صادر
(3) اللسان ك م أ 2 : 148 ط دار صادر
(4) اللسان ل ف أ 2 : 153 ط دار صادر
(5) اللسان هـ ن أ 2 : 185 ط دار صادر
(6) اللسان و ر أ 1 : 193

ـ وفى قوله تعالى (ان ناشئة الليل هى أشد وطأ) أى قياما ... واختار أبو حاتم (أشد وطاء) بكسر الواو والمد ، وحكى المنذرى أن أبا الهيثم اختار هذه القراءة وقال : معناه أن سمعه يواطىء قلبه وبصره ؛ ولسانه يواطىء قلبه وطاء . يقال : واطأنى فلان على الأمر اذا وافقك عليه لا يشتغل القلب بغير ما اشتغل به السمع ، هذا واطأ ذاك وذاك واطأ هذا ، يريد : قيام الليل والقراءة فيه . (1)

ـ والاسب ـ (بكسر الهمزة ـ وسكون السين) شعر الركب ، وقال ثعلب : هو شعر الفرج .... وقال أبو الهيثم : العانة : منبت الشعر من قبل المرأة والرجل والشعر النابت عليها يقال له الشعرة والاسب . (2)

ـ ويقول : الصير : رجوع المنتجعين الى محاضرهم . (3)

أبو الوجيه العكلي

كان يتحدث فى خصائص البادية ، فيروى فى صفات السحاب ، ويعلم كثيرا من صفات الضب والقنافذ والعقارب ، فمن أقواله : « أحب السحابة الخرساء ولا أحبها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تخرس حتى تمتلىء ماء وتصب صبا كثيرا ويكون غيثا طبقا (أى مالئا للأرض) وفى ذلك الحيا (الخصب) الا أن الكمأة لا تكون على قدر الغيث . (4)

ويقول « كذب والله من زعم أن الضب تستنفر عقربا ، ولكن العقارب مسالمة للضباب لأنها لا تعرض لبيضها وفراخها ، والضباب يأكل

---

(1) اللسان و ط أ 2 : 199 (2) اللسان أ س ب 2 : 213
(3) ص ى ر اللسان (4) الحيوان للجاحظ 4 : 194

الجراد ولا يأكل العقارب » (1) ويقول « لــو كانت والله الضبة دجاجة ، لكانت الأرنب دراجة وأنشد :

وأنت لو ذقت الكشى بالأكبـــاد
لما تركب الضب يسعى بالواد (2)

ذهب الى أن الأرانب والـــدراج لا تستحيـــل لحومهـــا ولا تنقلب شحوما ، وانما سمنها بكثرة اللحم ، وذهب الى ما يقول المعجبون منهـــم بلحم الضب فانهم يزعمون أن الطعمين متشابهان •

وفى نبات البادية يقول : « قضبـــان المساويك : البشام ، والضرو ، والعنم ، والأراك ، والعرجون ، والجريد ، والاسحل » • (3)

وقال الجاحظ : « سمعت أعرابيا يصف لسان رجل فقال : كان يشول بلسانه شولان البروق ، ويتخلل به تخلل الحية • قال : وأظن هذا الاعرابى أبا الوجيه العكلى » (4) وأسند اليه قولـــه (وكان ذلـــك حين ركبنـــى شيطانى) فقيل له : وأى الشياطين تعنى ؟ قال : الغضب • (5)

أبو اليد الكلابي

ذكره ابن النديم (6) وفى انباه الرواة : أبو الوليد الكلابى • (7)

---

(1) الحيوان 6 : 59
(2) الحيوان 6 : 353
(3) البيان والتبيين 3 : 114 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
(4) البيان والتبيين 1 : 180
(5) الحيوان 1 : 300
(6) الفهرست 71 ط مصر (7) انباه الرواة 4 : 116

يزيد بن عبد الله بن الحر - أبو زياد الكلابي

نسبه على بن حمزة البصرى فى التنبيهات على أغاليط الرواة فقال : هو يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام بن دهن بن ربيعة بن عمرو بن نفاثة بن عبد الله بن كلاب بن عامر بن صعصعة ، قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وذكر ابن قتيبة أن أبا زياد أتى مع أعراب سنة القحمة (القحط) فأجرى عليهم رغيفا لكل رجل ثم قطعه فقال أبو زياد :

ان يقطع العباس عنى رغيفه
فما يأتنى من نعمة الله أكثر (1)

والتقى فى بغداد بابن الأعرابى فسأله أبو زياد عن قول النابغة :

على ظهر منباة . (2)

فقال ، (النَّطْع) بفتح النون وسكون الطاء ، فقال أبو زياد النِّطَع بكسر النون وفتح الطاء ، فقال أبو عبد الله ، نعم ؛ وانما أنكر أبو زياد النطع بفتح النون وسكون الطاء لأنها لم تكن لغته (3)

وروى أبو عبيد عن أبى زياد الكلابى : المطرهم : الشباب المعتدل التام (4) وهكذا وردت فى اللسان ، وقال ابن أحمر :

أرجى شبابا مطرهما وصحة
وكيف رجاء المرء ما ليس لاقيا

---

(1) عيون الاخبار 3 : 157
(2) وبقية المصراع (جديد سيورها)
(3) معجم الادباء 18 : 189
(4) امالى القالى 2 : 155 وانظر الفهرست ص 71 ط اوربا ترجمة أبى عبيد القاسم بن سلام

ويروى عنه ابن الأعرابى (اذا احتبس المطر اشتد البرد ، فاذا مطر الناس كان للبرد بعد ذلك فرسخ ، أى سكون ، وسمى الفرسخ فرسخا لأن صاحبه اذا مشى فيه استراح عنه وسكن) • (1)

وهو يمنح تجاربه للناس ويروى ذلك الفراء فيقول: سمعت الكلابى يقول : قال بعضهم لولده : يا بنى لا تتخذها حنانة ولا انانة ولا منانة، ولا عشبة الدار ، ولا كبة القفا ، وفسر ذلك بقوله : الحنانة : التى لها ولد من سواه فهى تحن عليهم ، والأنانة التى مات عنها زوجها فهى اذا رأت الزوج الثانى أنّت وقالت : رحم الله فلانا لزوجها الأول • والمنانة التى لها مال فهى تمن على زوجها كلما أهوى الى شيء من مالها ، وقوله : عشبة الدار يريد الهجينة ، وعشبة الدار التى تنبت فى دمنة الدار وحولها عشب فى بياض الأرض فهى أفخم منه وأضخم لأنها غذتها الدمنة ، وذلك أطيب للأكل رطبا ويابسا لانه نبت فى أرض طيبة ، وهذه نبتت فى دمنة فهى منتنة رطبة ، واذا يبست صارت حتاتا وذهب قفها فى الدمنة فلم يمكن جمعه • قال أبو العباس أحمد بن يحيى : القف ما يبس من البقل وسقط على الأرض فى موضع نباته ، وقوله كبة القفا : هى التى يأتى زوجها أو ابنها النوم فاذا انصرف من عندهم قال رجل من جبناء القوم : قد والله كان بينى وبين امرأة هذا المولى أو أمه أمر • (2)

وله كتاب فى النوادر ذكره ابن النديم (3) وقد اعتمد ياقوت فى معجم البلدان على كتاب النوادر لأبى زياد الكلابى وقال : ذكر فى نوادره

---

(1) أمالى القالى 2 : 207
(2) أمالى القالى 2 : 256
(3) الفهرست 88 ط اوربا

من ذلك صدرا صالحا وقفت على أكثره ، وكان لهذا الكتاب (نوادر أبى زياد) أهمية أشار اليها على بن حمزة البصرى فى كتابه (التنبيهات على أخطاء الرواة) فبدأ كتابه بنوادر أبى زياد وقال وانما بدأنا بها لشرف قدرها وسمو ذكرها ... وفيما يلى مرويات تسند الى أبى زياد .

كانت له معرفة بنباتات البادية وأزهارها ، حكى ذلك أبو حنيفة ونسب اليه قوله : لم نجد من الزهر زهرة أطيب نفحة من زهر الخزامى ، وأنشد :

لقد طرقت أم الظباء صحابتى
وقد جنحت للغور أيدى الكواكب
بريح خزامى طلة من ثيابها
وذى أرج من جيد المسك ثاقب (1)

ـ ويقول : الابق ، نبات تدق سوقه حتى يخلص لحاؤه فيكون قنبا . (2)

ـ والأثل من العضاه، طوال فى السماء له هدب طوال دقاق لا شوك له . (3)

ـ والأيكة : جماعة الأراك . (4)

ـ والبرير (حمل الأراك) أصغر حبا من المرد والكباث كأنه خرز صغار (5) قال الاصمعى : البرير : اسم لما أدرك من ثمر العضاه ، فاذا انتهى ينعه اشتد سواده .

---

(1) شروح سقط الزند 1222 (آثار ابى العلاء ـ الدار القومية للطباعة والنشر 1366 ـ 1947)
(2) مقاييس اللغة 1 : 39
(3) مقاييس اللغة 1 : 58 ـ 59
(4) مقاييس اللغة 1 : 165
(5) مقاييس اللغة 1 : 180

ـ والبقل : اسم لكل ما ينبت أولا . (1)

ـ وكان يتخير عصاه من نوع يسمى الطرفاء وينشد :

ألفت عصا الطرفاء حتى كأنما

أرى بعصا الطرفاء احدى النجائب (2)

ومن الاماكن

ـ الأبرق في الأرض أعال فيها حجارة ، وأسافلها رمل يحل بها الناس .(3)

ـ والعنة : بناء تبنيه من حجارة ، والجمع عنن . (4)

أما معالم الجزيرة ، وخاصة الطبيعي منها فنحيل اليها ـ لكثرتها ـ في معجم البلدان

ومن أنواع الغيث عندهم

ـ يقول أبو زياد : البعاق من الأمطار : أشدها . (5)

ومن أطعمتهم

ـ البكلة ، والبكالة : الدقيق يخلط بالسويق ، ويبل بالزيت أو السمن(6)

ومن أوعيتهم وأدواتهم

ـ المثكلة : قِدْر دون الجماع ،(7) والقدر الجماع هي التي تجمع الجزور

ـ والمبارم : مغازل ضخام تبرم عليها المرأة غزلها وهي من السمر ، ويقال: أبرمت الحبل اذا فتلته منينا ، والمُبْرَم : الغزل وهو ضد السحيل وذلك أن البرم على طاقين والسحيل على طاق واحد (8) والبريمان

(1) مقاييس اللغة 1 : 275

(2) عيون الاخبار 4 : 89

(3) مقاييس اللغة 1 : 226

(4) مقاييس اللغة 4 : 21

(5) مقاييس اللغة 1 : 263

(6) مقاييس اللغة 1 : 284

(7) مقاييس اللغة 1 : 124

(8) مقاييس اللغة 1 : 231

النوعان من كل ذى خلطين مثل سواد الليل مختلطا ببياض النهار ...
قال أبو زياد : ولذلك سمى الصبح أول ما يبدو بريما لاختلاط بياضه بسواد الليل .

وكان أبو زياد شاعرا ، واختار أبو تمام فى (ديوان الحماسة) بيتين لـه يقول لممدوحه :

لـه نـار تشـب بكـل واد
اذا النيـران ألبست القنـاعا
ولـم يـك أكثر الفتيان مالا
ولكن كـان أرحبهم ذراعـا (1)

يزيد بن محيا (أبو صاعد الكلابي)

ذكره ابن النديم والقفطى (2) روى عنـه ابـن السكيت ألـوان الأطعمة ،فمن ذلك :

ـ العبيثة : الأقط ، يفرغ رطبه على جافه حين يطبخ فيخلط ، ويقـال : عبثت المرأة أقطها اذا فرغته على المشر ، اذا جعلت الرطب على اليابس ليحمل يابسه رطبه . (3)

ـ والوهيسة : أن يطبخ الجراد ثم يدق فيقمح ، أو يـكل بدسم . (4)

ـ والبريقة : وجمعها البرائق . يقال : برقوا اللبن اذا صبوا عليه اهالة أو

---

(1) شرح ديوان الحماسة للمرزوقى 690 ط لجنة التاليف والترجمـة والنشر سنة 1372 — 1952

(2) الفهرست 70 ط مصر ، 47 ط اوربا ، وانباه الرواة 4 : 104

(3) اصلاح المنطق 381 (4) اصلاح المنطق 293

سمنا ، ويقال : أبرقوا الماء بسمن أو زيت ، وهى التباريق . (1)

ــ والبكيلة : الاقط المطحون تبكله بالماء فتثريه ، كأنك تريد أن تعجبنه (2)

ــ ويقول : (ما لسنا عندهم لواسا ، ولا علسنا عندهم علوسا ، وما علسوا ضيفهم بشىء)(3) والعلس : الأكــل ، وقلما يتكلم بغير حرف النفى . وما ذاق علوسا أى ذواقا ، وما ذاق علوسا ولا ألوسا ، وفى الصحاح: ولا لووسا أى ما ذاق شيئا ... وما علس عنده علوسا أى ما أكل .. وما علسوا ضيفهم بشىء : أى ما أطعموه . والعَلَس (بفتح العــين واللام) شواء مسمون ، وشواء معلوس : أكل بالسمن . (4)

ــ والحليجة عصارة نحى أو لبن أنقع فيه تمر . (5)

وفى باب فعيلة روى عنه ابن السكيت :

ــ الخميلة : رملة تنبت الشجر ، ويقال : وديقة مــن بقل ومــن عشب ، وضغيغة من بقل ومن عشب اذا كانت الروضة ناضرة متخيلة . (6) أى بلغ نبتها وأزهر .

وروى ابن السكيت عن أبى صاعد ما لا يتكلم فيه الا بجحد فقال :

ــ ما فى الوعاء خربصيصة ، ولا فيه قذعملة (7) مــا فــى الوعاء والسقاء والبئر خربصيصة أى شىء ، وما أعطاه خربصيصــة ، كــل ذلــك لا يستعمل الا فى النفى . والخربصيصة : هنة تبيض فى الرمل كأنها عين الجرادة ، وقيل : نبت له حب يتخذ منــه طعــام فيؤكــل ، وجمعه

---

(1) اصلاح المنطق 387 (2) اصلاح المنطق 344

(3) اصلاح المنطق 432

(4) لسان العرب ع ل س 26 : 146 ط دار صادر

(5) اصلاح المنطق 351 (6) اصلاح المنطق 388

(7) اصلاح المنطق 426

خربصيص (1) والقذعمل . والقذعملة : القصير الضخم مـن الابل .. فاذا تكلمت فيه بنفيكأن تقول : ما في السماء قذعملة أي شيء مـن السحاب ، وهو الشيء اليسير مما كان ، وما أصبت منـه قذعميلا أي ما أصبت منه شيئا . والقذعملة · المرأة القصيرة الخسيسة، وتصغيرها قذيعم . الأهري : ما عنده قذعملة ولا قرطعبة أي ليس عنده شيء . (2)

ـ وفي قولهم : من غير صحيح ولا نفر : أي مـن غـير قليـل ولا كثير استشهد ابن السكيت بقول أبي صاعد :

كذوب محول يجعل الله جُنَّةً

لأيمانه مـن غير صيح ولا نفر (3)

ـ وفي باب « ما في الدار أحد » عن أبي صاعد يقال : ما بها صوات . (4)

ـ وفي الأقوال المختلفة يقول أبو صاعد : يقال أمحشه الحر اذا أحرقـه ويقال امتحش غضبا اذا احترق .

ـ ومغرت في الأرض مغرة من مطر وهي مطـرة صالحة (5) وكذلك قال ابن الأعرابي : المغرة المطرة الخفيفة . (6)

ـ وذكره السيوطي في باب (ما يدعى به عليه) فنسب اليه قوله : قطـع الله به السبب أي قطع الله سببه الذي به الحياة . (7)

---

(1) لسان العرب ق ذ ل 47 : 554 ط دار صادر

(2) لسان العرب خ ر ص 28 : 24 ط دار صادر

(3) اصلاح المنطق 428

(4) اصلاح المنطق 433

(5) اصلاح المنطق 331

(6) لسان العرب م غر 22 : 182

(7) المزهر 2 : 265

الأعرابيّات

شارك فى رواية اللغة أعرابيات أيضا ، وتعرضن لما تعرض له الأعراب . من خلط فى البلد ، والاسم والشهرة . وكانت أم الهيثم على الألسنة. نراهم يذكرونها فى البصرة، وتجد « أم هيثم » فى الكوفة يروى عنها رجال الكوفة ، والأولى فى القرن الثانى بينما نجد من يذكر أم الهيثم ويراها فى عصر متأخر ، وتجد من يروى عن الكلابية فلا ندرى هل هى أم الهيثم أم أعرابية غيرها ، وفيهن من تدعى غنية ، وفى بعض المصادر غنية أم الحارس ، وفى بعضها عتبة أم الحمارس — ونحن نذكر ما وقع الينا من أخبارهن .

أم الهيثم - من بني منقر

تكاد تتضح صورة هذه الأعرابية ، ويبين فيها وجهها البصرى ؛ فالأخبار عنها ترجح ذلك. ففى كتاب الأمالى لابى على البغدادى : (يقول عمر بن خالد العثمانى قدمت علينا عجوز من بنى منقر تسمى أم الهيثم ، فغابت عنا ، فسأل عنها أبو عبيدة ، فقالوا : انها عليلة . فقال : هل لكم أن

نعودها ، فجئنا ، فاستأذنا ، فقالت : لجوا ، فسلمنا عليها ، فاذا هى عليها أهدام وبجد ، وقد طرحتها عليها

فقلنا : يا أم الهيثم ، كيف تجدينك ؟

قالت : كنت وحمى بالدكة ، فشهدت مأدبة ، فأكلت جبجبة ، من صفيف هلعة ، فاعترتنى زلخة

فقلنا : يا أم الهيثم ، أى شىء تقولين ؟

فقالت : أوللناس كلامان ، والله ما كلمتكم الا بالعربى الفصيح . (1)

أما عبارة ابن دريد ، فهى وان كانت منسوبة الى أبى حاتم الا أنه فى هذه الرواية يسندها الى امرأة كانت مع أم الهيثم التى ضحكت ووصفت صاحبتها بأنها ذات خزعبلات يقول ابن دريد : أخبرنى أبو حاتم قال : رأيت مع أم الهيثم أعرابية فى وجهها صفرة فقلت ما لك ؟

قالت : كنت وحمى بدكة ، فحضرت مأدبة ، فأكلت خيزبة من قراص صلعة فاعترتنى زلخة فضحكت أم الهيثم وقالت : انك لذات خزعبلات (2) أى لهو .

وسأل أبو حاتم عن نوع من الحب يقال له بالفارسية اسفيوش

قالت : أرنى منه حبات

فأراها .. فأفكرت ساعة ثم قالت : هذه البخدق .

قال ابن خالويه : البخدق : نبت ، ولم يعرف الا من أم الهيثم . (3)

وسألها أبو حاتم : هل تبدل العرب من الجيم ياء فى شىء من الكلام

قالت : نعم ، وأنشدت :

---

(1) الامالى 3 : 69 ، المزهر 2 : 540

(2) الجمهرة فى اللغة 1 : 11 ط حيدر آباد

(3) اللسان ب خ ق

اذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى
فأبعدكن الله مــن شيرات (1)

وفى مادة ج ل س فى معجم مقاييس اللغة يقول أحمد بـن فارس ان هذا الأصل يعنى الارتفاع ، وروى عـن أبـى حاتم ، عـن أم الهيثم (جلست الرخمة اذا جثمت) • (2)

ويقال : مات ابن لأم الهيثم فسألناها فقالت : (مـا زلت أمشى لـه الأشفية الدثه تارة ، وأوجره أخرى فأبى قضاء الله) • (3)

ام الهيثم ــ صاحبة المبرد

ولدينا (أم هيثم) أخرى لايمكن أن تكون تلك التى رأيناها تحادث أبا عبيدة وأبا حاتم ، والتى كانت عجوزا كما يصفها معمر ــ أمـا هـذه فيروى عنها محمد بن يزيد المبرد ــ ويقول : رأيتهـا ، وسمعتهـا يقول المبرد : (كانت أم الهيثم من أفصح من رأيت ، وسمعتها تقول من كلامنا (لا ترضى الشانئة الا بجزرة) والشانئة : المبغضة وهـى التـى لا ترضى مىن أبغضته الا باستئصال • ومنه قيل : جراز الذى يقطع كل ما يسر به ، ورجل جروز اذا قعد على الزاد ، فأفناه ، وأنشدتنى :

كانت عجوزا خبة جروزا
تأكل فى مقعدهـا قفيزا
تشرب حبا وتبول كـوزا
لا تنكحن بعدها عجوزا

---

(1) المزهر 1 : 146
(2) مقاييس اللغة 1 : 474
(3) مقاييس اللغة 5 : 272

ويقول المبرد : وسمعتها تقول : جاء فلان يضرب أصدريه ، وأزدريه ، وأسدريه ، وينفض مذرويه أى هو فارغ . (1)

ولا شك أن أم الهيثم التى سأل عنها أبو عبيدة وعادها فى مرضها هى غير أم الهيثم التى رآها وسمع منها محمد بن يزيد المبرد — ذلك أن الأولى كانت عجوزا فى زمن أبى عبيدة المتوفى سنة ٢١٠ بينما كانت وفاة المبرد سنة ٢٨٦ كما وجدت الاستاذ مصطفى صادق الرافعى يذكر أم الهيثم الكلابية راوية أهل الكوفة (تاريخ اداب العرب ١ : ٣٥١)

جزلة الحرقية

ذكرها القفطى . (2)

زهراء الاعرابية

هى امرأة أعرابية من بنى كلاب ، كانت تناشد اسحق الموصلى ، وتكاتبه ، وتكنى عنه فى عشيرتها اذا ذكرته بجمل ، فكتبت اليه بعد عيبة تقول :

وجدى بجُمْل على أنى أجمجمه
وجد السقيم ببرء بعد ادناف
أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها
أو وجد منشعب من بين ألاف

يقول اسحق : فكتبت اليها :

أقر السلام على الزهراء اذ شحطت
وقل لها : قد اذقت القلب ما خافا

(1) الكامل للمبرد 22 ـ 23
(2) انباه الرواة 4 : 116

أمـــا رثيت لمـــن خلفت مكتئبـــا
يـــذرى مـــدامعه سحـــا وتوكافـــا
فمـــا وجـــدت علـــــى الف أفارقه
وجدى عليك ، وقد فارقت ألاّفا (1)

ولم أجد لها ما يشير الى اصطناع الرواية

شماء

أعرابية من بنى كلاب ــ جاء فى كتاب النوادر لأبى زيد سعيد بـــن أوس : الدعثور : الموضع الذى يكون على استواء فيفسد ويزال عما كان عليه فيقال له دعثور عند ذلك ، ودعثار ، وهـــذان اسمان لـــه فاذا قلت مدعثر فكأنك قلت مفسد ، قال : أنشدتنى شماء ، وهى أعرابية فصيحـــة من بنى كلاب :

اذا وردنا آجنا جهرنـــاه
أو خاليا من أهله عمرناه
أو عافيا من أثر دعثرناه

تريد أثرنا فيه لكثرة عددنا فأزلناه عما كان عليه . (2)

غنية أم الهيثم الكلابية، غنية أم الحمارس البكرية ، عتبة

هكذا تداخلت هذه الأسماء ، وفى انباه الـــرواة عتبـــة (3) وأكثر مرويتها فى الأطعمة فتقول :

ــ الحليجة : السمن على المحض

(1) الاغانى 5 : 331 ط دار الكتب ترجمة اسحق الموصلى
(2) نوادر ابى زيد 238
(3) انباه الرواة 4 : 114
(4) اصلاح المنطق 387

ـــ الصحيرة : الحليب يصحر ، وهو أن يلقى فيه الرضف ، أو يجعل في القدر فيغلى به فور واحد حتى يحترق • (1)

ـــ الربيكة : الأقط والتمر والسمن يعمل رخوا ليس كالحيس • (2)

ومن التراكيب يسند اليها قولها : « ما فيه هزبليلة » اذا لم يكن فيه شيء (3) وفى باب فعل (بسكون العين وفتحها) باختلاف معنـــى ، ذكر يعقوب بن السكيت فى اصلاح المنطق (الشرع : مصدر شرعت الاهـــاب اذا شققت ما بين الرجلين • قال : وسمعته مـــن أم الحمارس البكريـــة ، ويقال : هم فى هذا الأمر شرع : سواء) • (4)

ويحكى الجاحظ فى شأن غنية الأعرابية وابنها ، أنه كان لها ابـــن شديد العرامة كثير التفلت الى الناس مع ضعف أسر ودقـــة عظم ، فواثب مرة فتى من الأعراب فقطع الفتى أنفه، فأخذت غنية دية أنفه فحسنت حالها بعد فقر مدقع ، ثم واثب آخـــر فقطـــع أذنـــه ، فأخذت الديـــة ، فزادت دية أذنه فى المال وحسن الحال ، ثم واثب بعد ذلك آخـــر فقطع شفتـــه فأخذت دية شفته ، فلما رأت ما قد صار عندها من الابل والغنم والمتـــاع والكسب بجوارح ابنها حسن رأيها فيه فذكرته فى أرجوزة لها تقول فيها:

أحلف بالمروة يوما والصفا
انك خير مـــن تفاريق العصا (5)

---

(1) اصلاح المنطق 389 ـــ 390
(2) اصلاح المنطق 382
(3) اصلاح المنطق 430
(4) اصلاح المنطق 49
(5) البيان والتبيين 3 : 49 ـــ 51

قريبة أم البهلول الاسدية

ذكرها ابن النديم (1) وجاء في انباه الرواة أنها صنفت كتابا في النوادر . وآخر في المصادر كتبهما السكرى بخطه • (2)

(1) الفهرست 70 ط. الرحمانية
(2) انباه الرواة 4 : 115

القسم الثالث

أحاديث الأعراب

كَلامُ الأعْـرَاب

دواعي الترحيب بالاعراب في الحضر

تَعَلَّق الطالبين بالأعراب ، يستمعون منهم ، وكلفهم بهذا الى حد المضايقة ، لم يكن بادىء الأمر لتصحيح اللغة وتوثيق ما ألقى اليهم من شيوخهم فى المسجد الجامع ، ولكنه ــ فيما يبدو ــ استمرار لاعجاب قديم منذ فتحت الأمصار ، وتعددت الألسنة ، وبرز فيها اللسان العربى ، فاذا أضفت الى هذا ما كان يأتيه الأعرابى من أفعال تكشف عن طيب القلب ، وصدق الطوية ، وأقوال تعبر بسهولة وبلاغة عن مكنون الأعرابى وما يريد أن يفضى به، وجدت داعيا الى الترحيب بهؤلاء الأعراب، والرغبة فى الاستماع اليهم ، ومحاورتهم .

وترك هذا أثره فى عقول أهل الحضر ، وألسنتهم فتكلم كل مصر ــ كما يقول الجاحظ ــ على لغة النازلة فيهم من العرب ، ولذلك تجد الاختلاف فى ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر ، وبات كل مصر يرى أنه أفصح من غيره لسانا .

قال أهل مكة لمحمد بن المناذر الشاعر : ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة انما الفصاحة لنا أهل مكة •

فقال ابن المناذر : أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها له موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم ، أنتم تسمون القدر برمة ، وتجمعون البرمة على برام ، ونحن نقول قدر ، ونجمعها على قدور ، وقال الله عز وجل (وجفان كالجوابى وقدور راسيات) (1) وأنتم تسمون البيت اذا كان فوق البيت عِلِّيَّة ، وتجمعون هذا الاسم على علالى ، ونحن نسميه غرفة ، ونجمعها على غرفات وغرف ، وقال الله تبارك وتعالى (غرف من فوقها غرف مبنية) وقال : (وهم فى الغرفات آمنون) • وأنتم تسمون الطَّلَّع : الكافور والاغريض ، ونحن نسميه : الطلْع ــ بسكون اللام ــ وقال الله تبارك وتعالى (ونخل طلعها هضيم) •

يقول الجاحظ عن أبى سعيد عبد الكريم بن روح : فعد عشر كلمات لم أحفظ منها الا هذه • (2)

واعتاد الحضريون لقاء الأعراب بالترحاب ، الا يأخذوا عنهم اللغه والأخبار فانهم يجدون عندهم الملح والفكاهات ، والحكمة والمثل ، وقد تصدر الحكمة عن غير حكيم ، وتأتى الرمية من غير رام •

ومن الطبيعى وقد جد الناس فى معرفة العربية أن يجدوا أيضا فى معرفة الأعراب ودنيا الأعراب ، وعلمك بالشىء من صاحبه ومستقره

---

(1) كالجوابى قراءة ورش وأبى عمرو فى الوصل ، وابن كثير ويعقوب فى الوصل والوقف ــ وقراءة الجمهور (كالجواب)

(2) البيان والتبيين 1 : 18 ــ 19 ط لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة 1367 هـ ــ 1948 م

أوثق وأولى من علمك به من غيره ، فاذا أضفت الى هذا أن الذين كانوا يردون الحاضرة للبيع والشراء ، أو وقعوا اليها تستهويهم الأضواء ، كان ما يصدر عن أكثرهم تمده سذاجة صادقة فى أكثر الأحايين ،أو تظرف لا يخلو من ظرف، كيف لا، وهو على هيئته من الخشونة، والعرى، والحفى، والبدائية يحمل فى رأسه نعرة الفاتـــح ، فـــلا عجب أن تفيضـــس الكتب بأخبارهم ولا تمر هذه الأخبار من غير فائدة وعلم ، فى اللغة والمجتمع •

وقد تمر الطرفة الفكهة ، ويضحك لها مـــن تقبلها على وجهها الطريف الفكه ، ولكنها تمر أمام عالم متخصص فيجد فيها بغيته أيضا • « ذكـــر أعرابى رجلا خائنـــا فقال : ان الناس يأكلـــون أماناتهم لقما ، وان فـــلانا يحسوها حسوا » •

قد يضحك التعبير ، ويمر من أمامك تاركا ابتسامة علـــى شفتيك ، وقد يتأمله رجل اللغة فيجد اللقمة فى مقابلة الحسو • الأولى تمضغ على مهل ، والثانية تبتلع • ويسمعها رجل البلاغة فيستهويـــه المفعول المطلق المؤكد للفعل فى آخر الجملة • ويسمعها عالم الاجتماع فيرى فـــى أمثلة القوم وتعابيرهم مفتاح دنياهم •

وربما اتفق رأيك مع رأى الجاحظ الذى يرى (أن سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعانى ، وقد يحتاج الى السخيف فى بعض المواضـــع ، وربما أمتع بأكثر من امتاع الجزل الفخم من الألفاظ ، والشريف الكريـــم من المعانى ، كما أن النادرة الباردة جدا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدا ، وانما الكرب الذى يختم على القلوب ويأخذ بالأنفاس ، النـــادرة الفاترة التى لا هى حارة ولا باردة ، وكذلك الشعر الـــوسط ، والغنـــاء

الوسط ، وانما الشأن فى الحار جدا والبارد جـدا)[1] فكلام الأعراب يستمد طلاوته من أنه يمسك بطرفى الكلام ، ففى الفصاحة أفصحه ، وفى السخافة أسخفه ، وفى المكشوف المفضوح أفضحه .

وكذنا ننتهى من هذا الكتاب عند القسم الثانى متجهين الـى أننـا عرفنا بالأعراب الرواة ، والذين نعرفهم بأسمائهم ، وذواتهـم ، ولكـن تساءلنا : أليس من النقص أن نتـرك هؤلاء الأعراب الذين لا نعرفهم الا بهذه الصفة وحدها ؟ ومثلت أمامنا عقبة، كيف نستطيع حصر هؤلاء الذين لا يقعون تحت حصر ، وكيف ندرك مروياتهم التى يستحيل دركها ؟ ولم نجد فى هذه السعة الواسعة والكثرة الكاثرة مبررا للتوقف والتضييق ، واذا كان قصدنا الأول هو التعريف بالأعراب الرواة الذين أخـذت عنهم اللغة وأسندت اليهم فان من التمام تتبع الأعراب بالقدر الذى نراه كفيلا بالتعريف بحياتهم الاجتماعية والفكرية مع القصد والايجاز .

ولعلك تجد فى هذا القسم الثالث ما وجده قدامـى العراقيين مـن متعة حين أجلسوا هؤلاء الأعراب الى جانبهم يستمعون اليهم ويفيدون من ألسنتهم ، ولعلك تستريح من جفاف الصفحات الماضية ، وتستروح الـى مزاج من اللغة والطرف حين تعرض لمرويات الأعراب القصار وليس فـى الأرض ــ كما يقول الجاحظ (كلام هو أمتع ، ولا أنفع ، ولا آنـق ولا ألذ فى الاسماع ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة ، ولا أفتق للسان ، ولا أجود تقويما للبيان من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحـاء ، والعلماء البلغاء) . (2)

---

(1) البيان والتبيين 1 : 145 ط لجنة التأليف والترجمة والنشر
(2) المصدر السابق نفس الصفحة

كتبنا القسم الأول عن فئات الرواة ، فيهم رواة الأنساب ، ورواة القرآن ، والعاكفون على رواية الحديث والمغازى ، ورواة اللغة العلماء منهم والأعراب •

وكتبنا القسم الثانى عن الأعراب الذين ذكروا بالبصرة أو الكوفة أو بغداد أو نيسابور ، وترددت أسماؤهم فى البيئات العلمية ، وأسند اليهم ما أثر عنهم ، وقد تحضر فريق منهم وتجاوز الفطرة الى التعلم ، وورّق وألّف كما ورّق وألّف العلماء الرواة ، فرتبناهم بأسمائهم وذكرنا ما وصل الى علمنا من أخبارهم •

ومن وراء هؤلاء فئتان من الأعراب أخذت عنهم اللغة ، الأولى : شعراء ورجاز غلبت عليهم هذهالصفة وذهبت شهرتهم مع الشعراء والرجاز فلم يذكروا مع الرواة الا فى سياق الاحتجاج بكلامهم ، وفئة أخرى لا يعرفون مع الرواة ولا مع الشعراء والرجاز ، ولكنهم يدخلون بحثنا تحت كلمة أعرابى أو بدوى •

فمن الفئة الأولى : رؤبة ، والعجاج ، وذو الرمة ، وعمارة بن عقيل واضرابهم ، ولما كان الغريب مطلب البيئات اللغوية فى العراق فلقد اتجه الناس الى رؤبة وابيه يلتمسون عندهم غريب اللغة ، ويحكى رؤبة فيقول عن الطرماح والكميت كانا يأتيانى فيأخذان الشىء بعد الشىء من شعرى فيودعانه أشعارهما ، وحين اختلف أبو خيرة ، والمنتجع فى افراد وجمع كلمة (الكمأة) احتكما الى رؤبة فقال كما قال المنتجع • (1)

ويبدو أن الالحاح فى طلب الغريب ، وذهاب الشعراء والأعراب ،

---

(1) الخصائص 3 : 305

وأصحاب الرواية الى رؤبة وأبيه قد زين للراجزَيْن أن يختلقا ما ليس من ألفاظ العربية معتمدين فى ذلك على أعرابيتهما واصطناعهما الرجز ، ووصف ابن جنى هذا العمل فقال :

(وقد كان قدماء أصحابنا يتعقبون رؤبة وأباه ويقولون : تهضما اللغة ، وولّداها ، وتصرفا فيها غير تصرف الأقحاح فيها ، وذلك لايغالهما فى الرجز وهو مما يضطر الى كثير من التفريع والتوليد لقصره ومسابقة قوافيه) . (1)

ومع هذا فقد احتل رؤبة فى صدر يونس مكانا رفيعا ، ودافع عنه دفاعا مجيدا فى مجلس أبى عمرو بن العلاء ولوح فى وجه شبيل بن عزرة الضبعي الأعرابى قائلا : أتظن أن معد بن عدنان أفصح من رؤبة ؟! (2) وأكثر يونس من الأخذ عليه حتى ضاق به رؤبة قائلا : حتى متى تسألنى عن هذه الأباطيل وأزوقها لك ، أما ترى الشيب قد بلغ فى رأسك ولحيتك . (3)

ودخل ذو الرمة الرواية اللغوية ولم يكن راويا ، ولكنه كان أعرابيا شاعرا ، فاحتج بشعره علماء الرواية ، وكان عليه أن يلزم البادية لتخلص له هذه المنزلة ، فكان يذهب الى الحاضرة وهو يخشى أن يرى هناك ، فلما رآه أبو عمرو بن العلاء فى دكان طحان فى البصرة يكتب، قال له مستغربا: ما هذا ياذا الرمة ؟

---

(1) الخصائص 3 : 298
(2) طبقات النحويين واللغويين للزبيدى 49
(3) طبقات فحول الشعراء للجمحى 581.

فقال : اكتم عليّ يا أبا عمرو (1) فالحضر ومعرفة الكتابة مما يوجه بسببهما النقد الى الأعرابى ، وحين احتج أبو حاتم لكلمة (زوجة) بقول ذى الرمــة :

أذو زوجة فى المصر أم ذو خصومة
أراك لها بالبصرة العــام ثاويــا

أنكره الأصمعى وقال : ذو الرمة طالما أكل المالح والبقل فى حوانيت البقالين . (2)

وذكره ابن جنى فــى اعقاب اتهامــه لأبى مهدية ووصفه لــه بأنــه كان مدخولا ... وقال : وكذلك قول ذى الرمة :

وظاهر لها من يابس الشخت

فقيل له : أنشدتنا بائس . فقال : يابس بائس واحــد ، وهــذا شعر ليست عليه مضايقة الشرع . (3)

وتأخر عن هؤلاء عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، وأخــذ عليــه متأخرو الرواية منهم ابو العيناء محمد بن القاسم ، وأبو العباس محمد بن يزيز المبرد (4) وترى كثيرا من ألفاظ العربية وتراكيبها مسندة الى عمارة . أسند اليه فى اللسان فى تفسير الرضاب بأنــه قطــع الثلــج والسكر (5) وقوله فى اللسان أيضا : لا أقول لصاحب الحمــار فارس ، ولكــن أقول (حمّار) (6) وفسّر ذلك بأن الفارس فاعل مأخوذ مــن الفرس ، ومعناه

---

(1) الخصائص 3 : 296 (2) الخصائص 3 : 195
(3) المحتسب 1 : 297 ط القاهرة سنة 1386 هـ والشخت : الدقيق ، يريد به الحطب
(4) نزهة الالبا 234
(5) اللسان ر ض ب 4 : 418 ط دار صادر
(6) اللسان ر ك ب 4 : 429

صاحب فرس مثل قولهم : لابن ، وتامر ، ودارع ، وسائف ، ورامــح اذا كان صاحب هذه الأشياء .

وكان عمارة بالرغم من التزامه بوجه مــن القــراءات كانت سليقته تتعلق بما هو أوزن فى القياس ، كان يقرأ (ولا الليل سابق النهار) بفتح الراء ، فسأله المبرد : ما أردت ؟ فقال : أردت ســابقٌ النهــارَ (بتنوين القــاف) .

قال : فقلت له : فهلا قلته ؟

فقال : لو قلته لكان أوزن . أى أقوى وأمكن في النفس . (1)

وأنكر أبو حاتم على عمارة بن عقيل جمعه الريح على أرياح ، قال : فقلت له فيه انما هى أرواح ، فقال : قد قال عــز وجل (وأرسلنا الريــاح لواقح) وانما الأرواح جمع روح . قال أبو حاتم فعلمت بذلك أنه ممن لا يجب أن يؤخذ عنه . (2)

ومن الفئة الثانية رجال ونساء وفتيان وعقلاء ومجانين توفــرت فيهم صفة البداوة وسلامة اللسان ، وهؤلاء لا يحيطهم حصر ولا عــدد ، ولهم بصفة عامة نفس المنزلة التى رأيناها لأولئك الذين اشتهر أمرهم بالروايــة وعرفوا بذواتهم وشخوصهم وأسمائهم فكنت تــرى العلماء يروون عــن مجرد أعرابى ، وشاع هذا الأمر فى كتب الأخبار، واللغة، ومن العلماء من حدد هذه الصفة ، وأضاف الى صفة الاعرابى نسبه ، أو بلده ، أو قبيلتــه كأن يقول أبو عمرو بن العلاء : سألت رجلا من سعد بن بكر من أهل ذات عــرق فقلت :

---

(1) الخصائص 1 : 125
(2) الخصائص 3 : 295

هذا الكوكب الضخم ما تسمونه ؟

قال : الدّرىء . وكان من أفصح الناس . (1)

الخليل بن أحمد

ومن جموع التكسير التى ذكرها اللسان « امرأة شابة من نسوة شواب » واعتمد فى ذلك على قول الخليل بن أحمد الذى استند الى قول أعرابى فصيح يقول : « اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب » . (2)

ويقول أبو زيد سعيد بن اوس

قال الكلابيون : المهروس والمجشوش واحد ، وهى هريسة وجشيشة . وقال أبو المضاء الكلابى : الهريس والجشيش : الحب حين يدق بالمهراس قبل أن يطبخ ، فاذا طبخ فهو هريسة وجشيشة اذا جشّوه . (3)

أو يقول : سمعت بعض العجلانيين(4) وقال رجل من بنى كلاب (5) وسمعت أعرابيا من بنى تميم (6) وسمعت رجلا من بنى عقيل يقول : هم اللذون (7) وقال الحجاج الكلابى : أنا أجوء بها أى أجىء بها (8) الى غير ذلك .

---

(1) اللسان د ر أ 1 : 73 ط دار صادر

(2) اللسان ش أ ب 4 : 480

(3) نوادر ابى زيد 81

(4) نوادر أبى زيد 85

(5) نوادر ابى زند 88

(6) نوادر أبى زيد 97

(7) نوادر ابى زيد 89

(8) نوادر أبى زيد 101

عبد الملك بن قريب الأصمعي

وقال الأصمعي : قلت لأعرابي ما القرب ؟

فقال : سير الليل لورد الغــد .

قلت : ما الطلق ؟

فقال : سير الليل لورد الغب ، يقال قرب بصباص . وذلك أن القوم يسيمون الابل وهم في ذلك يسيرون نحو الماء فاذا بقيت بينهم وبين المــاء عشية عجلوا نحوه ، فتلك الليلة ليلة القرب . قال الخليل : والقارب طالب الماء ليلا ، ولا يقال ذلك لطالب الماء نهارا . (1)

ابن الاعرابي

قال : سألت أعرابيا : هل تعرف الجواد المُبرّ من البطيء المقرف ؟

قال : نعــم .

قلت صفهما لــي

قال : أما الجواد فهو الذي لُهِزَ لَهَزَ العيْر وأنّف تأنيف السّير، الذي اذا عدا اسلهب (مضى في عدوه) ؛ واذا انتصب اتــلأب (امتــد واستوى) ، وأما البطيء المقرف فالمدلوك الحجبيّة ، والضخم الأرنبــة ، الغليظ الرقبة ، الكثير الجلبة ، الــذي اذا أمسكته قــال أرسلني ، واذا أرسلته قال : أمسكني) . (2)

يحيى بن زياد الفراء

قال : لم نر العرب تهمز أدنأ اذا كان من الخسة ، وهــم فــي ذلــك

---

(1) اللسان ق ر ب

(2) مقاييس اللغة 1 : 178

يقولون : انه لدانيء خبيث فيهمزون • قال : وأنشدني بعض بني كلاب :

باسلـة الوقـــع سرابيلهـــا

بيض الـى دانئها الظاهـر (1)

وذهب الفراء في (الجاه) الى أنه مقلوب من الوجه ، وقال : سمعت أعرابية من غطفان وزجرها ابنها ، فقلت لها ردى عليه • فقالت : أخاف أن يجوهني بأكثر من هذا ارادت : يواجهني • (2)

الأزهرى

يقول : سمعت أعرابيا من بنى مضرس يقول لخادم له : ارثأ لى لبينة أشربها (3) والرثيئة : اللبن الحامض يحلب عليه فيخثر •

وابن الفرج

يقول : سمعت الباهليين يقولون : سطأ الرجل المرأة ومطأها بالهمز ، وطئها • قال أبو منصور : وشطأها بالشين بهذا المعنى لغة • (4)

شمر بن حمدويه

يعرف بنبات (الأرينة) فيقول : سمعت فى الفصيح من أعراب سعد ابن بكر ، ببطن مر" قال : ورأيته نباتـا يشبه الخطمى ، عريـض الورق ، وقال : وسمعت غيره من أعراب كنانة يقول : هو الأرين ، وقالت أعرابيـة من بطن مر : هى الأرينة ، وهى خطمينا ، وغسول الرأس • (5)

---

(1) اللسان د ن أ 1 : 78 ط دار صادر

(2) الخصائص 2 : 76

(3) اللسان ر ث أ 1 : 83 ط دار صادر

(4) اللسان س ط أ 1 : 95

(5) اللسان ر ن ب 4 : 436

هذه نماذج من جهود الرواة لتوثيق مــا أخــذوه مــن الدراسات التقليدية ، بعضها جاء نتيجة لسعي مقصود كأن يشك رجل في كلمة فيعمد الى أعرابي ويحتال على سماعها منه كما شك الجوهري صــاحب الصحاح في نحاس أو نخاس (موضع اتساع ثقب المحور في البكرة) الى أن سمعها من أعرابي تميمي (1) ــ وبعضه يأتــي مصادفة أو مــن غير تعمل فيعلق بذاكرة الراوية الى أن يجــد مناسبته •

وفي الصفحات القادمة نشير الى بعض ما كان يصدر عــن الأعراب في المناسبات المختلفة فلا يمر من غير فائدة علمية •

---

(1) معجم الادباء 6 : 164

من أحاديث الأعراب *

لم نفرد هذا المقال للاستروواح والتسلية ، أو الخروج بك من جاد القول الخشن الى سهله الممتع ، وانما نضع أمامك بعض ما صدر عن الأعراب ـ ومنه ما هو رصين حوشي جاف ـ لترى فيه لغتهم ، وطباعهم ، وفكاهاتهم ، وأمزجتهم ، واذا كان لكل شعب مفخرة من بناء ، أو سبق فى اختراع ، أو يد فى طب ، أو مصانعة فى هندسة ، أو تجربة فى زراعة فعدة الأعرابى لسانه ، ويقول الأصمعى : اذا تظرف العربى كثر كلامه ، واذا تظرف الفارسى كثر سكوته • (1)

ولم تذهب هذه الكثرة اللسانية التى نعرض عليك طرفا منها مذهبا تتعدد فيه الاتجاهات من غير فائدة ، فلقد أمكن جمع اللغة ، وروايتها بسند من هذه المأثورات التى شملت جوانب حياتهم كلها •

★ هذه الاحاديث لا تعنى بالضرورة صدورها عن الاعراب الرواة ، وانما عن الاعراب عامة لتصوير حياتهم

(1) عيون الاخبار 2 : 178

فمن بلاغتهم

ـ يقول أعرابى لأخ له :

(أما والله ، رب يوم كتنور الطاهى ، رقـاص بشراره ، قـد رميت بنفسى فى أجيج لهيبه ، فأحتمل منه ما أكره لما تحب) • (1)

ـ أتى أعرابى عمر بن عبد العزيز فقال :

(رجل من أهل البادية ساقته الحاجة وانتهت به الفاقه ، والله يسألك عن مقامى غدا) فبكى عمر • (2)

ـ وقال ابن الأعرابى : سمعت شيخا عربيا يقول : (اللهم انك قـد أمرتنا أن نعفو عمن ظلمنا ، وقد ظلمنا أنفسنا ، فاعف عنا) • (3)

ـ وهم فى سكرات الموت يسيطرون على مقدرتهم اللغوية الفـذة ، قال الغنوى : احتضر رجل منّا فصاحت ابنته ، ففتح عينيـه وهو يكيـد بنفسه فقـال :

عـزاء لا أبـا لـك ان شيئـا

تولـى ليس يرجعه الحنين (4)

ـ الأصمعى قال : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول :

(اللهم اغفر لى اذ الصحف منشورة ، والتوبـة مقبولة ، قبل أن لا أقدر على استغفارك حين ينقطع الأمل ويحضر الأجل ويفنى العمل) • (5)

---

(1) عيون الاخبار 3 : 16

(2) البيان والتبيين 4 : 90 ط لجنة التاليف والترجمة والنشر

(3) البيان والتبيين 3: 373 ط لجنة التاليف والترجمة والنشر

(4) البيان والتبيين 4 : 96 (5) البيان والتبيين 4 : 77

ـ وقال أعرابى :

(اللهم ان لك علىّ حقوقا فتصدق بها على ، وللناس علـى حقوقـا فأدها عنى وقد أوجبت لكل ضيف قرى ، وأنا ضيفك ، فاجعل قراى فـى هذه الليلة الجنة) . (1)

ـ وهم يعرفون أسرار لغتهم ، ويلغزون فيها فتخفى على مواليهم .

حدث بعض الأعراب قال : هوى رجل امرأة ثـم تزوجها ، فأهدى اليها ثلاثين شاة ، وزقّا من خمر ، فشرب الرسول فى الطريق بعض الخمر، وذبح شاة . فقالت للرسول لما أراد الانصراف : اقرأ على مولاك السلام ، وقل له : ان شهرنا نقص يوما ، وان سحيما راعى شائنـا أتانى مرثومـا (مكسورا) فلما أتى مولاه فأخبره ، ضربه حتى أقر . (2)

ـ قال سلم بن قتيبة للشعبى : ما تشتهى ؟

قال : أعز مفقود ، وأهون موجود .

قال : يا غلام ، اسقـه مـاء . (3)

ـ وقال ابن الأعرابى : سمعت شيخا عربيا يقول : انى لأسر بالموت. لا دين ولا بنات . (4)

غرور الثناء

ـ قال أبو حازم المدنى :

بينا أنا أرمى الجمار ، رأيت امرأة سافرة ، من أحسن الناس وجهـا ترمى الجمار ، فقلت : يا أمة الله ، أما تتقين الله ! تسفرين فى هذا الموضع فتفتنين النـاس ؟

---

(1) البيان والتبيين 4 : 78
(2) عيون الاخبار 2 : 200
(3) عيون الاخبار 2 : 200
(4) البيان والتبيين 3 : 149

قالت : أنا والله يا شيخ من اللواتى قال فيهن الشاعر :

من اللاء لم يحججن يبغين حسبة
ولكن ليقتلـن البرىء المغفـلا

قلت : فانى أسأل الله الا يعذب هذا الوجه بالنار . (1)

ـ وغرور الثناء والعجب بالجمال كامن فى أعماق النفس الانسانيـة يستوى فى ذلك أهل الحضر وأهل الوبر ، وللأعراب فى هذا مقال .

قال أبو الغصن الأعرابى : خرجت حاجا ، فلما مررت يقباء تداعـى أهله (أى دعا بعضهم بعضا) وقالوا : الصقيل الصقيل (يعنى : المجلـو) فنظرت واذا جارية كأن وجهها سيف صقيل ، فلمـا رميناها بالحدق ألقت البرقع على وجهها . فقلنا : انا سفر ، وفينا أجر ، فأمتعينا بوجهك فانصاعت وأنا أعرف الضحك فى وجهها وهى تقول :

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا
لقلبك يومـا أتعبتـك المناظـر
رأيت الـذى لاكلّه أنت قـادر
عليه ، ولا عن بعضه أنت صابر (2)

ـ وسيطر حلو المنطق عـلى حواسهم فأذهب حزنهـم ، مـات ابن لسليمان بن على ، فجزع عليه جزعا شديدا ، وامتنع عن الطعام والشراب ؛ وجعل الناس يعزونه فلا يحفل بذلك ، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال :

عليكم نزل الكتاب فأنتم أعلـم بفرائضه ، ومنكم كان رسول اللـه

---

(1) عيون الاخبار 4 : 29   (2) عيون الاخبار 4 : 22

صلى الله عليه وسلم فأنتم أعرف بسنته ، ولست ممن يعلّم من جهل ، ولا يقوّم من عوج ، ولكنى أعزيك ببيت من الشعر . قال : هاته . قال :

وهون ما ألقى من الوجـد أننى
أساكنه فى داره اليـوم أو غـدا

قال أعد ، فأعاد ، فقال : يا غلام الغداء . (1)

---

(1) البيان والتبيين 4 : 97

فصاحة الأعرابيّات

ـــ ونساء الأعراب على شاكلة الأعراب فى الفصاحة ، يقول أبان بن تغلب : مررت بامرأة على الارض وبين يديها ابن لها يريد سفرا وهى توصيه فقالت : (اجلس أمنحك وصيتى وبالله توفيقك ، وقليل اجدائها عليك أنفع من كثير عقلك ، اياك والنمائم فانها تــزرع الضغائن ، ولا تجعـل نفسك غرضا للرماة فان الهدف اذا رمى لم يلبث أن ينثلم ، ومثّل لنفسك مثــالا فما استحسنته من غيرك فاعمل به ، وما كرهته منه فدعه واجتنبه ، ومــن كانت مودّته بشره كان الريح فى تصرفها •

ثم نظرت فقالت : كأنك يا عراقى أعجبت بكلام أهل البدو ؟ ، ثــم قالت لابنها : اذا هززت فهز كريما ، فان الكريم يهتز لهزتك ، واياك واللئيم فانه صخرة لا ينفجر ماؤها ، واياك والغدر فانه أقبح ما تعومل به ، وعليك بالوفاء ففيه النماء ، وكن بمالك جوادا ، وبدينك شحيحــا ، ومــن أعطى السخاء والحلم فقد استجاد الحلّة : ريطتها وسربالها ، انهض على اســم اللــه) • (1)

(1) البيان والتبيين 4 : 72 ـــ 73

ـ يحكى أبو زيد فى كتاب النوادر ، أن امرأة طلب اليها بعض ما يكون فى البيت ، فقالت : لا أقدر عليه ، ولم يكن عندها شيء ، فلاموها، فقالت : بيتى يبخل لا أنا . أى ليس فى بيتها شيء . (1)

ـ ويسأل الأصمعى عجوزا عن خلوتها وبعدها عن الحلّة القريبة فتقول :

(والله يا بن أخى ؛ لقد رأيت هذا الوادى بشع اللديدين ، بأهل أدواح وقباب ، ونعم كالهضاب ، وخيل كالذئاب ، وفتيان كالرماح ، يبارون الرياح ، ويحمون الصباح ، فأحال عليهم الجلاء قما بغرفة ، فأصبحت الآثار دارسة ، والمحال طامسة ، وكذلك سيرة الدهر فيمن وثق به .

ثم قالت : ارم بعينك فى هذا الملأ المتباطن ، فنظرت ، فاذا قبور نحو أربعين أو خمسين فقالت : الا ترى تلك الأجداث ؟

قلت : نعم .

قالت : ما انطوت الا على أخ أو ابن أخ أو عم أو ابن عم فأصبحوا قد ألمأت عليهم الأرض ، وأنا اترقب ما غالهم ـ انصرف راشدا رحمك الله . (2)

ـ ويجد أعرابية تسأل بمنى ، فقال لها : يا أمة الله ، تسألين ولك هذا الجمال ؟ قالت : قدر الله ، فما أصنع ؟

قال : فمن أين معاشكم ؟

قالت : هذا الحاج ، نسقيهم ونغسل ثيابهم .

قال : واذا ذهب الحاج فمن أين ؟

(1) نوادر ابى زيد 91.

(2) أمالى القالى 2 : 6

فنظرت اليه وقالت : يا صلت الجبين ، لـو كنا نعيش من حيث نعلم ما عشنا • (1)

ـ قيل لأعرابية مات ابنها : ما أحسن عزاءك ؟

فقالت : ان فقدى اياه أمنّنى من المصيبة بعده (2) أى أنهـا لم تعد تحزن على شىء بعـد هـذا العزيـز •

ـ الأصمعى : مررت بأعرابية وبين يديها فتى فى السياق ، ثم رجعت ورأيت فى يدها قدح سويق تشربه فقلت لها : ما فعل الشاب ؟

فقالت : وارينـاه •

فقلت : ما هـذا السويق ؟

فقالت :

على كل حال يأكل القوم زادهم
على البؤس والبلوى وفى الحدثان (3)

ـ وتضيق الصحف بفطنة القوم وفصاحتهم، ولكنى أختار منها بعضا ينم عن كثير •

سفرت أعرابية بقوم من بنى نمير ، فأداموا النظر اليها •

فقالت : يا بنى نمير ، والله ما أخذتم بواحدة مـن اثنتين ، لا بقول الله (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) ولا بقول جرير :

فغض الطرف انـك مـن نمير
فـلا كعبا بلغت ولا كلابـا (4)

---

(1) العقد الفريد 3: 210 الصلت : الابيض
(2) عيون الاخبار 3 : 56
(3) عيون الاخبار 3 : 57
(4) عيون الاخبار 4 : 85

والأعراب يجمعون الى ما نعرفه من غلظة وخشونة حسا مرهفا رقيقا كأنهم أمسكوا بطرفى الطبـاع •

حجت أعرابية ، ومعها ابن لها ، فأصيبت به ، فلما دفـن قامت على قبره وهى موجعة فقالت :

والله يا بنى ، لقد غذوتك رضيعا ، وفقدتك سريعا ، وكأنه لم يكـن بين الحالين مدة التذ بعيشك فيها ، فأصبحت بعـد النضارة والغضـارة ورونق الحياة والتنسم فى طيب روائحها تحت أطباق الثرى جسدا هامدا ، ورفاتا سحيقا وصعيدا جرزا •

أى بنى : لقد سحبت الدنيا عليك أذيال الفنا ، وأسكنتك دار البلى ، ورمتنى بعـدك نكبة الردى •

أى بنى : لقد أسفر لى وجه الدنيا عن صباح داج ظلامه ، ثم قالت : اى رب : ومنك العدل ، ومن خلقك الجور ، وهبته لى قـرة عين ، فلـم تمتعنى به كثيرا ، بل سلبته وشيكا ، ثم أمرتنى بالصبر ، ووعدتنى عليـه الأجر ، فصدقت وعدك ، ورضيت قضاءك ، فرحم الله من ترحم على مـن استودعه الردم ، ووسدته الثرى ، اللهم ارحم غربتـه ، وآنس وحشته ، واستر عورته ، يوم تكشف الهنات والسوءات •

فلما أرادت الرجوع الى أهلها وقفت على قبره ، فقالت :

أى بنـى :

انى قد تزودت لسفرى ، فليت شعرى ما زادك لبعد طريقك ، ويـوم معادك ، اللهم انى أسألك له الرضى برضائى عنه ، ثـم قالت : استودعتك

من استودعنيك فى أحشائى جنينا ، واثكل الوالدات ! ما أمض حرارة قلوبهن ، وأقلق مضاجعهن ، وأطول ليلهن ، وأقصر نهارهن ، وأقل أنسهن، وأشد وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن من الأحزان . (1)

ومن طرائفهم

قال أعرابى فى مجوسى :

شهدت عليك بطيب المشاش
وأنك بحر جواد خضم

وانك سيد أهل الجحيم
اذا ما ترديت فيمن ظلم (2)

طيب المشاش = البار .

ـ رأى رجل من قريش رجلا له هيئة رثة ، فسأل عنه فقالوا : من تغلب، فوقف له وهو يطوف بالبيت فقال له : أرى رجلين قلما وطئتا البطحاء . فقال له : البطحاوات ثلاث ، بطحاء الجزيرة (ما بين دجلة والفرات) وهى لى دونك ، وبطحاء ذى قار ، وأنا أحق بها منك ، وهذه البطحاء ، وسواء العاكف فيه والبادى . (3)

ـ عاتب أعرابى ابنه فى شرب النبيذ ، فلم يعتب ، وقال :

أمن شربة من ماء كرم شربتها
غضبت على ، الآن طاب لى الخمر

(1) زهر الآداب 2 105 ـ 106 ط الرحمانية سنة 1925
(2) عيون الاخبار 2 : 196 ط دار الكتب 1346 هـ ـ 1928 م
(3) عيون الاخبار 2 : 198

سأشرب ، فاغضب ، لا رضيت ، كلاهما
الىّ لذيذ أن أعقك والسكر (1)

وقال أعرابى فى المشيب :

أرى الشيب مذ جاوزت خمسين دائبا
يدب دبيب الصبح فى غسق الظلم

هو السم الا أنه غير مؤلم
ولم أر مثل الشيب سما بلا ألم (2)

ـ خطب أعرابى الى قوم ، فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارتفع السجف (الستر) فرأى شيئا كرهه ، فقال : والله ما عندى نقد ، وانى لاكره أن يكون علىّ دين • (3)

ـ أُتى العريان بن الهيثم بشاب سكران ، فقال له : من أنت ؟ فقال :

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره
وان نزلت يوما فسوف تعود

ترى الناس أفواجا الى ضوء ناره
فمنهم قيام حولها وقعود

فظن أنه من بعض اشراف الكوفة فخلاه ، ثم ندم على الا يكون سأله من هو ، فقال لبعض الشرط : سل عن هذا ، فسأل ، فقالوا : هو ابن بياع الباقلى • (4)

---

(1) العقد الفريد 3 : 93
(2) عيون الاخبار 2 : 325
(3) العقد 2 : 200
(4) عيون الاخبار 2 : 201

ـ سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة ، فقال لأصحابه : اذا شئتم تنحوا ، فلما تهيأ الرجل للكلام قال له : اياك أن تمدحني فاني أعرف بنفسي منك ، أو تكذبني فانه لا رأى لكذوب ، أو تسعى بأحد الي . وان شئت أن أقيلك أقلتك .

قال : أقلني . (1)

ـ أغير على ابل خزيمة، فركب بحيرة (الناقة التي ولدت خمسة أبطن آخرها ذكرا شقوا اذنها وحرموا ركوبها) فقيل له : أتركب حراما ؟ قال : يركب الحرام من لا حلال له . (2)

ـ دخل أعرابي على بعض الملوك في شملة شعر . فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : ان الشملة لا تكلمك ، وانما يكلمك من هو فيها . (3)

الأعراب أشد كفرا ونفاقاً

قد فرغت لتوك من قراءة أرسلتها قلوب الأمهات . تفيض صدقا وحنانا . وتكشف عن حس مرهف رقيق ... ونقدم لك الآن نموذجا آخر لا يستند الى خلق ولا مبدأ الا خلق الأعراب الغلاظ الشداد الذين يصدق فيهم قوله تعالى (الأعراب أشد كفرا ونفاقا ، وأجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) .

ـ قيل لأبي الطمحان القيني : خبرنا عن أدنى ذنوبك .

---

(1) عيون الاخبار 2 : 23
(2) العقد 3 : 429
(3) العقد 3 : 442

قال : ليلة الدير

قالوا : وما ليلة الديـر ؟

قال : نزلت على ديرانية ، فأكلت طفيشلا (نوع من المرق) لها بلحم خنزير ، وشربت من خمرها ، وزنيت بها ، وسرقت كساءها ومضيت . (1)

ــ وهم لا يجدون حرجا في معصية ، يروى الرياشي فيقول :

كان أبو ذؤيب يهوى امرأة من قومه ، فكان رسوله اليها رجلا يقال له خالد بن زهير ، فخانه فيها ، فقال أبو ذؤيب :

تريدين كيمــا تجمعيني وخالــدا
وهل يجمع السيفان ويلك في غمد
أخــالد مــا راعيت مني قرابــة
فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي

وكان أبو ذؤيب خان فيها ابن عم له يقال له مالك بن عويمر ، فأجابه خــالد :

ولا تعجبن مــن سيرة أنت سرتها
وأول راض سنّة مــن يسيرها
ألم تتنقّذها مــن ابــن عويمر
وأنت صفيّ نفسه ووزيرها (2)

---

(1) عيون الاخبار 4 : 77
(2) عيون الاخبار 4 : 109

الأعراب لا يعرفون الاصطلاحات ولا تقعيد النحاة

قيل لأعرابى : أتهمز اسرائيل ؟

قال : انى اذا لرجل سوء

قيل له : أتجر فلسطين ؟

قال : انى اذا لقوى

وقيل لآخر : أتهمز الفارة ؟

فقال : الهرة تهمزها (1)

وقال خلف : قلت لأعرابى :.ألقى عليك بيتا

قال : على نفسك فألق (2)

وهم لا يرضون بالبادية بديلاً

يقول أبو زيد الكلابى : قدم رجل منا البصرة ، فتزوج امرأة ، فلما دخل بها ، وأرخيت الستور ، وأغلقت الأبواب عليه ضجر الأعرابى ،وطالت ليلته حتى اذا أصبح وأراد الخروج منع من ذلك وقيل له : لا ينبغى لـك أن تخرج الا بعد سبعة أيام فقال :

أقول وقد شدّوا عليها حجابها
ألا حبذا الأرواح والبلد القفـر

الا حبذا سيفى ورحلى ونمرقى
ولا حبذا منها الوشاحان والشذر

---

(1) عيون الاخبار 2 : 157 ط دار الكتب 1346 هـ ــ 1928 م
وذكرها الجاحظ برواية اخرى قالها الربيع بن عبد الرحمن السلمى البيان والتبيين 2 : 220

(2) البيان والتبيين 2 : 221

أتونى بهـا قبل المحاق بليلـة
فكان محاقا كلـه ذلـك الشهر
وما غرنـى الاخضاب بكفهـا
وكحل بعينيها وأثوابهـا الصفر
تسائلنى عن نفسها هل أحبهـا
فقلت : ألا ، لا ، والذى أمره الأمر
تفوح رياح المسك والعطر عندها
وأشهد عند الله ما ينفع العطر (1)

ومن أشهى طعامهم اللبن والتمر ونبيذه

فيقول قائلهم لمحبوبته :

حديثك أشهى حين آتيك طارقـا
من المـاء والدوشاب يمتزجان
كأن علـى عينيك تسعين جلـة
كثيرا مـن البرنى والصرفان (2)

---

(1) عيون الاخبار 4 : 32 ـ 33
(2) عيون الاخبار 4 : 83 الدوشاب = نبيذ التمر . الجلة = القفة البرنى والصرفان = انواع من التمور

خاتمة

وبعد

فلقد رأيت أن أنقل لك الأعراب ، وأنقلك اليهم ، وقد دلت التجربة أنه لا يكفى أن أقول معنى الكلمة كـذا لكى أفهم المراد مـن الجملة أو البيت من الشعر ، ولكل لغة أصحابها الذين يعرفون المقصود من الألفاظ والتراكيب ، ويعرفون أيضا ما تعنيه الاشارة والايماءة من خفايا المعانى وما وراءها من ظلال .

وللعرب خصائص ، قادتها اليهم ظروفهم وبيئتهم ، فان تعجب لكرمهم فما خلقوا كذلك من بطون أمهاتهم ، ولكنهم يمشون فى الصحراء يهتدون تارة ويضلون تارة ، فالا يدركهم الطعام والمأوى فى تيههم هلكوا ، والذى يقدم هذا الغوث اليوم قد يكون طالبه فى تيهه غدا ، وما نسميه كرما كان منشؤه ضرورة .

والمثل مسألة اعتبارية ، وان اشتركت أمم الدنيا فـى الكثير منها ،

وخاصة تلك التي تضفي على البشرية سلاما ووئاما ، ولكن من وراء هـذا القدر المشترك محامد ومذام تعود في أكثرها الى طريقة الحياة ، فالقوة في شتى مظاهرهـا ظالمة وغير ظالمة مـن محامـد العرب ، يتحدثون بالبأس والغلب ، ولا يخجل أعرابي — قبل تعاليم الاسلام — من أن يقول : خرجت الى الصحراء ، فوجدت رجلا فغلبته على امرأته ، وبقيت من هذه الفظاظة أثرها بعد الاسلام عبر عنها الفرزدق حين كان يلام على هجاء جرير بقولـه مفتخرا : نشأت فوجدت أبي يظلم أباه .

وطيبهم ، وطبهم ، من نبات البادية، فان وجدت غريبا في نثر أو قصيد فما ذلك الا انك لا تعرف كل الدلائل ، ولا كـل المدلولات ، وطعامهـم مجشوش ومهروس ، ومن تسورهم برني وصرفان ، وأسماء تتعدد بتعداد الزمان والمكان وفيه رطب ويابس ، ويعالج بماء أو بسمن أو بزيت أو لبن، وله في كل حالة لفظ يدل عليه ، وهو في هذه القبيلة باسم ، وفي الأخرى باسم آخر ، ولا يحيط بكل شاردة وواردة محيط .

من أجل هذا ، أو لبعض هذا ، تركتك تعيش مع الأعراب في العراق، في البيئة العلمية عندما كانوا يتقصدون، ويتبعهم الطالبون في أزقة البصرة أو في سوق المربد أو بظاهر الكوفة ، يلتمسون من أفواههم صحيح اللفظ وصحيح مخرجه ، وتركتك تعيش معهم عندما جاءوا محترفين الى حواضر العراق ونيسابور الى أن ادركت كيف فسدت سليقتهم بطول مكثهم فـي الحضر ، وذكرنا طرفا مما كانوا فيه يختلفون .

وعشت مع الأعراب في باديتهم على سجيتهم عندمـا كان يقصدهم الطالبون في البادية البعيدة ، ويعـود الرواة مـن أقاصيها ليقول قائلهم : أعذب اللهجات أهل السروات ، أو يقول : لست أقول قالت العـرب الا

اذا سمعته من هؤلاء : بكر بن هوازن ، وبنى كلاب ، وبنى هلال ، أو من عالية السافلة ، أو سافلة العالية بعضهم يعلل رأيه بأنهم فصحوا لبعدهم عن تخوم الأعاجم ، أو أنهم كانوا يتخيرون أصفى لهجات القبائل فى الحجاز عند مجىء الحجيج ، وغيرهم يقول لأنهم أغلقوا باديتهم عليهم فلا يصاهرون غيرهم ، ولا يسمحون للغريب بالاقامة عندهم أكثر من ثلاث ليال حرصا على لسانهم ، ولكل رأى وجه ، وأكثره وجيه متوجه .

وعشتُ مع الأعراب — أخيرا — حين كانوا يأتون الحاضرة غير محترفين ، فيستقبلهم المشتغلون باللغة ، والمُتَقَعِّدون للنحو ، والمتذوقون للآداب ، والراغبون فى استكناه حياتهم الاجتماعية .

وجعلتُ خاتمة الكتاب هذا الخبر الذى أسوقه اليك لتدرك دور الأعراب فى حياة اللغوى الكبير أبى سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعى .

يقول التوزى — فيما يحكيه المبرد — : كنا عند الاصمعى ، وعنده قوم قصدوه من خراسان ، وأقاموا على بابه ، فقال له قائل منهم : يا أبا سعيد ، خراسان يرجف بعلم البصرة وعلمك خاصة ، وما رأينا أصح من علمك .

فقال : لا عذر لى ان لم يصح علمى ، دع من لقيت من العلماء والفقهاء والرواة للحديث ، والمحدثين . ولكن قد لقيت من الشعراء الفصحاء ، وأولاد الشعراء : رؤبة ، ومسرد بن اللعين ، وبلالا ونوحا ابنى جرير ، ولبطة بن الفرزدق ، ومحمد بن علقة التيمى ، وأبا بابل اهاب بن عمير ، وقطينة اللخمى ، وخطاما المجاشعى ، وابن ميادة ، والحسين بن مطير ، وابن هرمة ، وابن أذينة ، والحكم الخضرى ، ودكينا العذرى ،

وابن شوذب المدنى ، وأبـا الأخزر الحمانى ، وجندل بـن المثنى ، وأبـا لحيانة ، والذى هاجاه وهو الأبرش ، ولقيت أبا الزحف ، ومقاتل بـن أبى داود ، وأبا خيرة ، وأبا العراف ، وأبا العذافر ، وعمارة بن عطية ، وطفيلا الكنانى ، وقتادة بن يعرب اليشكرى ، وابن الدمينة ، وأبـا حيـة أنس ، وابن الطثرية ، وأبا ترسيس وبفصاحته يضرب المثل ، والعوّار ، ومصرف ابن الحارث ، وابنه الحارث بن مصرف ، وأبا العميثل ، ومحبس بن أرطأة وعريفا الكلبى ، وعلاكم بن نهير ، وابن شراد الغطفانى ، والعجيف العجلى ، وأبـا القرين الفزارى .

وحفظتُ عنهم وسمعتُ منهم ، وسبقنى أبو النجم ، وذو الرمـة ، ومعبد بن طوق ، والوعيل بن كليب ، وزياد الأعجم ، ونهار بـن توسعة ؛ وصخر ومغيرة ابنا حبناء ، وابن عرادة تعليل — ولى بعضهم روية لا رواية (أى دراسة ودراية) وما عرف هؤلاء غير الصواب . فمن أين لا يصـح علمـى ؟ !

أهم المصادر والمراجع (1)

أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة	دكتور احمد مكى الانصارى ط المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية سنة 1964 رقم 62036 ـ 62037
أخبار النحويين البصريين	الحسن بن عبد الله السيرافى ابو سعيد ط الحلبى 1374 هـ ـ 1955 م 18800 د
أدب الكاتب	عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط الاتحاد الاخوى بمصر سنة 1328 هـ وط السلفية سنة 1346 هـ 5426 د و 7500 ج
الازمنة والامكنة	احمد بن محمد بن الحسن المرزوقى الاصفهانى ط حيدر آباد سنة 1332 هـ 10175 ج ـ 5516 ج ـ 5595 ج
أساس البلاغة	محمود بن عمر الزمخشرى ـ جار الله ط مصر سنة 1953 رقم 3992 ب وط دار الكتب سنة 1923 رقم 3868 ب

(1) الارقام المذكورة بعد بيانات النشر هى أرقام الكتب فى مكتبة الاسكندرية

أسباب اختلاف الفقهاء	على الخفيف ط جامعة الدول العربية سنة 1956
أسد الغابة فى معرفة الصحابة	على بن محمد بن عبد الكريم (ابن الاثير الجزرى) ط القاهرة سنة 1280 هـ 120 ج
الاصابة فى تمييز أسماء الصحابة	احمد بن حجر العسقلانى ط القاهرة سنة 1327 هـ 885 ب
اصلاح المنطق	يعقوب بن السكيت ، شرحه الاستاذان احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون . دار المعارف سنة 1949 م 11044 ج 11045 ج
الأصمعيات	جمعها عبد الملك بن قريب الاصمعى ، ونشرها وليم الورد البروسى سنة 1902 ، واعاد نشرها وشرحها احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون دار المعارف 1955 م 19614 د 19615 د
الأضداد	مجموعة للاصمعى ، وابى حاتم السجستانى ، ويعقوب بن السكيت والصفانى ط بيروت سنة 1912 م عنى بنشرها أوجست هفنر 5505 ج ـ 4257 ج
الأضداد	محمد بن القاسم الانبارى ابو بكر ط القاهرة سنة 1325 هـ 1471 د ـ 1694 د ـ 1705 د
الأغانى	على بن الحسين الاصفهانى ابو الفرج ط بولاق سنة 1375 هـ وط دار الكتب 2131 ب ـ 3860 ب ـ 2852 ب ـ 3746 ب
الاغراب فى جدل الاعراب	عبد الرحمن بن الانبارى نشره سعيد الافغانى ط الجامعة السورية دمشق سنة 1957 م

الاقتراح فى أصول النحو	عبد الرحمن السيوطى ـ جلال الدين ط حيدر آباد سنة 1310 هـ 3304 ج ـ 3305 ج
الالفاظ	يعقوب بن السكيت . هذبه يحيى بن على التبريزى واخرجه باسم تهذيب الالفاظ ثم نشره لويس شيخو ومعه شرح التبريزى وسماه كنز الحفاظ ، ثم نشره مرة اخرى مكتفيا بالمتن وسماه مختصر تهذيب الالفاظ ط بيروت سنة 1895 ، 1897 رقم 397 د
أمالى الزجاجى	عبد الرحمن بن اسحق الزجاجى ط القاهرة سنة 1324 هـ 4937 ج
أمالى القالى	اسماعيل بن القاسم ابو على البغدادى ط دار الكتب من سنة 1344 هـ ـ 1926م 2094 ب
انباه الرواة على أنباه النحاة	على بن يوسف القفطى ابو الحسن ط دار الكتب من سنة 1950 11017 ج ـ 4074 ب ـ 63783 — 80961
البحر المحيط	محمد بن يوسف الاندلسى الغرناطى الجيانى ابو حيان ط القاهرة سنة 1328 هـ 1549 ب ـ 1550 ب
البداية والنهاية	عماد الدين ابو الفدا الحافظ ط السعادة سنة 1351 هـ 1932 م 10218 ج
البرهان فى علوم القرآن	محمد بن عبد الله الامام بدر الدين الزركشى حققه محمد ابو الفضل ابرهيم دار احياء الكتب العربية سنة 1376 هـ ـ 1957 م الاول برقم 54906 و 54907 والثانى 54908 و 54909 والثالث 54911 والرابع 54912 و 54913

بغيــة الوعــاة	عبد الرحمن السيوطى ط السعادة سنــة 1326 هـ 2096 ب
بلوغ الأرب فى معرفة أحوال العرب	السيد محمود شكرى الالوسى ط القاهرة سنة 1342 هـ 1924م 6641 ج
البيــان والتبيين	عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ حققــه ونشره حسن السندوبـــى ط الاستقامة سنة 1366 هـ ــ 1947 م كما حققه ونشره عبد الســلام هارون ط لجنــة التاليف والنشر سنة 1367 هـ 1948 م 10925.ج 10955 ج
تاج العروس من جواهر القاموس	مرتضى الزبيدى ط الوهبية مــن سنــة 1289 هـ (خمس مجلدات تنتهـى بحرف العين) ثم طبع بالمطبعــة الخيرية سنــة 1307 هـ 25 أ و 27 أ
تاج اللغة وصحاح العربية	اسماعيل بن حمـــاد الجوهرى ط بولاق سنة 1282 هـ ثم اعيـــد طبعه سنـــة 1292 هـ 252 ب و 528 ب
تاريخ آداب العرب	مصطفى صادق الرافعى ط الاخبار بمصر سنة 1329 هـ 1911م 5682 ج و 9369ج
تاريخ بغداد	احمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى ط السعادة سنة 1931 11294 ج
تأويل مشكل القرآن	عبد الله بن مسلم بن قتيبة حققه وشرحه السيد احمد صقر ط دار احيـــاء الكتب العربية سنة 1373 هـ ــ 1954م 12548 ج

التقريب	محيى الدين يحيى بن شرف النووى اختصره من كتاب الارشاد لابى عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح . مقدمة صحيح البخارى بشرح الكرمانى ط مصر 1351 هـ 1932 م 8940 ج
التنبيه على أوهام أبى على فى أماليه	عبد الله بن عبد العزيز البكرى ابو عبيد ط دار الكتب سنة 1926 ملحق بكتاب الامالى 2094 ب
تهذيب التهذيب فى أسماء رجال الحديث	احمد بن حجر العسقلانى اختصر فيه كتاب تهذيب الكمال فى اسماء الرجال للحافظ جمال الدين يوسف بن عبد الرحمن المزى ط الهند سنة 1326 هـ 2621 ج
جامع بيان العلم وفضله وما ينبغى فى روايته وحمله	يوسف بن عبد البر ابو عمر القرطبى الاندلسى ط مصر 6991 ج 7339 د 7662 ج
جامع البيان فى تأويل آى القرآن	محمد بن جرير الطبرى ط الحلبى سنة 1954
الجامع لأحكام القرآن	محمد بن احمد الانصارى القرطبى ط دار الكتب من سنة 1354 هـ 1935 م ١ و ٢ 2658 ب الرابع الى التاسع 2762 ب العاشر الى 15 3741 ب السادس عشر الى العشرين 11146 ج
جمهرة أشعار العرب	محمد بن الخطاب القرشى أبو زيد ط بولاق سنة 1308 هـ 6766 ج
جمهرة الامثال	الحسن بن عبد الله العسكرى ابو هلال حققه ابو الفضل ابرهيم وعبد المجيد قطامش ط مصر سنة 1384 هـ ـ 1964 م 74337 جزآن

جمهرة أنساب العرب	على بن احمد بن حزم حققه ليفى بروفنسال ط دار المعارف سنة 1948 رقم 10350 ج وحققه ايضا عبد السلام هارون ط دار المعارف سنة 1963 رقم 54379 و 60008
الجمهرة فى اللغة	محمد بن الحسن بن دريد . عنى بطبعه ف. كرنكوى ط حيدر آباد سنة 1344 هـ 3800 ب
حلية الأولياء	احمد بن عبد الله الاصفهانى ابو نعيم ط السعادة 1932 10490 ج فى عشرة مجلدات
الحيوان	عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ابو عثمان حققه عبد السلام هارون ط الحلبى سنة 1947 م
خزانة الادب	عبد القادر بن عمر البغدادى ط السلفية سنة 1347 هـ 11945 ج 11973 ج
الخصائص	عثمان بن جنى ابو الفتح ط دار الكتب من سنة 1952 وسنة 1955 وسنة 1956 55559
زهر الآداب	ابرهيم بن على الحصرى القيروانى شرحه دكتور زكى مبارك ط القاهرة سنة 1344 هـ ــ 1925 م 6584 ج ــ 6648 ج ــ 6990 ج
شرح ديوان الحماسة	احمد بن محمد بن الحسن المرزوقى نشره احمد امين وعبد السلام هارون ط لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة 1371 هـ 1951 م 11179 ج ــ 11462 ج ــ 11816 ج ــ 12202 ج

شرح طيبة النشر	احمد بن محمد بن محمد بن محمد بن على بن الجزرى ط الحلبى سنة 1369 هـ ـ 1950 م 11882 د
شروح سقط الزند	لجنة احياء آثار ابى العلاء المعرى ط دار الكتب سنة 1948 م 46866 ـ 46867
الطبقات الكبرى	عبد الله محمد بن سعد الواقدى ط دار صادر بيروت سنة 1376 هـ ـ 1957 م 42954
طبقات فحول الشعراء	محمد بن سلام الجمحى حققه محمود شاكر ط دار المعارف سنة 1952 م 11861 ج
طبقات النحويين واللغويين	محمد بن الحسن الزبيدى ابو بكر ط السعادة سنة 1373 هـ 1954 م 12608 ج
العقد الفريد	احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسى ط لجنة التاليف والترجمة والنشر سنة 1359 هـ ـ 1940 م 3812 ج و 11326 ج
العمدة فى صناعة الشعر ونقده	الحسن بن رشيق القيروانى ط هندية بمصر سنة 1925 7333 ج و 7391 ج
عيون الأخبار	عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط دار الكتب سنة 1925 م 2143 ب و 2144 ب و 2901 ب
الفائق فى غريب الحديث	محمود بن عمر الزمخشرى جار الله ط حيدر آباد سنة 1324 هـ رقم 3724 ب و ط مصر سنة 1945 رقم 9875 ج

الفاضـــل	محمد بن يزيد المبرد ط دار الكتب سنـــة 1375 هـ ــ 1956 م 21829 د
فضائل القرآن	اسماعيل بن كثير الدمشقى الحافظ ابـو الفداء ط المنـــار بمصر سنـــــة 1347 هـ 6265 د
الفهرست	محد بن اسحق النديم ط ليبــــزج سنـــة 1871 رقم 3022 ب و ط الرحمانية رقم 12781 ج 11956 ج
القلب والابدال	يعقوب بن السكيت نشره اوجست هفنــر ط بيروت سنة 1903 م 3524 ج
قواعد التحديث	جمال الدين القاسمى ط دمشق سنـــــة 1354 هـ رقم 8783 ج وط الحلبى سنة 1961 م 54904 — 54905
الكامل فى اللغة والادب	محمد بن يزيـد المبرد ابـــو العباس ط الخيرية سنة 1308 هـ 12810 ج
الكتـــاب	عمرو بن عثمان بـــن قنبر (سيبويه) ط بولاق سنة 1316 هـ 571 ب وط بيروت 71966
الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل	محمود بن عمر الزمخشرى ــ جار الله ط كلكتا سنة 1276 هـ 1859 م رقم 2155 ب وط بولاق سنة 1307 هـ رقـــم 2412 ب وط الاستقامة سنة 1373 هـ ــ 1953 م 12448 ج ــ 12449 ج

الكفاية فى علم الرواية	احمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادى ط حيدر آبار سنة 1357 هـ 11214 ج ـ 11215 ج
مجاز القرآن	معمر بن المثنى ابو عبيدة حققه دكتور محمد فؤاد سزكين ط الخانجي سنة 1374 هـ ـ 1954 م 12611 ج 12612 ج و 58022 ـ 58023
مجالس ثعلب	احمد بن يحيى ثعلب ابو العباس ط دار المعارف سنة 1948 م 19249 ج ـ 10410 د ـ 10349 د ـ 49606
المحتسب	عثمان بن جنى ابو الفتح ط القاهرة سنة 1386 هـ 66395 ـ 72747
المخصص	على بن اسماعيل بن سيده ط بولاق سنة 1321 هـ 643 ب
المزهر	عبد الرحمن السيوطى القاهرة 1325 هـ 1371 د ـ 2525 د ـ وط دار احياء الكتب العربية سنة 1378 هـ ـ 1958 م 55352
المصاحف	عبد الله بن ابى داود السجستانى ط القاهرة سنة 1937 م 6967 د
المعارف	عبد الله بن مسلم بن قتيبة ط الاسلامية 1353 هـ ـ 1934 م 3187 ج 8486 ج
معانى القرآن	يحيى بن زياد الفراء ط دار الكتب سنة 1374 هـ ـ 1955 م 53227 ـ 10985 ج ـ 80020 ـ 80023 ـ 68268

معجم الادبــاء	ياقوت الحموى ط دار المأمون 2849 ب
معجم البلدان	ياقوت الحمــوى ط السعـــادة 1906 م 4163 ج
معجم الشعراء	محمد بن عمران ابو عبيد الله المرزبانى ط مصر سنة 1354 هـ
مقاييس اللغة	احمد بن فارس بن زكريا حققه عبد السلام هارون ط دار احياء الكتب العربية سنــة 1366 هـ 12008 ج
مقدمتان فى علوم القرآن « مقدمة المبانى ومقدمة ابن عطية »	نشرهما الدكتور آرثر جفرى ط السنـــة المحمديـة سنـــة 1954 م 17824 د ـ 12537 ج ـ 12538 ج
مقدمة ابن خلدون	عبد الرحمن بــن خلدون ط الازهريــة 1348 هـ 8489 ج
مقدمة ابن الصلاح	عثمان ابن الصلاح ابـــو عمرو ط بمباى الهند سنة 1357 هـ 10473 ج
المنتقى من أخبار الأصمعى	ضياء الدين المقدسى نشـــره عز الديــن التنوخى ط المجمع العلمى بدمشق سنــة 1926 م
الموشح فى مآخذ العلماء على الشعراء	محمد بن عمران المرزبانى ابو عبد الله ط السلفيــة سنـــة 1343 هـ 6649 ج ـ 6586 ج ـ 6587 ج

نزهة الألبا فى طبقات الادباء	عبد الرحمن بن محمد الانبارى ط حجر 2590 د
النشر فى القراءات العشر	محمد بن محمد الدمشقى ط التجارية سنة 1962 م 54563 ــ 54564
نقائض جرير والفرزدق	معمر بن المثنى ابو عبيدة ط بريل سنة 1905 و 1907 م 3815 ب
نهاية الارب فى فنون الادب	احمد بن عبد الوهاب النويرى شهاب الدين ط دار الكتب سنة 1342 هـ ــ 1923 م 2855 ب ــ 2856 ب
النوادر	سعيد بن اوس الانصارى صححها وعلق عليها سعيد الخورى الشرتونى ط بيروت سنة 1894 ــ 1936 ج ــ 3180 د
النوادر	عبد الوهاب بن حريش ابو مسحل حققه الدكتور عزة حسن ط دمشق سنة 1961
نوادر المخطوطات (عرام بن الاصبغ السلمى)	وضع عبد السلام هارون المجموعة الثامنة ط لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة 1375 هـ ــ 1955 م 20154 د ــ 20155
الوافى بالوفيات	صلاح الدين ايبك الصفدى ط استنبول سنة 1931 م 9518 ج ــ 9519 ج
الوساطة بين المتنبى وخصومه	على بن عبد العزيز الجرجانى ط دار احياء الكتب العربية سنة 1364 هـ ــ 1945 م 6845 ج
وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان	احمد بن ابرهيم بن ابى بكر بن خلكان ط اليمنية بمصر سنة 1310 هـ 2404 ب

الفهارس العامة

- فهرس الاعلام ورجال السند
- فهرس القبائل والشعوب والجماعات
- فهرس البلدان والاماكن
- فهرس الموضوعات

أولاً- فهرس الأعلام ورجال السند

ا

ت

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

ثانياً ـ القبائل والشعوب والجماعات

ا

ب

ت

ث

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ظ

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

هـ

ي

ثالثاً ـ فهرس البلدان والاماكن

ا

ب

ج

ح

خ

د

ر

س

ش

ص

ط

ع

ف

ق

ك

هـ

و

ى

رابعاً - فهرس الموضوعات

صفحة

صفحة

القسم الثاني ـ تعريف الأعراب

القسم الثالث ـ أحاديث الأعراب